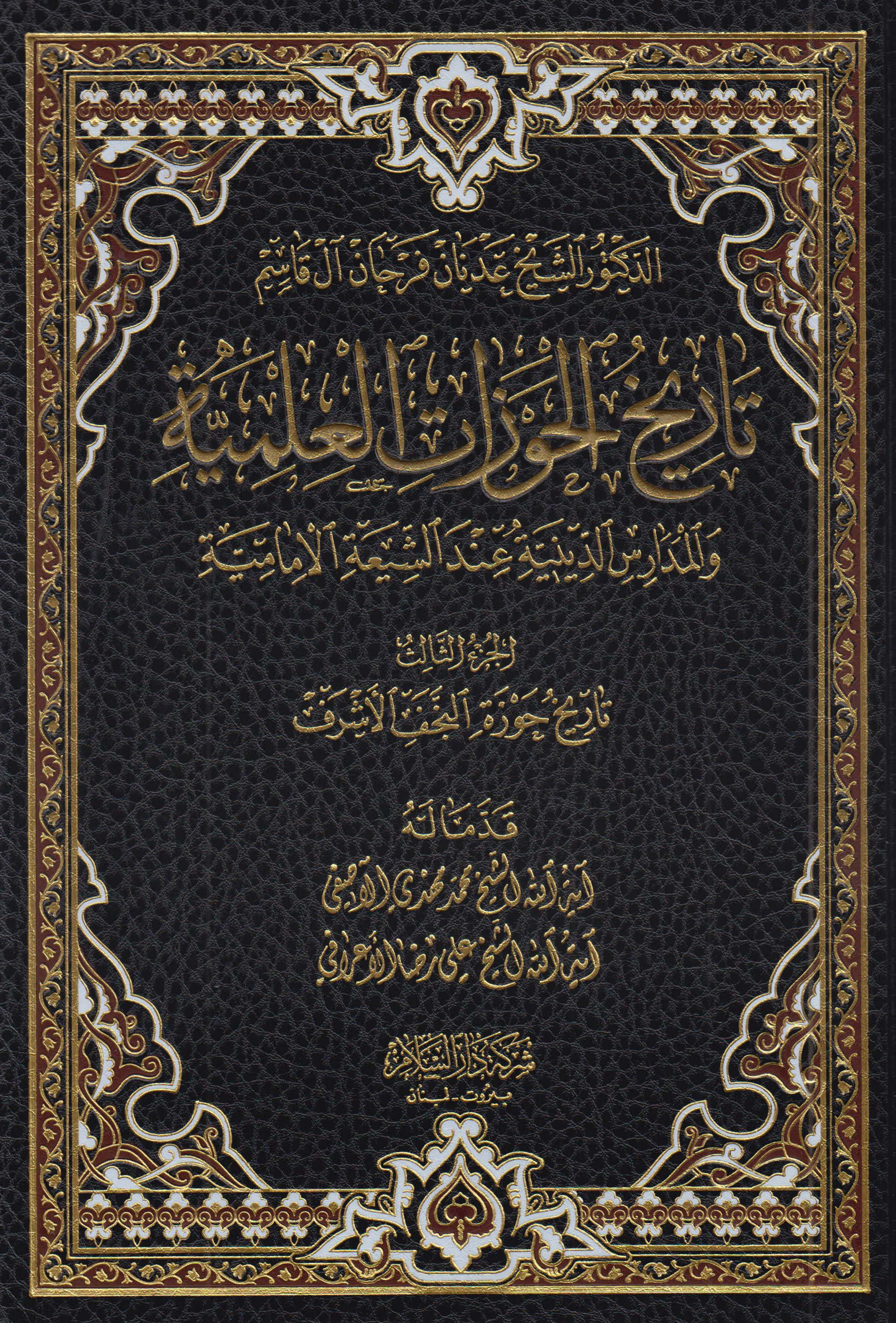
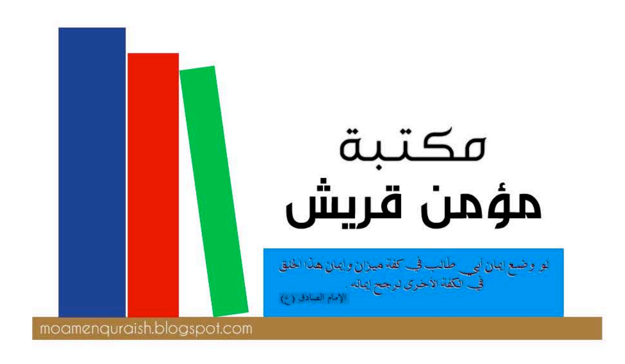
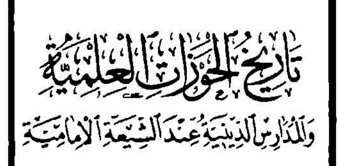

الدكتور الشيخ عدنان فرحان آل قاسم
تاريخ الحوزات العلمية
والمدارس الدينية عند الشيعة الامامية
الجزء الثالث
تاريخ حوزة النجف الأشرف
قدم له
آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي
آية الله الشيخ علي رضا الأعرافي
شركة دار السلام
بيروت - لبنان


تاريخ الحوزات العلمية
والمدارس الدينية عند الشيعة الامامية
تاريخ حوزة النجف الأشرف





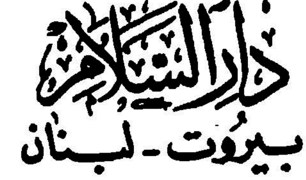
الطبعة الأولى

1436هـ - 2016 م

توزيع



009613210986
009611547698
009647813111272
iraqsms@gmail.com



لبنان : 009611472192 -009613461595
العراق : 009647802150376
E-mail:daralsalamco@hotmail.com

الدكتور الشيخ عدنان فرحان آل قاسم



بحث تاريخي في نشأة الحوزات العلمية
والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية
منذ نشأتها الأولى حتى نهاية القرن الرابع عشر الهجري

الجزء الثالث

تاريخ حوزة النجف الأشرف

قدما له

آية الله الشيخ محمد مهدي الآصفي آية الله الشيخ علي رضا الأعرافي


بسم الله الرحمن الرحیم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا۟ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

التوبة: ١٢٢

مقدمة المؤلف

بسم اللّه الرحمن الرحيم

والحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين

بعد أن وفقنا اللّه سبحانه لانجاز الجزء الأول والثاني من هذه الموسوعة؛ والتي بحثنا من خلالهما عن «تاريخ الحوزات العلمية والمدارس الدينية عند الشيعة الإمامية» نقدم بين يديك أيها القارئ الكريم الجزء الثالث من هذه الموسوعة؛ لينظم إلى الجزئين السابقين وتكتمل به حلقات الاتصال بين تاريخ الحوزات العلمية في الحواضر الإسلامية.

وقد تناولنا بالبحث في الجزء الأول تاريخ الحوزات العلمية في مكة والمدينة والكوفة، ثمّ رحلنا مع تلامذة الإمام الصادقعليه السلام ومدرسته العظيمة من الكوفة لنحط الرحال في مدينة السلام (بغداد) ولنبدأ مع وضع حجر الأساس المادي للمدينة المدورة وضع حجر الأساس العلمي لها؛ من خلال آل نوبخت، وآل يقطين، وهشام ابن الحكم.. لتتشكل بذلك حلقات دروس معطائة امتدت إلى أكثر من ثلاث قرون من الزمن تناولنا تفاصيله من خلال المجلد الثاني والذي ختمناهُ بهجرة الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف.

وبهجرة شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي من بغداد؛ والتي عاش فيها أربعة عقود من الزمن تلميذا وأُستاذا ومرجعا ليحط رحاله بعدها بجوار أمير المؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام، تأسست حوزة النجف الأشرف في دورها الأول سنة (٤٤٨ هـ)، ثمّ واصلت مسيرتها في أدوارها الأُخرى من خلال جهابذة العلماء والفقهاء.

وحوزة النجف الأشرف كانت ولا زالت وستبقى انشاء اللّه هي الحوزة الأُم

والمصدر والمرجع والمنبع الفياض لكلٍّ الحوزات الشيعية الأُخرى.

ولهذه الحوزة المباركة تاريخ حافل بالعطاء العلمي والأدبي والاجتماعي والسياسي والتربوي.. يعجز الباحث عن الاحاطة بجميع جوانبه.

وقد حاولنا في هذا الجزء من موسوعة تاريخ الحوزات أن نلم بملامح من تاريخ هذه الحوزة المعطاءة. فقسمنا أدوارها إلى ثلاثة أدوار رئيسية، ووضعنا لكل دور من هذه الأدوار محاوره الرئيسية وفصوله وأبوابه ومباحثه العامة، وسلطنا الأضواء على أبرز علمائها وآثارهم العلمية.. ولا ندعي أننا قد أحطنا بكل ما يتعلق بتاريخ هذه الحوزة العريقة والتي يمتد عمرها إلى أكثر من عشرة قرون من الزمن، وكُتِبَ عنها عشرات المؤلفات، بل الموسوعات الكبيرة والتي لم تترك أي جزئية إلّا وتناولتها بالبحث والدراسة.

إلّا أننا حاولنا أن نقتطف من كل بستان وردة لتتشكل عندنا باقة جميلة من تاريخ هذه الحوزة المباركة؛ نقدمها لعشاق العلم والمعرفة، ولطلّاب العلوم الدينية والباحثين والدارسين. آملين أن نكون قد أخلصنا العمل للّه سبحانه فيما بذلناه من جهد، لننال بذلك رضاه سبحانه (ورضاهُ غاية المنى).

نسأل اللّه أن يجعل عملنا هذا في ميزان حسناتنا يوم الحساب، وأن ينفع به الفضلاء والباحثين والدارسين لتاريخ العلم والعلماء.

وما توفيقي إلّا باللّه عليه توكلت وإليه أُنيب.

والحمد للّه رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين.

المؤلف

قم ـ ١٤٣٤ هـ = ٢٠١٣ م

الحوزة العلمية في النجف الأشرف

«الدور الأول»

الفصل الثالث: أوضاع حوزة النجف الأشرف بعد وفاة الشيخ الطوسي

المبحث الأول: استمرار الحركة العلمية في النجف ضمن اطار أفكار الشيخ الطوسي

المبحث الثاني: نجل الشيخ الطوسي (أبو علي الحسن بن محمد الطوسي‌رحمه الله ت ٥١٥ هـ) وزعامته لحوزة النجف

المبحث الثالث: انتقال الحوزة العلمية من النجف إلى الحلة بعد وفاة الشيخ بفترة وجيزة، أسبابها ونتائجها

المبحث الرابع: واقع الحركة العلمية في النجف الأشرف بعد انتقال الحوزة إلى الحلة

المدخل: أهمية حوزة النجف الأشرف

تعتبر حوزة النجف الأشرف وبأدوارها المتعددة من أهم الحوزات العلمية عند الشيعة الإمامية، بل هي الحوزة الأم لبقية الحوزات الشيعية الأُخرى.

ومن يسبر غور تاريخ هذه الحوزة المتمادي عبر القرون من الزمن، يلمس بوضوح مدى العطاء العلمي والفكري الذي انتجته هذه الحوزة المباركة، والقائمة الطويلة من الفقهاء والعلماء والمفكرين والأُدباء والشعراء.. الذين برعوا في مختلف شؤون المعرفة الإنسانية وخاصة في علوم الدين وما يتوقف على معرفتها من مقدّمات العلوم والمعارف، بالاضافة إلى اسهامات هذه الحوزة في الحياة السياسية والاجتماعية والمنعطفات والأحداث المهمة التي مرّت بها الأُمة الإسلامية، إذ نجد لها حضورا فاعلاً وصوتا عاليا في تلك الأحداث.

ولا زالت هذه الحوزة المباركة تزخر بعطائها الفكري والفقهي والأُصولي والفلسفي، ولا زال طلّاب العلم والمعرفة يردون إليها وينهلون منها ويصدرون عنها بعطاء وافر للأُمة الإسلامية.

لقد وفد على حوزة النجف الأشرف ومن انحاء البلاد الإسلامية ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[1] لطلب العلوم الدينية انطلاقا من الآية الكريمة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾[2].

---

(١) النور: ٣٧.

(٢) التوبة: ١٢٤.

فكانوا يقيمون في النجف الأشرف مدة قصيرة أو طويلة، حسب ظروفهم المادية والصحية، ويتلقون العلوم الدينية على علمائها ومحققيها. فمنهم من يبلغ مستوى المرجعية العامة، أو المرجعية العليا للحوزة العلمية، ومنهم من يبدع في التدريس والتحقيق.. ومنهم من ينصرف إلى الخطابة أو التأليف.. ومنهم من يعود إلى بلاده ودياره أو مكان آخر ـ ينتدب إليه كوكيل للمرجعية ـ لنشر الدعوة الإسلامية، وتوجيه وتوعية الناس، والقيام بمهمام الأنبياء والمصلحين من خلال دور العلم والمساجد والمجالس العامة...

لقد تخرّج من هذه الحوزة العلمية المباركة منذ تأسيسها عشرات المراجع الكبار ومئات المحققين والباحثين والمؤلفين، في شتى المجالات العلمية من الفقه والأُصول والتفسير والعقائد والفلسفة... «كما تخرج آلاف العلماء المرشدين والمبلغين من هذه الجامعة المباركة، وذهبوا إلى انحاء العالم الإسلامي، وتولّوا هداية الناس إلى الصراط المستقيم»[١].

فعن هذه الحوزة المباركة التي يمتد عمرها إلى ما يقارب العشرة قرون من الزمن، أو أكثر من ذلك، وعن ظروف تأسيسها، واستمرار الحركة العلمية فيها عبر علمائها وفقهائها ومدرسيها، وعن مدارسها، ومناهجها العلمية، ونتاجها العلمي والحضاري، وعن غيرها من أُمور تلامس موضوع بحثنا سوف ينتظم حديثنا ضمن فصول ومباحث، مختصرين بذلك كثيرا من المطولات التي كتبت حول هذه الحاضرة العلمية العريقة.

---

(١) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ٨، طبعة دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م.

الفصل الأول: نشأة مدينة النجف

ينص علماء اللغة على أن «النجف» و «النَجَفة» تعني المكان المرتفع الذي لا يعلوهُ الماء، وهي شبه التل...

يقول الأزهري: والنجفة التي بظهر الكوفة وهي كالمسناة تمنع مسيل الماء أن يعلو منازل الكوفة ومقابرها[1].

ويقول الدكتور جواد علي ـ بعد أن يستعرض كلمات اللغويين ـ «وفذلكة القول أن النجف إنما سمي بهذا الاسم لأنه يعني أرضا عالية معلومة تشبه المسناة تصد الماء عما جاورها، وينجفها الماء من جوانبها أيام السيول ولكنه لا يعلوها، فهي كالنجد والسد، وتغلب على شكلها الاستطالة دون الاستدارة.. وصفة النجف الحالية في استطالة أرضه تؤيد ذلك..»[2].

وقد أشار الشاعر النجفي الشيخ محمد السماوي في أُرجوزته إلى المعنى اللغوي للنجف بقوله:

النَجْـفُ اسـمٌ للمكـانِ المرتفِـع	او اســمُ عــينٍ بالميــاهِ تنــدفِع
أو المســنّاة بجنــب الشــاطي	أو ني وجف فـي لغـة الأنبـاط[3]

(١) ابن منظور، لسان العرب: ١٤ / ٥٦، والفيروزآبادي، القاموس المحيط: ٩١٨، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت، ٢٠٠٨ م، وابن فارس، معجم مقاييس اللغة: ١٠١٤، طبعة دار الفكر ـ بيروت، (د ـ ت).

(٢) جواد علي، موسوعة العتبات، قسم النجف: ١ / ٦٠ وما بعدها.

(٣) الحكيم ـ حسن، المفصل في تاريخ النجف الأشرف: ١ / ٨ عن السماوي في عنوان الشرف في وشي النجف: ٣.

وهنالك أسماء عديدة أُخرى تطلق على (النجف) وتعرف بها، إلّا أنها أقل شهرة واستعمالاً، منها: الغري: وتعني المطلي بالغراء، أو البناء الجميل الجيد العمارة، والغَريّان: بناءان مشهوران بالكوفة[1].

يقول الشرقي: وقد اختص بهذا الاسم مكانان بقرب النجف، فقد ذكر أن الغريين طربالان كالصومعتين بظهر الكوفة.. وقد مرَّ معن بن زائدة فرأى احداهما قد انهدم فأنشأ:

لو كـان شـيء لـه ألّا يبيـد علـى	مـرَّ الزمـان لمـا بـاد الغريـان
فَفَـرَّق الـدهرُ والأيـام بينهمـا	وكـلُّ إلـفٍ إلـى بـين وهجـران

ومن هنا يظهر أن أحد الغريين هدم وبقي الآخر، ولذلك ورد في كثير من النصوص التاريخية اسم الغري بصيغة المفرد[2].

ويلقب ساكن هذه الأرض المقدَّسة بهذين اللقبين أو بأحدهما فيقال: (النجفي، أو الغروي) نسبة إلى أرض النجف أو أرض الغري.

وهنالك أسماء أُخرى أقل شهرة من هذين الاسمين، بعضها لا زال متداولاً والبعض الآخر قد هجر تداوله، منها: الظهر، والجودي، والربوة، والمشهد، ووادي السلام، وبانقيا، واللسان..»[3].

---

(١) الفيروزآبادي، القاموس المحيط: ١٤٢٠.

(٢) الشرقي ـ علي، الأحلام: ٥١ ـ ٥٢، الطبعة الأُولى، بغداد ١٩٦٣ م.

(٣) الحكيم ـ عبد الهادي، حاضرة النجف الأشرف: ٢٦ ـ ٢٨، والحكيم ـ حسن، المفصل: ١ / ٩ وما بعدها.

* **نشأة مدينة النجف:**

تعتبر أرض النجف جزءا من أرض الحيرة والكوفة، ولذا قيل عنها: ظهر الحيرة أو ظاهرها، كما قيل لها: ظهر الكوفة أو ظاهرها، وارتبطت النجف تاريخيا بهاتين المدينتين، وكان ارتباطها بالحيرة في العصور التي سبقت الإسلام، وارتبطت بالكوفة في العصور الإسلامية، ولذا أطلق على أرض النجف لفظ (نجف الحيرة) و (نجف الكوفة)[1].

وقد أطلق المؤرخون واللغويون لفظ (نجف الكوفة) للتدليل على وحدة المنطقة، فيقول الزمخشري: (ونجف الكوفة علو من الأرض وغلظ)، وقد ورد لفظ (نجف الكوفة) في بعض أحاديث الأئمة من آل البيتعليهم السلام للتأكيد على قدسية الأرض وأهميتها الدينية.

ولما أخذت مدينة النجف الأشرف بعد تمصيرها في القرن الثاني الهجري، بالتوسع والنمو، طغت مكانتها على مدينتي الحيرة والكوفة، في الوقت الذي أخذت هاتان المدينتان بالضمور[2].

تقول الدكتورة سعاد ماهر: «لان اسم الحيرة تلاشى بمد الفتح الإسلامي وحلَّ محله اسم البقعة المختارة التي شرَّفها مرقد الإمام عليعليه السلام والتي أُخذت اسمها من اسم المنطقة كلها وهي النجف»[3].

---

(١) الحكيم، المفصل: ١ / ١٠.

(٢) الحكيم ـ حسن، المفصل: ١ / ١٧.

(٣) سعاد ماهر، مشهد الإمام علي في النجف: ٩٢.

المبحث الأول: تاريخ النجف الأشرف ومرقد الإمام علي عليه السلام

ويقترن اسم النجف الأشرف باسم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث شرفت أرضها وتربتها بجثمانه الطاهر، فهي مثوى الإمام عليه السلام ومحل دفنه.

حيث استجاب اللّه دعاء الإمام إذ نظر إلى (ظهر الكوفة) ـ أي النجف ـ فقال: «ما أحسن منظرك وأطيب قعرك، اللهم اجعل قبري بها»[1].

والذي يستفاد من بعض الروايات أن شيخ الأنبياء إبراهيم الخليل عليه السلام قد اتخذ هذه الأرض المقدّسة والتربة الطاهرة مسكنا، واشتراها من أربابها، ورغب في أن مَن يحشر منها يكون في ملكه، كما ذكر ذلك الشيخ الصدوق في آخر كتابه علل الشرائع، وذكره في معجم البلدان في بانقيا»[2].

كذلك روي أن أمير المؤمنين علي عليه السلام قد اشترى ما بين الخورنق إلى الحيرة، إلى الكوفة، أو ما بين النجف، إلى الحيرة إلى الكوفة من الدهاقين، بأربعين ألف درهم، واشهد على شرائه، فقيل له: اتشتري بهذا المال وليس تنبت...؟ قال: سمعت من رسول اللّه صلى الله عليه وآله يقول: «كوفان كوفان، يرد أوّلها على آخرها، يُحشر من ظهرها سبعون ألفا، يدخلون الجنّة بغير حساب، فاحببت أن يحشروا من ملكي»[3].

كذلك يستفاد من بعض الروايات ان هذه الأرض المباركة ـ النجف الأشرف ـ قد تضمنت جثامين بعض الأنبياء والأوصياء عليهم السلام قبل دفن الإمام علي فيها، منهم آدم

---

(١) محبوبة ـ جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٥.

(٢) المرجع نفسه: ١ / ١٣.

(٣) ابن طاووس ـ غياث الدين عبد الكريم، فرحة الغري: ١٠٩ ـ ١١٠، تحقيق: محمد مهدي نجف، طبعة العتبة العلوية ـ النجف، ١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ هـ

ونوح، وهود، وصالح...»[1].

وفي اختيار الإمام عليعليه السلام لهذه الأرض لكي تكون مدفنا له ولأوليائه روايات كثيرة جمع طرفا منها ابن طاووس في فرحة الغري، والتي منها:

رواية الشيخ المفيد في المزار، عن أبي عبد الله الصادقعليه السلام، قال: لما أُصيب أمير المؤمنينعليه السلام، قال للحسن والحسينعليهما السلام: غسّلاني وكفناني، وحنطاني، واحملاني على سريري، واحملا مؤخره تكفيان مقدمه، فإنكما تنتهيان إلى قبر محفور، ولحدٍ ملحود، ولبن موضوع، فألحداني وأشرجا عليَّ اللبن...»[2].

وفي رواية أن الإمامعليه السلام أمر ابنه الحسن أن يحفر له أربعة قبور، في أربعة مواضع: في المسجد، وفي الرحبة، وفي الغري، وفي دار جعدة بن هبيرة، وإنما أراد بهذا ألا يعلم أحد من أعدائه موضع قبره[3].

وبقي قبر الإمام عليعليه السلام مخفيا لا يزوره إلّا الأئمة من ولدهعليهم السلام وبعض الخواص من شيعته ومواليه، ففي بعض الروايات أنّ الإمام السجاد علي بن الحسينعليه السلام كان يقصد الكوفة سرا لزيارة الإمامعليه السلام بالزيارة المعروفة بـ (أمين اللّه)، والتي هي من الزيارات المعتبرة جدا، ولها فضل وثواب كبير[4].

وكان الأئمة يُعرِّفون خواص أصحابهم بموضع قبر أمير المؤمنين، فهذا الإمام زين العابدين يقول لأبي حمزة الثمالي: «هل لك أن تزور معي قبر جدّي علي بن أبي

---

(١) أُنظر: المصدر نفسه: ١٢١، ١٢٧ ـ ١٢٩، والفتلاوي ـ كاظم، مشاهير المدفونين في النجف: ١٧، ٤٥٣، طبعة النجف، العتبة العلوية، ٢٠١٠ م ـ ١٤٣١ هـ.

(٢) ابن طاووس، فرحة الغري: ١١٣ ـ ١١٤ عن مزار الشيخ المفيد: ٢٢٣.

(٣) المصدر نفسه: ١١٦.

(٤) المصدر نفسه: ١٣٢ وما بعدها.

طالب؟ يقول أبو حمزة: قلتُ: أجل، فسرتُ في ظلّ ناقته يحدّثني حتى أتينا الغريين.. فنزل عن ناقته.. وقال يا أبا حمزة: هذا قبر جدي علي بن أبي طالب، ثمّ زارهُ بزيارة أولها: السلام على اسم اللّه الرضي، ونور وجهه المضيء.. ثمَّ ودعه ومضى إلى المدينة، ورجع أبو حمزة إلى الكوفة»[1].

كذلك فعل الإمام الباقر محمد بن عليعليه السلام إذ زاره جدّه مع أبيه السجاد، وزاره بنفسه أيضا وعرَّف بقبره لخواص شيعته[2].

وفي عصر الإمام الصادق جعفر بن محمدعليه السلام ـ ولأسباب موضوعية ـ أخذ التعريف بمكان القبر وموضعه يتسع ليشمل طبقة أوسع من طبقة خواص الشيعة، وأصبح التوجه للزيارة والحضور عند القبر الشريف يأخذ طابع العلن.

يقول الراوي: رأيت جعفر بن محمد وعبد اللّه بن الحسن بالغري عند قبر أمير المؤمنينعليه السلام، فأذَّن عبد اللّه وأقام الصلاة، وصلّى مع جعفر بن محمد، وسمعت جعفرا يقول: «هذا قبر أمير المؤمنينعليه السلام»[3].

وهنالك روايات كثيرة يذكرها ابن طاووس عن الإمام الصادقعليه السلام في تعيين مكان قبر الإمام الإمام عليعليه السلام وفي كل رواية يختلف الراوي والمصاحب للإمام في زيارته، إلّا أنها جميعا تروي عن الإمام قوله: «هذا قبر علي بن أبي طالبعليه السلام، أو هذا موضع قبر أمير المؤمنينعليه السلام»[4].

ولم تكن النجف من المدن العامرة قبل الإسلام، وإنما كانت أرضها بمثابة الفلاة

---

(١) ابن طاووس، فرحة الغري: ١٤٣.

(٢) المصدر نفسه: ١٤٤ وما بعدها.

(٣) المصدر نفسه: ١٦٠ ـ ١٦١.

(٤) المصدر نفسه: ١٥٩ وما بعدها.

المحيطة بالكوفة والحيرة، «وابتدأت أهمية النجف عندما خُط فيها المرقد الشريف ـ للإمام علي بن أبي طالبعليه السلام ـ عام (٤٠) للهجرة، وقد كان ذِكْرا فقط لم تقم عليه أمارة أو عمارة بل سوي مع الأرض، وبقي سرا مكتوما.. ويقال أن ظهوره الأول كان في عهد المنصور العباسي يوم كان في الهاشمية حيث يجيء داود بن علي بن عبد اللّه بن العباس ويجعل على القبر الشريف صندوقا خشبيا، وفي عهد الرشيد أنشأ رواق، عقدت عليه قبة، وفي حدود سنة (٢٧٣) للهجرة جاء محمد بن زيد بن محمد بن إسماعيل المعروف بالداعي الصغير ملك طبرستان فبنى على المشهد حائطا، وفي سنة (٣٣٨) هجرية بنى أبو علي عمر بن يحيى قبة بيضاء على المشهد العلوي، وتجمعت حول المشهد دويرات للهلاك والمنقطعين من الشيعة.

وفي أواخر القرن الرابع انبعثت الأمارة الشيعية وتكاثرت العمارة حول المشهد، وجاءت أمارة آل بويه وعزم عضد الدولة البويهي على إقامة أعظم عمارة للنجف، فبذل أموالاً طائلة وجلب البنائين ومواد البناء والصنّاع وأهل الخبرة... وأقام عضد الدولة أمام الرواق بهوا كان يجلس فيه متأدبا لقضاء الحوائج، وفي هذا البهو وتحت الرواق عقدت حفلة للتدشين، تلك الحفلة التاريخية التي حضرها الأُمراء والنقباء والعلماء، وهناك القى الحسين بن الحجاج قصيدته المشهورة.

يا صاحب القُبة البيضا على النَجفِ ... من زار قبرك واستشفى لديك شفي

وتمكثت عمارة عضد الدولة إلى ما بعد القرن الثامن للهجرة وفي خلال هذا التاريخ جددت ورسمت من قبل بعض النابهين، وفي أوائل القرن الحادي عشر أُقيمت هذه العمارة الماثلة اليوم وهي العمارة الصفوية...»[1].

---

(١) علي الشرقي، الأحلام: ٥٢ ـ ٥٣.

وما ذكره مختصرا الشيخ الشرقي حول عمارة المشهد العلوي الشريف نجده مفصلاً في عشرات المصادر والمراجع القديمة والحديثة التي تحدثنا عن النجف الأشرف وتطور الحياة الحضرية فيها، وعن مرقد الإمام عليعليه السلام وما جدد وأُضيف إليه من بناءٍ وتوسعة، مما لا يسع ذكرها في هذا المختصر(١).

قال السيّد ابن طاووس في فرحة الغري: «ولو أخذنا في ذكر من زاره وعَمَّرهُ، وتقرب إلى اللّه تعالى بذلك [لأطلنا فيه] من الملاك، والعظماء، والوزراء، والأُدباء، والقضاة، والفقهاء، والعلماء، والمحدّثين النبلاء»(٢).

المبحث الثاني: منطلق الحركة العلمية في النجف الأشرف

مما يميّز مدينة النجف الأشرف عن غيرها من المدن الإسلامية العريقة أنها مثوى باب علم رسول اللّهصلى الله عليه وآله حيث تشرفت بمرقد علي بن أبي طالبعليه السلام، فأصبحت ـ وبمرور الزمن ـ مهوى قلوب العارفين والعابدين وطلّاب العلم والمعرفة والفضيلة، فتكوَّن فيها أكبر مركز علمي، وأصبحت المقر والمركز للمرجعية الدينية؛ والتي ترعى بدورها حوزتها العلمية الكبرى وتدير شؤون الشيعة في العالم الإسلامي من خلال وكلائهم ومعتمديهم.

فوجود مرقد الإمام عليعليه السلام، بالاضافة إلى الاستقرار السياسي ـ النسبي ـ في هذه المدينة، وكونها وريثة الإرث الحضاري لمدينتي الحيرة والكوفة وغيرها من العوامل

---

(١) للتوسع أُنظر: ابن طاووس، فرحة الغري: ٢٦٦، ٢٧٣ ـ ٢٧٤، ٢٨٥ ـ ٢٨٦ و ٢٩٢ وما بعدها، وجعفر الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة، قسم النجف، المجلد الأول والثاني، وجعفر آل محبوبة، ماضي النجف وحاضرها، المجلد الأول، وحسن الحكيم، المفصل في تاريخ النجف الأشرف، المجلد الأول.

(٢) ابن طاووس، فرحة الغري: ٢٩٧.

هي التي أوصلت هذه المدينة إلى مكانتها المتميزة من بين المدن الأُخرى[1].

وللحياة الفكرية والعلمية في هذه المدينة منطلق تاريخي بدأت منه، لابد لنا من تحديده ومن ثمّ نستعرض المراحل والأدوار العلمية التي مرّت بها ضمن تاريخها العلمي البارز.

وينبغي أن نشير إلى أن هجرة الشيخ الطوسي محمد بن الحسن (ت ٤٦٠ هـ) إلى هذه المدينة والذي كان في سنة (٤٤٨ هـ) بعد تلك الفتن والأحداث الدامية التي شهدتها بغداد بعد سقوط الدولة البويهية وقيام دولة السلاجقة.

تعتبر ـ هذه الهجرة ـ عند المؤرخين المنطلق للحياة العلمية في النجف الأشرف وهي الحد الفاصل بين مرحلتين:

الأُولى: مرحلة ما قبل هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف.

والثانية: مرحلة ما بعد هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف.

حيث يتفق الجميع على أن هجرة الشيخ إلى النجف قد حرك فيها الجو العلمي، وانبثقت فيها حركة علمية تكاملية منظمة.

والسؤال الذي يطرح عادة يتجه إلى مرحلة ما قبل هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف وعن واقع الحركة العلمية فيها، فهل كانت هنالك حركة علمية قبل هجرة الشيخ إليها؟

والذي يبدو ـ ومن خلال تتبع كلمات الباحثين ـ ان هنالك اتجاهات وآراء متعددة في بيان الواقع العلمي لهذه المدينة قبل حلول الشيخ الطوسي فيها.

---

(١) للتوسع أُنظر: فخر الدين ـ محمد جواد، تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي: ٢٨٥ وما بعدها، طبعة دار الرافدين ـ بيروت، ٢٠٠٥ م ـ ١٤٢٦ هـ

ولكل اتجاه ولصاحب كل رأي أدلته التي يستند إليها، ومن هذه الاتجاهات:

١ ـ الاتجاه الأول: يرى «ارجاع تأسيس الجامعة النجفية إلى عهد الإمام علي عليه السلام» الذي هو أول من شيّد ركنها الأساسي، ووضع حجرها الذهبي..»[١].

وقد حاول أن يحشد الأدلة والمؤيدات الكثيرة لاثبات هذا الرأي، ومن أهمها: «وحدة النجف والكوفة ـ وان اشتمل كل منهما بتاريخ واسم خاص ـ إلّا أنه لا فرق بين هذه وتلك ـ إلّا بالاسم ـ وإن الكوفة ما بدأت بالتقهقر والنجف بالتقدم، إلّا بعد أن اتصلتا وكلفت الأُولى الثانية برعاية المدرسة الدينية وحفظ حوزتها العلمية، التي بذر نواتها الإمام علي بن أبي طالب».

ومنها: اشتهار الكوفة بالعلوم الإسلامية من الحديث والفقه والفنون العربية...

ومنها: كون الكوفة معروفة بالعلوية والتشيع...

ومنها: كونها مركز تلامذة الإمام علي والأئمة من بعده عليهم السلام.

بالاضافة إلى وجود بعض نقابة الأشراف، ووجود العلماء والفقهاء الذين بلغ عدد من أكرم منهم من قِبلَ عضد الدولة البويهي الكثير بحسب رواية ابن طاووس في فرحة الغري..[٢].

٢ ـ الاتجاه الثاني: ويرى هذا الاتجاه «أن النجف كانت قاحلة علميا، وعند هجرة الشيخ الطوسي إليها أوجد فيها حركة علمية»[٣].

---

(١) شمس الدين ـ محمد رضا، حديث الجامعة النجفية، منشور في فصلية آفاق نجفية: العدد ٢٢، ص ٢٢١، السنة السادسة، ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م.

(٢) المرجع نفسه: ٢٢٢ وما بعدها، وأُنظر: ابن طاووس، فرحة الغري: ٢٩٢ ـ ٢٩٣.

(٣) الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة، قسم النجف / ٢، المجلد السابع: ١١ مقال السيّد محمد بحر العلوم.

٣ ـ الاتجاه الثالث: ويرى صاحب هذا الاتجاه، أن الحوزة العلمية في النجف الأشرف تأسست على يد الشيخ المفيد، أُستاذ الشيخ الطوسي، وذلك عندما انتقل إليها من بغداد أو (عند نفيه منها..) من قبل السلطة المسؤولة، وذلك بسبب ما حصل هنالك من الاختلافات والثورات الطائفية فاختار الشيخ ـ المفيد ـ النجف الأشرف، حيث قلة الضوضاء وفراغ البال...»[١].

٤ ـ الاتجاه الرابع: ويرجع صاحب هذا الاتجاه تأسيس حوزة النجف الأشرف إلى عهد الدولة البويهية وتحديدا إلى أيام عضد الدولة البويهي، ويرى «أن انتقال الشيخ المفيد إلى النجف كان برغبة من البويهيين الذين يؤيدون المذهب الشيعي ـ ولم يكن تبعيدا قسريا للشيخ عن بغداد ـ ولقد حدثتنا المصادر بأن في أيام عضد الدولة نشطت الحركة العلمية في بغداد وغيرها، وكان نصيب النجف الأشرف كبيرا، فقد كان يرغب في تأسيس حركة مناهضة للحركة العلمية في بغداد، بدافع العقيدة، ولذا أخذ يبذل الأموال الطائلة في تشييد مرقد الإمام علي عليه السلام والاهتمام بالعلماء الذين فيها»[٢].

٥ ـ الاتجاه الخامس: ويرى أو يحتمل صاحب هذا الرأي والاتجاه أن تأسيس الحوزة العلمية في النجف الأشرف يعود إلى عهد الصفويين أو الدولة الشيعية الصفوية في العراق في القرن العاشر للهجرة! «وهذا الرأي كان يظهره ويقربه آثار الصفويين في العراق وخدماتهم للعتبات المقدّسة، ومدّ الطلّاب في النجف بالأموال وبناء المدارس والمساجد لهم فيها..»[٣].

---

(١) الخليلي، موسوعة العتبات المقدّسة: ٧ / ١٥ ـ ١٦ وحديث الجامعة النجفية: ٢٢٨.

(٢) المرجع نفسه: ٧ / ١٦.

(٣) شمس الدين، حديث الجامعة النجفية: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

٦ ـ الاتجاه السادس: ويرى أصحاب هذا لاتجاه ـ وهم نخبة من العلماء والباحثين ـ أن مؤسس الحوزة العلمية في النجف الأشرف هو الشيخ محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ)، بعد أن هاجر إليها واتخذ منها مسكنا عام (٤٥٨ هـ)، ولا ينكر أصحاب هذا الرأي وجود نواة لحركة علمية قبل الشيخ الطوسي، نجهل امتدادها الزمني، بل يقر بوجودها استنادا إلى المعطيات التاريخية التي تتحدث عن سدانة المشهد العلوي، ووجود علماء وفقهاء شملتهم هبات عضد الدولة البويهي عند زيارته للنجف، وحصول البعض على اجازة الرواية في المشهد العلوي، بالاضافة إلى بعض النصوص الشعرية والأدبية..[١] كل هذه الشواهد تشكل نوع أدلة على وجود حركة علمية في النجف الأشرف قبل هجرة الشيخ إليها، إلّا أنها لم تكن حركة علمية منظمة من حيث مناهج الدرس وترتيب الحلقات الفكرية، وتوزيع الرواتب الشهرية على الأساتذة والطلّاب، كما هو في بغداد على عهد الشريف المرتضى ومن قبله الشيخ المفيد،.. وإنما كان للشيخ الطوسي الفضل في ذلك، فحول تلك الحركة العلمية البسيطة المشتتة إلى حركة منظمة متطورة، من خلال وضع مناهج معينة للدراسة، والانفاق الشهري على الأساتذة والتلاميذ، ولهذا يمكن القول أن الشيخ الطوسي هو المؤسس للنجف الأشرف كجامعة على غرار مسجد الكوفة والبصرة[٢].

وذهب إلى هذا الرأي الأخير «جمع من العلماء منهم السيّد الصدر العاملي، والشيخ آقا بزرك الطهراني، والشيخ محمد باقر محبوبة صاحب كتاب ماضي النجف وحاضرها»[٣].

وهذا الرأي هو الرأي الأقرب للواقع إذ إن وجود بعض طلّاب العلم في النجف

---

(١) للتوسع أُنظر: الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ١٩ وما بعدها.

(٢) الدجيلي ـ جعفر، موسوعة النجف الأشرف: ٦ / ٢٧ ـ ٢٩ بتصرف.

(٣) المرجع نفسه: ٦ / ٣٠ هامش رقم ١.

قبل مجيء الشيخ الطوسي إليها لا ينافي ذلك، فهؤلاء رواة أحاديث وحفظة أحاديث.. بخلاف طريقة الشيخ الطوسي التي هي طريقة الأُصوليين والدراسة في النجف اليوم[1].

المبحث الثالث: مجمل أدوار مدرسة النجف الأشرف

قسّم بعض الباحثين أدوار الجامعة النجفية إلى أربعة أدوار، وأبرز لكل دور سماته ومعالمه التي تميزه عن الأدوار السابقة أو اللاحقة له[2].

إلّا أنّ باحثا آخر حصرها في ثلاثة أدوار فقال: «أدوار الجامعة النجفية خلال مسيرتها العلمية الطويلة ـ والتي تكاد تدق أبواب الألف عام ـ تمر بأدوار يمكننا أن نحصرها بثلاثة أدوار مهمة نعرضها بايجاز..»[3].

وعلى أساس هذا التقسيم الثلاثي سوف نوجز الكلام لهذه الأدوار الثلاثة في هذه الحوزة الكبرى، مع بعض الاضافات والتوضيحات اللازمة.

مجمل أدوار حوزة النجف الأشرف:

الدور الأول:

يبدأ الدور الأول، بانتقال الشيخ محمد بن الحسن الطوسي إليها سنة (٤٤٨ هـ) بعد تلك الفتنة الهوجاء التي حلّت ببغداد بعد أن انتهت الحقبة البويهية من الحكم العباسي، وجاءت الحقبة السلجوقية لتصب جام غضبها على كلِّ ما يمت إلى الشيعة

---

(١) شمس الدين، حديث الجامعة النجفية: ٢٢٧.

(٢) المرجع نفسه: ٢٢٠.

(٣) بحر العلوم ـ محمد، الدراسة وتاريخها في النجف، بحث منشور في موسوعة العتبات المقدّسة، قسم النجف: ٧ / ٣٧ وما بعدها.

والتشيع بصلة، فأحدثوا فتنة طالت دور العلم والعلماء والمكتبات ودور العبادة، وتمّ الاعتداء على منزل الشيخ الطوسي فأحرقت مكتبته وكرسي الكلام الذي كان يجلس عليه لالقاء محاضراته العلمية، فلم يكن أمام الشيخ الطوسي إلّا أن يترك بغداد صوب مدينة علي عليه السلام ولسان حاله يقول:

بقبــرك لــذنا والقبــور كثيــرة ولكن مــن يحمـي الجـوار قليـل

يقول الدكتور مصطفى جواد: «إنّ خروج الشيخ الطوسي من مدينة بغداد ولجوءه إلى مدينة النجف الأشرف لم يكن طبيعيا، بل رحل عنها مطلوبا مطاردا، ومبتعدا عن الفتن والاضطرابات التي تجددت هناك..»[١].

وأما الأسباب التي دعت الشيخ الطوسي لاختيار النجف الأشرف محلاً لهجرته دون غيرها من البلدان فيمكن اجمالها بما يلي:

أولاً: العامل الفكري:

كانت مدينة النجف في القرن الخامس الهجري خاليةً من التنافس المذهبي والصراع الفكري، كما كانت تفتقد إلى وجود طبقة من كبار العلماء والمفكرين، أو من الأعلام الذين يرتكز عليهم فن المناظرة والجدل...

ثانيا: العامل السياسي:

إنّ موقع مدينة النجف الجغرافي أهلّها لأنّ تكون ملجأً لمن تعصف بهم الظروف السياسية والفكرية والاجتماعية، وذلك لبعدها عن بغداد ولوقوعها في طرف الصحراء مما جعلها في عُزلة عن مراقبة السلطة.

---

(١) مصطفى جواد، مقال نظرات في الذريعة، مجلة البيان، العدد السادس، السنة الأُولى، ص ١٣٣.

ثالثا: العامل المذهبي:

كما أن وقوع النجف على مقربة من مدينة الكوفة والمدن الفراتية الأُخرى، المعروفة بالتشيع.. بالاضافة إلى خُلوها من علماء المذاهب الإسلامية الأُخرى. من العوامل المساعدة لاختيار الشيخ الطوسي هذه المدينة مسكنا، ومركزا ملائما لنشر العلوم الإسلامية الشيعية.

رابعا: وجود نواة الحركة العلمية:

ان مما شجع الشيخ الطوسي على الهجرة إلى النجف الأشرف وجود حركة علمية فيها وإن لم تكن واسعة، فأراد احتضانها وتنميتها وتطويرها لأنها تستند لعلوم أهل البيت عليهم السلام[1].

إلّا أنّ النصوص التاريخية لا تشير إلى وجود مدرسة منظمة في هذه المدينة قبل حلول الشيخ بها، وإنما مجرد نواة وأرضية علمية خصبة استطاع الشيخ ببراعة أن يجعل منها حاضرة علمية كبرى، ومركزا مهما من مراكز العلوم الإسلامية. وكلمات بعض الباحثين تشير بوضوح إلى هذه الحقيقة، يقول الدكتور مصطفى جواد: «إن الشيخ الطوسي وضع الأساس لجامعة النجف»[2]. ويقول باحث آخر: «هو ـ أي الشيخ الطوسي ـ أوّل من جَعَل النجف مركزا علميا»[3]، فيما ينص باحث ثالث على: «أن النجف أصبحت جامعة في العالم الإسلامي بعد أن وضع حجرها الأساس الشيخ الطوسي»[4].

---

(١) الحكيم ـ حسن، المفصل في تاريخ النجف: ٤ / ٢٨ ـ ٢٩ بتصرف.

(٢) مصطفى جواد: مقال نظرات في الذريعة، منشور في مجلة البيان، العدد ٦، السنة الأُولى، ص ١٣٣.

(٣) الخياباني، ريحانة الأدب: ٢ / ٣٩٩.

(٤) بحر العلوم ـ محمد، مقدمة رجال الطوسي: ١٨.

ويصرح السيّد الغروي بهذه الحقيقة بقوله: «.. فعندما حلّ شيخ الطائفة في النجف الأشرف أسس الحوزة العلمية الدينية فيها، بعد أن كانت خالية من حلقات البحث والتدريس والاستفادة»[١].

ويعتبر هذا الرأي هو الرأي الوسط بين الرأي الذي يدعي وجود حركة علمية واسعة في النجف لها علماؤها ومناهجها وطلّابها، وإن دور الشيخ الطوسي فيها هو دور التنظيم للوضع الدراسي فيها، وابرازها كمدرسة عالمية[٢].

وبين من يرى: «أن النجف قبل أن ينتقل إليهاِ الطوسي لم تكن إلّا مزارا ومدفنا حول القبر، «و» جماعة من المجاورين لا عمل لهم إلّا خدمة الزوار القاصدين، وهي يومئذ قرية في طرف ناءٍ عن العمران والبلاد المأهولة»[٣].

ومهما يكن من أمر، فإن الدور الأول من أدوار حوزة النجف الأشرف تبدأ بمؤسسها الشيخ محمد بن الحسن الطوسي، وتستمر من بعده من خلال النابهين من تلامذته وتلامذة تلامذته...

ثمّ يأتي عصر المحقق أحمد الأردبيلي الذي توفي (٩٩٣ هـ). ليبدأ به الدور الثاني، ويستمر من خلال بعض أعلام القرن العاشر والحادي عشر الهجري، إذ تنحسر عنها الأضواء في المنتصف الثاني من القرن الحادي عشر بعد ظهور المدرسة الأخبارية وانتقال ساحة الصراع الفكري إلى مدينة كربلاء حيث سكنها قطبا هذا الصراع، الشيخ يوسف البحراني، والشيخ الوحيد البهبهاني اللذان يمثلان تيارين

---

(١) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ٣٦.

(٢) الحكيم، المفصل في تاريخ النجف: ٤ / ٢١١.

(٣) المظفر ـ محمد رضا، مؤسسة جامعة النجف، العدد الرابع، السنة الثانية، ص ٣ عن تاريخ النجف لفخر الدين.

فكريين علميين على الصعيد الفقهي لمدرسة أهل البيت.

وبعد انتهاء الصراع الأُصولي الاخباري، بانتصار المدرسة الأُصولية، عاد بعض طلّاب الوحيد البهبهاني إلى النجف الأشرف عند حلول القرن الثالث عشر الهجري ليبدأ بهم الدور الثالث، الذي استمر إلى يومنا هذا، حيث ازدادت حركتها، وتوسعت مجاميعها الطلابية، وشيّدت فيها المدارس ودور العلم والمكتبات، كما أنها أصبحت مقر المرجعية الدينية.

هذا مجمل أدوار مدرسة النجف الأشرف، والتي تحتاج إلى بعض التفصيل من خلال بيان بعض الخصائص العلمية لكل مرحلة، وأهم علمائها ونتاجهم العلمي، كذلك تسليط الأضواء على مدارسها ومكتباتها ودور العلم فيها، وذلك من خلال بحوث مركزة.

الفصل الثاني: حوزة النجف الأشرف في دورها الأول

المبحث الأول: جهود الشيخ الطوسي في ترسيخ الحركة العلمية في النجف

تعد هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف الأشرف من الأحداث المهمة في تاريخ تلك المدينة، إذ إنه واصل نشاطه العلمي والتعليمي في موطنه الجديد.. «ويظهر نشاط الشيخ الطوسي في التعليم.. من كتابه الموسوم بـ «الأمالي» وهي الدروس التي كان يمليها على طلّابه، ويظهر من مقدّمات تلك الدروس أن معظمها ألقيت في مشهد الغري أو النجف.. إن انتقال الطوسي إلى مشهد علي عليه السلام وقيامه بالتدريس هناك لهما أثر كبير في تنظيم الدراسة وتقدمها عند الإمامية»[1].

*** الجهود التأليفية للشيخ الطوسي في النجف:**

الذي يبدو أن الشيخ الطوسي قد بدأ نشاطه العلمي في النجف الأشرف من خلال حلقة درس أملى فيها محاضراته على تلامذته والذي نتج عنها كتابه المعروف بـ (الأمالي) أو (المجالس) والذي هو عبارة عن مجالس عُقدت في مشهد الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

يقول محقق كتاب الأمالي في طبعته الجديدة: «وكتاب «الأمالي» أو «المجالس» للشيخ الطوسي عبارة عن مجالس عُقدت في مشهد الإمام علي بن أبي طالب في النجف الأشرف، وهي تعطي دلالة على انتظام الوضع الدراسي، وإعادة الحركة

---

(١) الفياض ـ عبد الله، تاريخ التربية عند الإمامية: ٢٨٩ ـ ٢٩٠.

العلمية من جديد في النجف، بعد النكسة التي أصابتها في حوادث بغداد عام (٤٤٨ هـ)، وممّا يبدو أن الشيخ الطوسي قد أملى على طلّابه في النجف، وكان من ضمنهم ولده أبو علي الذي قام بدوره في املائها على تلاميذه فيما بعد، فرويت عن مؤلّفها بواسطته، ولا يمنع ذلك أن يوجد من شارك أبا علي في السماع من أبيه الشيخ الطوسي تلك الأمالي، إلّا أنّ الذي حدّث بها عن المؤلف هو ولده أبو علي فحسب، ممّا جعل بعض الباحثين يعتقد نسبة هذه الأمالي للشيخ أبي علي الطوسي..»[1].

ومن الخصوصيات المهمة لهذه الأمالي أنها مؤرخة بالشهر والسنة بالاضافة إلى ذكر أيام الاملاء ـ غالبا ـ فيتسفيد منها الباحث تعاقبها الزمني، حيث كانت هذه المجالس تعقد مستمرة في أيام الجمع وعلى مدار أيام السنة، «وقد استغرق املاء كتاب الأمالي.. مدّة ثلاث سنوات، لأنه أملى المجلس الأوّل من القسم الأوّل في شهر ربيع الأوّل من سنة (٤٥٥ هـ)، وختم المجلس السابع والعشرين من القسم الثاني في يوم الجمعة السادس من صفر سنة (٤٥٨ هـ)»[2]، بالاضافة إلى ما تضمنته هذه الأمالي من الأحاديث النبوية وجانبا من السيرة النبوية وروايات الأئمة، والأدعية المأثورة، كما أن للتاريخ فيها المجال الأوسع، معتمدا في مصادره ـ في الأغلب الأعم ـ على السماع من مشايخه كالمفيد، وابن عبدون.. وغيرهما.

كما أن هنالك كتاب: شرح الشرح في علم أُصول الفقه، الذي يبدو أنه شرع في تأليفه في النجف الأشرف ولم يتمه؛ «يقول تلميذه الحسن بن مهدي السليقي أن من مصنفاته التي لم يذكرها في الفهرست كتاب شرح الشرح في الأُصول، وهو كتاب

(١) الطوسي، الأمالي: ٢١ ـ ٢٢ المقدمة، طبعة مؤسسة البعثة ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٤ هـ وللتوسع أُنظر: آقا بزرك الطهراني، الذريعة ٢ / ٣٠٩ وما بعدها.

(٢) الأمالي، المقدّمة: ٢٢ ـ ٢٣.

مبسوط أملى علينا منه شيئا صالحا، ومات﵀ ولم يتمه، ولم يصنّف مثله»[1].

كما أن كتاب: اختيار الرجال، وهو كتاب رجال الكشي الموسوم بـ «معرفة الناقلين»، لأبي عمرو محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي المعاصر لابن قولويه المتوفى سنة (٣٦٩ هـ) والراوي كل منهما عن الآخر، من النتاج العلمي للشيخ الطوسي خلال هذه الفترة، «كان هذا الكتاب كثير الأغلاط ـ كما ذكره النجاشي ـ لذلك عمد شيخ الطائفة ـ الطوسي ـ إلى تهذيبه وتجريده من الأغلاط وسماه بذلك، وأملاهٔ على تلاميذه في المشهد الغروي، وكان بدء املائه يوم الثلاثاء (٢٦) صفر سنة (٤٥٦ هـ)، كما حكاه السيّد رضي الدين بن طاووس في (فرج المهموم).. والنسخة المطردة المعروفة برجال الكشي هي عين اختيار شيخ الطائفة، وأما الأصل فلم نجد له أثرا»[2].

ومن الباحثين من ينص على أن يكون للسنين التي قضاها الشيخ الطوسي في النجف أثرها الكبير في شخصيته العلمية التي تمثّلت في كتاب «المبسوط» وهو آخر ما أ لّفه في الفقه، كما نص على ذلك ابن ادريس في بحث الأنفال من السرائر، بل آخر ما أ لّفه في حياته كما جاء في كلام مترجميه»[3].

هذه العناوين هي كلّ ما يمكن احصاؤه من آثار الشيخ الطوسي في فترتها الغروية النجفية حيث استمر في تدريسه، والقاء محاضراته حتى أواخر حياته، فيقول ابن شهريار الخازن ـ وهو من تلامذة الشيخ الطوسي ـ: «حدّثنا الشيخ أبو جعفر محمد

---

(١) آقا بزرك الطهراني، مقدمة كتاب النهاية: ق، طبعة دار الكتاب العربي.

(٢) آقا بزرك الطهراني، مقدمة النهاية: ن ـ س، وأُنظر الذريعة: ١ / ٣٦٥ ـ ٣٦٦، وابن طاووس، فرج المهموم: ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٨٣.

بن الحسن بن علي الطوسيﷺ بالمشهد المقدس الغروي وعلى ساكنه أفضل الصلوات في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة»[1] أي قبل سنتين من وفاته سنة (٤٦٠ هـ).

ويلاحظ الدارس ظاهرة غريبة في حياة الشيخ في الفترة الأخيرة التي عاشها في النجف الأشرف، وخلص فيها كليا للدرس والمحاضرة، هي قلة انتاجه الفكري رغم أنها فترة امتدت نحو اثنى عشر عاما،.. ولعل هذا ناتج من قناعته بكفاية انجازاته الفكرية في بغداد. إذ هو بما تميزت به آثاره من غزارة وتنوع قد شارك بكثير من الأصالة والابداع والتجديد في تحديد الاتجاه العام للثقافة الإسلامية في زمنه، وتحديد مستقبلها كذلك، وقد بقيت آراء الشيخ الطوسي في القضايا الرئيسية الفقهية والأُصولية تتمتع بنوع من الاكبار لدى الأُصوليين والفقهاء دهرا طويلا»[2].

المبحث الثاني: تلامذة الشيخ الطوسي في النجف الأشرف

كان الشيخ الطوسي محمد بن الحسن، وبعد وفاة أُستاذيه المرجعين (المفيد والمرتضى) يمثل المرجعية العامة للشيعة الإمامية، والتي كان مركزها بغداد عاصمة الدولة الإسلامية، وبانتقال الشيخ منها انتقلت معه المرجعية العامة إلى النجف الأشرف، فحل فيها كمرجع للشيعة بلا منافس؛ وكقطب من أقطابها الفكرية والعلمية والتي لا يدانيه فيها أحد.

فمن الطبيعي أن يكون الشيخ الطوسي في مركزه العلمي الجديد النجف الأشرف

---

(١) ابن طاووس، مهج الدعوات: ٢١٨.

(٢) الحكيم ـ حسن، الشيخ الطوسي: ١٠٥ ـ ١٠٦، طبعة مطبعة الآداب ـ النجف، الطبعة الأُولى، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥م.

مركز استقطاب يتوافد عليها طلّاب العلم والمعرفة للأخذ من نمير علمه، وهذا ما تشير إليه ـ إجمالاً ـ كلمات بعض الباحثين، فيقول الشيخ الطهراني: «وأخذت تشد إليها ـ أي النجف ـ الرحال، وتعلق بها الآمال، وأصبحت مهوى رجال العلم ومهوى افئدتهم وقام بها صرح الإسلام»[1].

ويقول السيّد الخوئي في ترجمة الشيخ الطوسي: «فقد أسس الشيخ في مشهد أمير المؤمنين عليه السلام مدرسة ما أعظمها وأجل شأنها، فقد تخرّجت عليه كثير من الفقهاء والمجتهدين، ومن العلماء والمفسرين والمتكلمين»[2].

ويقول باحث آخر: «ومنذ أن حل الشيخ الطوسي أرض النجف أصبحت مقصد الأُدباء والعلماء والفقهاء من كل حدب وصوب، وصارت النجف منذ ذلك الوقت مركزا رئيسيا من مراكز الدرس والبحث والعناية بتدريس فقه المذهب الجعفري»[3].

إلّا أنّ هذا الاجمال لا يعطينا صورة واضحة عن عدد تلامذة الشيخ الطوسي في النجف الأشرف، ومن تتلمذ عليه فيها، أو انتقل من بغداد إليها!

في الوقت الذي تشير بعض النصوص إلى أن عدد تلامذة الشيخ الطوسي من الشيعة بلغ ثلاثمائة تلميذ! واما من السنة فلا يحصى[4].

وهذا العدد الذي تكاد المصادر أن تجمع عليه نراها عند تعداد أسمائهم لا تصل بهم إلى أكثر من ستة وثلاثين اسما!

---

(١) الطهراني ـ آقا بزرك، مقدمة البيان: ١ / هـ.

(٢) الخوئي ـ أبو القاسم، معجم رجال الحديث: ١٥ / ٢٧٤.

(٣) حسين أمين، الحياة الثقافية في العصر البويهي: ٢٨٣.

(٤) الطهراني ـ آقا بزرك، مقدمة تفسير التبيان: ١ / هـ ومحمد بحر العلوم، الدراسة وتاريخها: ضمن موسوعة العتبات: ٧ / ٢٣.

ولابد ان نتساءل عن هذا العدد من الطلّاب والمحصلين، هل هم من أركان حوزته العلمية في بغداد، وقد انتقلوا إلى النجف؟ أو أنهم نشأوا في النجف، ونمت الحوزة بهم على عهده بالتدريج، بحيث برز فيها العنصر المشهدي ـ نسبة إلى المشهد العلوي ـ والعنصر الحلي..[1]؟

رجّح السيّد الصدر أن الشيخ بهجرته إلى النجف انفصل عن حوزته الأساسية ـ ببغداد ـ وأنشأ في هجرته حوزةً جديدةً، مستندا في ترجيحه إلى عدّة مبررات يمكن تلخيصها بما يلي:

أولاً: إن مؤرخي هجرة الشيخ الطوسي إلى النجف لم يشيروا اطلاقا إلى أنّ تلامذة الشيخ الطوسي في بغداد رافقوه، أو التحقوا به فور هجرته إلى النجف.

ثانيا: ان قائمة تلامذة الشيخ التي يذكرها مؤرخوه، لا تشير إلى مكان التلمذة إلّا بالنسبة إلى شخصين جاء النص على أنهما تلمذا على الشيخ في النجف، وهما: الحسين بن المظفر بن علي الحمداني، والحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي[2].

ثالثا: ومما يعزِّز احتمال حداثة الحوزة التي تكونت حول الشيخ في النجف الدور الذي أدّاه فيها ابنه الحسن المعروف بأبي علي، فقد تزعم الحوزة بعد وفاة أبيه.

ومن المظنون أن أبا عليٍّ كان في دور الطفولة أو أوائل الشباب حين هاجر أبوه إلى النجف لأن تاريخ ولادته ووفاته وإن لم يكن معلوما، ولكنّ الثابت تاريخيا أنه كان حيا في سنة (٥١٥ هـ).. أي انه عاش بعد هجرة الشيخ قرابة سبعين عاما، ويذكر عن

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٨٤.

(٢) أنظر ترجمتهما في: رجال المامقاني: ١ / ٢٧٣، ٣٤٥، وفهرست منتجب الدين: ٤٣ الرقم ٧٣.

تحصيله إنه كان شريكا في الدرس عند أبيه مع الحسن بن الحسين القمّي الذي رجّحنا كونه من الطبقة المتأخّرة، كما يقال عنه: إنّ اباه اجازه سنة (٤٥٥ هـ)، أي قبل وفاته بخمس سنين، وهو يتّفق مع حداثة تحصيله.

فإذا عرفنا أنه خلف أباه في التدريس والزعامة العلمية للحوزة في النجف بالرغم من كونه من تلامذته المتأخرين في أغلب الظن استطعنا أن نقدِّر المستوى العلمي العامّ لهذه الحوزة، ويتضاعف الاحتمال في كونها حديثة التكوّن.

والصورة التي تكتمل لدينا على هذا الأساس هي: إنّ الشيخ الطوسي بهجرته إلى النجف قد انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد، وأنشأ حوزة جديدة حوله في النجف، وتفرّغ في مهجره للبحث وتنمية العلم..»[1].

يقول الشيخ الطهراني: «ومهما يكن من أمر؛ فإنّ تلامذة الشيخ الطوسي من الشيعة وإن بلغوا أكثر من ثلاثمائة مجتهد، ومن السنة ما لا يحصى.. إلّا أن ما يذكر من أسمائهم الشيخ منتجب الدين في الفهرست لا يتجاوز الستة والعشرين عالما، وزاد عليهم السيّد مهدي بحر العلوم في (الفوائد الرجالية) أربعة فتمت عدتهم ثلاثين.. ونظرا لما حدث في أسماء بعضهم من التصحيف، ولما وقفنا عليه من أسماء جماعة أُخرى من تلاميذه.. فأننا نسرد أسماء الجميع على ترتيب حروف الهجاء».

فيذكر الطهراني أسماء وأوصاف أُولئك التلامذة ضمن قائمة ضمت ستة وثلاثين عالما من تلاميذ الشيخ الطوسي المعروفين[2].

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٨٤ ـ ٨٨ بتلخيص.

(٢) الطهراني، مقدمة التبيان: ١ / أط، وللتوسع أُنظر، الحكيم ـ حسن، الشيخ الطوسي: ١٧٢ ـ ٢١٦ الفصل الثالث.

الفصل الثالث: حوزة النجف الأشرف بعد وفاة الشيخ الطوسي

تمهيد

يقول الشيخ الطهراني: «لم يبرح شيخ الطائفة في النجف الأشرف مشغولاً بالتدريس والتأليف، والهداية والإرشاد، وسائر وظائف الشرع الشريف وتكاليفه، مدّة اثنتي عشرة سنة، حتى توفي ليلة الاثنين الثاني والعشرين من المحرم سنة (٤٦٠ هـ) عن خمس وسبعين سنة.. ودفن في داره بوصية منه».

ويؤرخ الشيخ الطهراني لمسجد الشيخ الطوسي فيقول:

«وتحولت الدار بعده مسجدا في موضعه اليوم حسب وصيته أيضا، وهو مزار يتبرك به الناس من العوام والخواص، ومن أشهر مساجد النجف، عقدت فيه ـ منذ تأسيسه حتى اليوم ـ عشرات حلقات التدريس من قبل كبار المجتهدين وأعاظم المدرسين؛ فقد كان العلماء يستمدون من بركات قبر الشيخ لكشف غوامض المسائل ومشكلات العلوم، ولذلك كان مَدْرَس العلماء، ومعهد تخرج المجتهدين إلى عصر شيخ الفقهاء الشيخ محمد حسن صاحب (الجواهر) الذي كان يدرس فيه أيضا، حتى بعد أن بنوا له مسجده الكبير المشهور باسمه، فقد كثر الحاحهم عليه، وطلبهم منه الانتقال إليه لم يقبل ولم يرفع اليد عنه اعتزازا بقدسية شيخ الطائفة وحبا للقرب منه، وهكذا إلى أن توفي.

واستمرت العادة كذلك إلى عصر شيخنا المحقق الأكبر الشيخ محمد كاظم الخراساني صاحب «الكفاية»، فقد كان تدريسه فيه ليلاً إلى أن توفي، وقد أُحصيت عدّة تلامذته في الأواخر بعض الليالي فتجاوزت الألف والمائتين. وكذلك شيخنا

الحجة المجاهد شيخ الشريعة الإصفهاني، فقد كان يدرس فيه عصرا إلى أن توفي، وكما أن تلميذ شيخنا الخراساني الأرشد الحجة المعروف الشيخ ضياء الدين العراقي كان يدرس فيه صبحا إلى أن توفي.

وموقع مسجد الشيخ في محلة المشراق من الجهة الشمالية للصحن المرتضوي الشريف وسمي باب الصحن المنتهي إلى مرقده بـ (باب الطوسي).

وقد طرأت عليه بعد عمارته الأُولى عمارتان، احداهما: في حدود سنة (١١٩٨ هـ) وذلك بترغيب من العلّامة السيّد مهدي بحر العلوم كما ذكره في الفوائد الرجالية، فقد قال: «وقد جدد مسجده في حدود سنة (١١٩٨ هـ) فصار من أعظم المساجد في الغري وكان ذلك بترغيبنا بعض الصلحاء من أهل السعادة»[1]، وبني لنفسه مقبرة في جواره دفن فيها مع أولاده وجملة من أحفاده.

والثانية: في سنة (١٣٠٥ هـ) كما ذكره صديقنا العلّامة السيّد جعفر آل بحر العلوم في كتابه (تحفة العالم)[2]، وكانت بعناية العلّامة السيّد حسين آل بحر العلوم المتوفى سنة (١٣٠٦ هـ)، فإنه لما رأى تضعضع أركانه وأنها آلت إلى الخراب رغّب بعض أهل الخير في قلعه من أساسه، فجدد، وهي العمارة الموجودة اليوم.

وفي سنة (١٣٦٩ هـ)، هدمت الحكومة ما يقرب من ربع مساحته فأضافتها إلى الشارع الذي فتحته بجنبه في نفس العام، وسمته بشارع الطوسي أيضا، فصار للمسجد بابان، أحدهما ـ وهو الأكبر والأوجه ـ على الشارع الجديد العام من جهة المشرق، والثاني وهو ـ الباب الأول ـ من جهة الغرب على الطريق القديم مقابل (المدرسة

(١) بحر العلوم ـ مهدي، رجال بحر العلوم المعروف بـ الفوائد الرجالية: ٣ / ٢٣٩.

(٢) بحر العلوم ـ جعفر، تحفة العالم في شرح خطبة المعالم: ١ / ٢٠٤ طبعة الصادق ـ طهران.

المهدية) وقد انخفضت أرض المسجد عن الشارع كثيرا، وتضعضعت عمارته، فنسأله تعالى أن يهدي بعض أهل السعادة والعاملين للآخرة لتعميره ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾»[1].

وقد استجاب الله دعاء الشيخ الطهراني، فبعد سقوط نظام البعث في العراق، جدد ديوان الوقف الشيعي بناء هذا المسجد وانفق عليه مبلغا كبيرا حيث أُعيد بناء قبته وغلفت بالقاشاني، وأُعيد اكساء جدرانه وأرضيته بالرخام.

لقد كان الشيخ الطوسي‌ؒ علما من أعلام الهداية، وطودا شامخا في العلم، وكانت داره على حد وصف الشيخ جعفر محبوبة: «معهدا ومنتدى للعلماء، ولم تزل على ذلك حتى وفاته فأوصى أن يدفن بها وأن تجعل مسجدا بعده»[2].

ولنعم ما قيل في تاريخ وفاة الشيخ الطوسي:

يا مرقد الطوسي فيك قد انطوى	مُحي العلوم فعدت أطيب مرقد
بك شيخ طائفة الدعاة إلى الهدى	ومجمع الأحكام بعد تبدد
أودى بشهر محرم فاضافه	حزنا بفاجع رزئه المتجدد
وبكى له الشرع الشريف مؤرخا	أبكى الهدى والدين فقد محمد[3]

المبحث الأول: استمرار الحركة العلمية في النجف ضمن اطار أفكار الشيخ الطوسي

رغم ما منيت به الحوزة العلمية في النجف من خسارة كبيرة بفقدان مؤسسها

---

(١) الطهراني، مقدمة التبيان: أ ط.

(٢) آل محبوبة ـ باقر، ماضي النجف وحاضره: ١ / ١٠٤ طبعة دار الأضواء ـ لبنان، بيروت.

(٣) بحر العلوم ـ جعفر، تحفة العالم: ١ / ٢٠٣.

وزعيم حوزتها الشيخ الطوسي﵀ إلّا أنها واصلت حركتها العلمية ضمن إطار افكار الشيخ نفسه؛ والتي تُستمد من تراثه الفقهي والأُصولي الذي دونه في حوزته الكبرى ببغداد، إذ لم تكن هنالك اضافات تذكر لهذا التراث فترة مكوثه في النجف كما المحنا إلى ذلك آنفا، كما لم يكن هنالك تطور واضافات لما تركه الشيخ من قبل طلّابه وحوزته العلمية في النجف. فما هو سبب هذا الركود؟

ومرة أُخرى نعود إلى السيّد الشهيد الصدر وهو يسلط الأضواء على ظاهرة الركود النسبي الذي شهدته الحركة العلمية بعد وفاة الشيخ الطوسي وأسبابها وعللها، فيقول: إن هنالك عدّة أسباب من المحتمل أن تفسر الموقف:

١ ـ إن الشيخ بهجرته إلى النجف انفصل عن حوزته الأساسية في بغداد، وأنشأ حوزةً جديدةً حوله في النجف.. وإذا صدقت هذه الصورة أمكننا تفسير الظاهرة التي نحن بصدد تعليلها، فإنّ الحوزة الجديدة التي نشأت حول الشيخ في النجف كان من الطبيعي أن لا ترقى إلى مستوى التفاعل المبدع من التطور الذي أنجزه الطوسي في الفكر العلمي؛ لحداثتها.

وأما الحوزة الأساسية ذات الجذور ـ العميقة ـ في بغداد فلم تتفاعل مع أفكار الشيخ لأ نّه كان يمارس عمله العلمي في مهجره منفصلاً عن تلك الحوزة، فهجرته إلى النجف قد فصلته عن حوزته الأساسية، ولهذا لم يتسرّب الابداع الفقهي العلمي من الشيخ إلى تلك الحوزة التي كان ينتج ويبدع بعيدا عنها.

ولهذا كان لابد ـ لكي يتحقق ذلك التفاعل الخلّاق ـ أن تشتدّ ساعد الحوزة الفتية التي نشأت حول الشيخ في النجف حتى تصل إلى ذلك المستوى من التفاعل من الناحية العلمية، فسادت فترة ركودٍ ظاهريٍّ بانتظار بلوغ الحوزة الفتية إلى ذلك المستوى، وكلف ذلك العلم أن ينتظر قرابة مائة عام ليتحقّق ذلك، ولتحمل الحوزة

الفتية أعباء الوراثة العلمية للشيخ حتى تتفاعل مع آرائه وتتسرب بعد ذلك بتفكيرها المبدع إلى الحلّة.

٢ ـ وقد أسند جماعة من العلماء ذلك الركود الغريب إلى ما حظي به الشيخ الطوسي من تقديرٍ عظيمٍ في نفوس تلامذته رفعه في أنظارهم عن مستوى النقد وجعل من آرائه ونظرياته شيئا مقدّسا لا يمكن أن ينال باعتراضٍ أو يخضع لتمحيص.

ففي المعالم كتب الشيخ حسن بن زين الدين ناقلاً عن أبيه: «إنّ أكثر الفقهاء الذين نشأوا بعد الشيخ كانوا يتّبعونه في الفتوى تقليدا له؛ لكثرة اعتقادهم فيه وحسن ظنّهم به»[1].

وروي عن الحمصي ـ وهو ممن عاصر تلك الفترة ـ أنه قال: «لم يبق للإمامية مُفتٍ على التحقيق، بل كلهم حاكٍ»[2].

٣ ـ غياب دور الاثارة الذي كان يقوم به التفكير الأُصولي السنّي، والذي كان محفزا للمفكّرين من فقهاء الإمامية لدراسة ذلك الفكر في الاطار الإمامي، ووضع النظريات التي تتفق معه.

بالاضافة إلى أن التفكير الأُصولي السنّي كان قد بدأ ينضب في القرن الخامس والسادس، ويستنفد قدرته على التجديد، ويتجه إلى التقليد والاجترار، حتى أدى ذلك إلى سدّ باب الاجتهاد رسميا[3].

هذه أهم الأسباب التي أدّت إلى الركود النسبي للحركة العلمية بعد وفاة الشيخ الطوسي، والتي استمرت إلى أكثر من قرن من الزمن حيث انطلقت مدرسة الحلة

---

(١) حسن ـ زين الدين، معالم الدين: ١٧٦.

(٢) رواه ابن طاووس في كشف المحجة: ١٨٥.

(٣) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٨٥ ـ ٨٩ بتلخيص.

الفقهية والأُصولية لتحمل مشعل التجديد والتطوير والنمو للفكر الشيعي الإمامي.

والسيّد الشهيد الصدر يرجح العامل الأول لهذا الركود ويرجع العاملين التاليين إليه، فيعقب على العامل الثاني ـ النزعة التقديسية ـ بقوله: «ولكنّ هذا السبب لتفسير الركود الفكري قد يكون مرتبطا بالسبب الأول، إذ لا يكفي التقدير العلمي لفقيهٍ ـ في العادة ـ مهما بلغ لكي يغلق على الفكر الفقهي للآخرين أبواب النموّ والتفاعل مع آراء ذلك الفقيه، وإنما يتحقّق هذا عادةً حين لا يكون هؤلاء في المستوى العلمي الذي يؤهّلهم لهذا التفاعل، فيتحوّل التقدير إلى ايمانٍ وتقيّد»[1].

المبحث الثاني: نجل الشيخ الطوسي وزعامته للحوزة النجفية بعد والده

ترك الشيخ الطوسي من بعده أُسرته التي كانت تتألف من أولاده وبناته وأحفاده وكان جلُّهم من العلماء الفقهاء ومن أهل الرواية والدراية.

وكان على رأس أُولئك الأفذاذ ولده الشيخ الجليل أبو علي الحسن بن أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الملقّب بالمفيد، أو المفيد الثاني[2]، تميزا عن الشيخ المفيد أُستاذ أبيه الشيخ الطوسي.

وقد سدّ أبو علي الطوسي الفراغ الذي أحدثته وفاة أبيه عام (٤٦٠ هـ)، في حوزة النجف العلمية، وتولّى الحفاظ على استمراريتها وبقائها في النجف، «وكانت الرحلة إليه والمعول عليه في التدريس والفتيا والقاء الحديث، وغير ذلك من شؤون الرياسة العلمية»[3].

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٨٧.

(٢) الأفندي، رياض العلماء: ١ / ٣٣٤.

(٣) الحكيم ـ حسن، الشيخ الطوسي: ١٨٣ عن الطهراني، مقدمة كتاب الغيبة للطوسي: ١١.

وقد ترجم له الشيخ الطهراني في الطبقات، وفي مقدمته الواسعة لتفسير التبيان، ومما ذكره فيها:

«خلف شيخ الطائفة ولده الشيخ أبا علي الحسن بن أبي جعفر محمد الطوسي (رحمة اللّه عليه) وقد خلف أباه على العلم والعمل، وتقدم على العلماء في النجف، وكانت الرحلة إليه والمعول عليه في التدريس والفتيا والقاء الحديث وغير ذلك، وكان من مشاهير رجال العلم، وكبار رواة الحديث وثقاتهم، تلمذ على والده حتى اجازه في سنة (٤٥٥ هـ) أي قبل وفاته بخمس سنين»[١].

ثمّ ينقل الشيخ الطهراني نصوصا مطولة من كتب التراجم، وكلها تثني عليه، وتشيد بفضله وعلمه، ومما ذكره في ترجمته عن ابن حجر العسقلاني في كتابه لسان الميزان قوله: «الحسن بن محمد بن الحسن بن علي الطوسي.. سمع من والده،.. ثمّ صار فقيه الشيعة وامامهم بمشهد علي‌عليه السلام، وسمع منه أبو الفضل بن عطاف، وهبة اللّه النفطي، ومحمد بن محمد النسفي، وهو في نفسه صدوق..»[٢].

ويقول الأفندي في ترجمته: «الفقيه المحدث الجليل العالم العامل النبيل مثل والده.. كان شريكا في الدرس مع الشيخ أبي الوفاء عبد الجبار بن عبد اللّه بن علي الرازي، والشيخ أبي محمد الحسن بن الحسين بن بابويه القمي، والشيخ أبي عبد اللّه محمد بن هبة اللّه الوراق الطرابلسي، عند قراءة كتاب «التبيان» على والده الشيخ الطوسي كما رأيته في اجازة الشيخ الطوسي المذكور بخطه الشريف لهم على ظهر

---

(١) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة الثقاة العيون في سادس القرون: المجلد الثامن / ٦٦ ـ ٦٧، ومقدمة التبيان: أ ك.

(٢) المرجع نفسه: ال، عن ابن حجر، لسان الميزان: ٢ / ٢٥٠.

كتاب التبيان»[1].

وينقل الطهراني عن الشيخ أسد اللّه الدزفولي في «مقابس الأنوار» قوله: «الشيخ المحدث الفقيه الفاضل الوجيه النبيه المعتمد المؤتمن مفيد الدين أبو علي الحسن قدّس اللّه تربته، وأعلى في الجنان رتبته.. وكان من أعظم تلامذة والده، والديلمي، وغيرهما من المشايخ، وتلمذ عليه جماعة كثيرة من أعيان الأفاضل، وإليه ينتهي كثير من طرق الاجازات إلى المؤلفات القديمة والروايات..»[2].

ثمّ يقول الشيخ الطهراني معقبا على ما ذكر في ترجمته: «.. وقد أجمع كافة المترجمين له على عظمته وعلو شأنه في العلم والعمل، وإنه أحد كبار فقهاء الشيعة، وأجلاء علماء الطائفة، وأفاضل حملة الحديث، وأعلام الرواة وثقاتهم، ومنتهى الاجازات والمعنعنات، وقد بلغ من علو الشأن وسمو المكانة أن لقّب بالمفيد الثاني، وقد ترجم له بهذا العنوان العلّامة المرحوم الشيخ عباس القمي في كتابه (الكنى والألقاب)[3] وقد تخرّج عليه كثير من حملة العلم والحديث من الفريقين، وحاز المرجعية عند الطائفتين لذلك كثرت الروايات عنه، وانتهت الطرق إليه»[4].

وقد خلّف الحسن بن محمد بن الحسن (أبو علي الطوسي) من بعده ولده أبو نصر محمد بن الحسن وكان «أبو نصر محمد عالم الشيعة وابن عالمهم» على حد تعبير الطهراني، ترجم له صاحب شذرات الذهب في حوادث سنة (٥٤٠ هـ) فقال: «فيها توفي أبو الحسن محمد بن أبي علي الحسن بن أبي جعفر الطوسي، شيخ الشيعة

---

(١) المرجع نفسه: ام، عن الأفندي، رياض العلماء: ١ / ٣٣٤.

(٢) المرجع نفسه: ام، عن الدزفولي ـ أسد اللّه، مقابس الأنوار: ١١ طبعة حجرية.

(٣) أنظر، القمي ـ عباس، الكنى والألقاب: ٣ / ١٦٥.

(٤) الطهراني، مقدمة التبيان: ان.

وعالمهم وابن شيخهم وعالمهم، رحلت إليه طوائف الشيعة من كل جانب إلى العراق وحملوا إليه، وكان ورعا عالما كثير الزهد، وأثنى عليه السمعاني، وقال العماد الطبري، لو جازت على غير الأنبياء صلاة لصليت عليه..»[1][2].

كذلك خلّف شيخ الطائفة ـ الأب ـ غير ولده الشيخ أبي علي، ابنتين كانتا من حملة العلم وربات الاجازة والرواية، قال في رياض العلماء: «كانتا فاضلتين عالمتين،.. وقد أجازهما بعض العلماء ولعل المجيز أخوهما الشيخ أبو علي بن الشيخ الطوسي أو والدهما الشيخ الطوسي»[3].

وهذا إن دل على شيءٍ فإنما يدل على اجتهاد بنتي الشيخ الطوسي في تحصيل العلم، كما وله دلالة على تفتح ذهنية الشيخ الطوسي وولده الشيخ أبي علي في السماح لهما على هذا التحصيل في حدود القرن الخامس»[4].

*** الآثار العلمية لأبي علي الطوسي**

لقد صنّف أبو علي الطوسي عدّة كتب منها: «كتاب الأمالي، وشرح النهاية، والمرشد إلى سبيل المتعبد»[5].

*** وفاته**

لقد أغفلت المصادر تاريخ مولد أبي علي الطوسي، وكذلك تاريخ وفاته، فابن

---

(١) الطهراني، الطبقات: ٢ / ٦٧.

(٢) الطهراني، الطبقات: ٢ / ٢٥٦ عن شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي: ٣ / ٢٠٨.

(٣) الأفندي، رياض العلماء: ٥ / ٤٠٩.

(٤) الحكيم ـ حسن، الشيخ الطوسي: ١٨٣، وأُنظر، بحر العلوم ـ جعفر، تحفة العالم: ١ / ٢٠١.

(٥) الحكيم ـ حسن، الشيخ الطوسي: ١٨٣، وأُنظر، بحر العلوم ـ جعفر، تحفة العالم: ١ / ٢٠١.

حجر يقول: «مات في حدود الخمسمائة»[1]، والنوري يقول: «يظهر من مواضع من بشارة المصطفى إنه كان حيا في سنة (٥١٥ هـ)»[2]، ويرجح السيّد الحكيم أن تكون وفاته عام (٥١١ هـ)[3].

تلامذة الشيخ أبي علي الحسن بن أبي جعفر الطوسي

لقد درس عليه في النجف الأشرف ما ينوف على ثلاثين شخصا من الشيعة والسنة ويعتبرون من علماء النجف الأشرف في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والعقد الأول من القرن السادس[4]، تجد تراجمهم في فهرست الشيخ منتجب الدين المطبوع في المجلد (١٠٥) من كتاب بحار الأنوار للمجلسي، كذلك عند الأفندي في رياض العلماء.

وهنالك الكثير من العلماء عاشوا في النجف الأشرف ودرسوا ودرَّسوا في حوزتها العلمية في القرنين الخامس والسادس الهجريين لا يسع المجال لذكر تراجمهم جميعا، وسوف نكتفي بذكر بعضهم ممن تتلمذ على الشيخ الطوسي الأب أو الابن، ومن تلامذتهما في النجف الأشرف:

١ ـ الحسن بن الحسين بن بابويه القمي، ويدعى (حسكا) ويكنى بأبي محمد، وقد قرأ على الشيخ الطوسي «جميع تصانيفه بالغري على ساكنه السلام»[5]، وهذا

---

(١) ابن حجر، لسان الميزان: ٢ / ٢٥٠.

(٢) النوري، مستدرك الوسائل: ٣ / ٤٩٧.

(٣) الحكيم ـ حسن، الشيخ الطوسي: ١٨٤.

(٤) للتوسع أُنظر، الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ٤٣ وما بعدها.

(٥) منتجب الدين، الفهرست: ٤٢، تحقيق: السيّد عبد العزيز الطباطبائي، طبعة المكتبة الرضوية، ١٤٠٤ هـ.

يعني أنه من حوزة الشيخ الطوسي وتلاميذه في النجف الأشرف بعد استقراره فيها عام (٤٤٨ هـ)، ويخبرنا هو عن تلمذته على الشيخ الطوسي فيقول: «أخبرنا الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، أملاه بمشهد مولانا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في جمادى الآخرة سنة خمس وخمسين وأربعمائة وله من المؤلفات كتاب العبادات، وكتاب الأعمال الصالحة وغيرهما توفي سنة (٥١٣ هـ)»[١].

٢ ـ الحسن بن مهدي السليقي، يكنى بأبي طالب، وينعت: بالعلوي، والحسني، والحسيني من تلاميذ الشيخ الطوسي، ومن الراوين عنه، وقد باشر غُسل الشيخ الطوسي كما يقول: «توليت انا والشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الواحد.. والشيخ أبو الحسن اللؤلؤي غُسله في تلك الليلة ودفنه»[٢] وله من المؤلفات كتاب «المفتاح».

٣ ـ الحسين بن مظفر بن علي الحمداني.. وقد قرأ على الشيخ الطوسي جميع تصانيفه بالنجف، وفي بعض المصادر الرجالية: «قرأ على شيخنا الموفق أبي جعفر الطوسي جميع تصانيفه مدّة ثلاثين سنة بالغري على ساكنه السلام»[٣].

في حين أن مكوث الشيخ الطوسي في النجف اثنتا عشرة سنة، ويمكن أن يكون من الأخطاء المطبعية، أو أنه جمع بين التلمذة على الأب والابن في النجف. وللحمداني تصانيف منها: هتك أستار الباطنية» وكتاب: «نصرة الحق»[٤].

٤ ـ عبد الجبار بن علي النيسابوري المقرئ، يلقب بالمفيد، قرأ على الشيخ الطوسي... وقد أوضح ابن طاووس تلمذة المقرئ على الشيخ الطوسي بقوله: «حدثنا

---

(١) الطبري، بشارة المصطفى: ٧٩ وغيرها. وبحر العلوم، مقدمة رجال الطوسي: ٤٤.

(٢) العلّامة الحلي، الرجال: ١٤٨.

(٣) منتجب الدين، الفهرست: ٤٧.

(٤) منتجب الدين، الفهرست: ٤٧.

الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي‌ﷺ بالمشهد المقدس الغروي وعلى ساكنه أفضل الصلوات في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة»[١].

وله مؤلفات في الفقه، وتوفي سنة (٥٠٦ هـ)[٢].

٥ ـ محمد بن أحمد بن شهريار، الخازن للحضرة الحيدرية.. وهو الخازن لمرقد الإمام علي‌عليه‌السلام في النجف، من تلاميذ الشيخ الطوسي وممن يروي عنهم، ويقول الطبري: «أخبرني الشيخ الفقيه الأمين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شهريار الخازن، قراءة عليه في سنة أربع عشرة وخمسمائة قال: حدثنا الشيخ السعيد أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي‌ﷺ بالغري على ساكنه السلام سنة ست وخمسين وأربعمائة»[٣] ولمكانته المرموقة في نفس الشيخ الطوسي زوجه احدى بناته[٤].

٦ ـ أبو محمد بن الحسن بن الواحد العين زربي[٥]، كان من غلمان السيّد المرتضى، ثمّ أصبح من تلاميذ الشيخ الطوسي[٦]، وقد احتمل الأفندي في الرياض كونه من تلاميذ الشيخ الطوسي[٧]، وقد تولى غُسل أُستاذه بالاشتراك مع أبي الحسن اللؤلؤي، والحسن بن مهدي السليقي[٨]، وله كتاب «عيون الأدلة»[٩].

---

(١) ابن طاوس، مهج الدعوات: ٢١٨.

(٢) بحر العلوم، مقدمة رجال الطوسي: ٤٦.

(٣) بشارة المصطفى: ١٢٦.

(٤) الطهراني، الطبقات، القرن السادس: ٢٤٥.

(٥) نسبته إلى عين زربة، وهي بلدة من الجزيرة تقابل حران ابن الفقيه، البلدان: ١١٢.

(٦) ابن شهرآشوب، معالم العلماء: ١٣١.

(٧) الأفندي، رياض العلماء: ٥ / ٥١٢.

(٨) العلّامة الحلي، الرجال: ١٤٨.

(٩) ابن شهرآشوب، معالم العلماء: ١٣١.

٧ ـ محمد بن أبي القاسم الطبري الآملي الكجي.. قرأ على الشيخ أبي علي الطوسي، فذكر ابن طاووس: «عن الشيخ السعيد محمد بن القاسم الطبري عن الشيخ المفيد أبي علي الحسن بن محمد الطوسي عن والده السعيد محمد بن الحسن الطوسي وذكر الأفندي بأن الآملي كان معاصرا للشيخ أبي علي الطوسي وللآملي مصنّفات عدّة منها: كتاب «بشارة المصطفى»[١]، توفي في حدود (٥٢٥ هـ)»[٢].

٨ ـ محمد بن علي بن حمزة الطوسي المشهدي، يكنى بأبي جعفر، ويلقب بعماد الدين[٣]. يقول القمي: «يظهر من كتبه ومما يوجد في النقل عنه أنه كان في طبقة تلاميذ شيخ الطائفة أو تلاميذ ولده الشيخ أبي علي»[٤]. توفي في أوائل المائة الخامسة في كربلاء ودُفن بها[٥].

٩ ـ الحسيني، المنتهي بن أبي زيد بن كيابكي الحسيني الجرجاني الكجي، المكنى بأبي الفضل، ويذكر الحسيني تلمذته على الشيخ الطوسي في النجف الأشرف بقوله: «حدثنا الشيخ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي الطوسي﵀ بالمشهد المقدّس الغروي على ساكنه أفضل الصلوات في شهر رمضان من سنة ثمان وخمسين وأربعمائة»[٦].

فأُولئك هم بعض تلامذة الشيخ الطوسي﵀ في النجف الأشرف، وعلى رأسهم

---

(١) الأفندي، رياض العلماء: ٥ / ١٧.

(٢) البغدادي، هداية العارفين: ٢ / ٨٦.

(٣) منتجب الدين، الفهرست: ١٦٤.

(٤) القمي، الكنى والألقاب: ١ / ٢٦٢.

(٥) الصدر ـ حسن، تأسيس الشيعة: ٣٠٥.

(٦) ابن طاووس، مهج الدعوات: ٢١٨، وللتوسع أُنظر، حسن الحكيم، الشيخ الطوسي: ١٧٢ ـ ٢١٦.

ولده العالم الكامل الشيخ أبو علي الحسن بن أبي جعفر محمد الطوسي الذي تولى زعامة الحوزة النجفية بعد والده.

أما تلامذة أبي علي الطوسي فقد: «درس عليه في النجف الأشرف ما ينوف على ثلاثين شخصا من الشيعة والسنة، ويعتبرون من علماء النجف الأشرف في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري والعقد الأول من القرن السادس»[1].

وقد ترجم الشيخ منتجب الدين في فهرسته لأكثرهم، وأضاف إليهم بعض الباحثين أسماء أُخرى لبعض العلماء ممن تتلمذوا أو قرأوا على شيخ الطائفة أو على الشيخ أبي علي الطوسي[2]، وقد يكون هنالك علماء آخرون عاشوا في النجف الأشرف أبان القرنين الخامس والسادس الهجريين، وتعلموا وعلموا فيها لكن لم يسجل لنا التاريخ أسماءهم، وهم بلا شك كثيرون في ذلك العصر.

المبحث الثالث: انتقال الحوزة العلمية من النجف إلى الحلة، أسبابها ونتائجها

بعد وفاة الشيخ الطوسي الأب سنة (٤٦٠ هـ) جاء من بعده ولده أبو علي الطوسي، وبعد أن توفي الشيخ أبو علي الطوسي بعد سنة (٥١٥ هـ)، خلّفه في زعامة الحوزة النجفية ولده الشيخ أبو نصر محمد الذي يقول عنه الشيخ الطهراني: «كان الشيخ أبو نصر محمد من أعاظم العلماء وأكابر الفقهاء وأفاضل الحجج وأثبات الرواة وثقاتهم،

---

(١) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ٤٣، ومحمد بحر العلوم، موسوعة العتبات: ٧ / ٤٤.

(٢) أُنظر فهرست الشيخ منتجب الدين في المجلد ١٠٥ من البحار، طبعة المكتبة الرضوية بتحقيق: المرحوم السيّد عبد العزيز الطباطبائي.

فقد قام مقام والده في النجف وانتقلت إليه الرياسة والمرجعية وتقاطر عليه العلماء من شتى النواحي»[1].

وقد نقلنا اطراء ابن عماد الحنبلي له في كتاب شذرات الذهب[2]، والذي أرخ وفاته بسنة (٥٤٠ هـ).

ثمّ في هذه الفترة قام الاعلام من أُسرة آل الخازن في دعم الجامعة النجفية حتى انتهى الدور إلى الموفق الخازن، علي بن حمزة بن محمد بن أحمد بن شهريار ووصفته المصادر بأنه: «أشهر خزنة الحرم العلوي، ضمّ إلى سدانة الحرم السبق في العلوم الدينية وكانت الرحلة إليه سنة (٥٧٢ هـ) حين كثر أهل العلم، ورواد الحديث، وكان المعول عليه في إدارة رحى العلم بعد الشيخ الطوسي‌ﷺ وهو العاقد لحلقات الحديث والمتكفل بالقائه، وكان عالما فاضلاً، وكان من رجال القرن السادس»[3].

وبعد هذا التاريخ أُصيبت حوزة النجف الأشرف في صميم سيرها العلمي ولم يبق فيها إلّا بعض الأعلام الذين عاشوا في النجف الأشرف خلال هذه الحقبة الزمنية.

وكانت السمة الغالبة على هذه الفترة الزمنية من عمر الحوزة العلمية في النجف الأشرف وإلى ما يقارب ثلاثة قرون من الزمن هو الركود العلمي، ولم تعد إليها الحركة العلمية حتى حل فيها المحقق الكركي في بداية القرن العاشر الهجري، ثمّ المقدس الأردبيلي في منتصف القرن العاشر لتبدأ معهما المرحلة الثانية من مراحل حوزة النجف الأشرف، كما سوف يأتينا لاحقا.

وما بين المرحلتين الأُولى والثانية في تاريخ الحوزة العلمية في النجف الأشرف

---

(١) الطهراني، مقدمة تفسير التبيان: ا خ.

(٢) ابن عماد الحنبلي، شذرات الذهب: ٤.

(٣) بحر العلوم، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ٧ / ٤٦.

والتي استمرت لثلاثة قرون من الزمن، استعادت الحركة العلمية الشيعية الإمامية نشاطها العلمي من خلال الحوزة العلمية الحلية، والتي خلفت الحوزة النجفية وكانت ورثيتها الطبيعية.

*** ابن إدريس الحلي ودوره في إحياء الفكر الشيعي**

وكان رائد حركتها، وحامل لواء نهضتها العلمية المباركة هو الشيخ: «أبو عبد اللّه محمد بن منصور بن أحمد بن إدريس بن الحسين بن القاسم بن عيسى الرِّبعي الحلي». الذي ولد سنة (٥٤٣ هـ)، وتوفي سنة (٥٩٨ هـ)[1]. الذي وضع أقوال الشيخ الطوسي واجتهاداته موضع الدراسة والنقد العلمي، وفتح باب النقاش فيها وألّف كتابه القيم (السرائر الحاوي)، «وكان عهد هذا المجدد ايذانا بانتقال الحركة العلمية إلى الحلة، وقد تكاملت عناصر هذا الانتقال في أوائل القرن السابع الهجري»[2].

يصف السيّد الشهيد الصدر جهود ابن ادريس الحلي بقوله: «.. الفقيه المبدع محمد بن أحمد بن إدريس، الذي أدرك تلك الفترة، وكان له دور كبير في مقاومتها، وبثّ الحياة من جديد في الفكر العلمي..»[3].

وفي نص آخر يصف السيّد الشهيد الصدر هذه المرحلة وجهود ابن إدريس للخروج منها فيقول: «وكانت بداية خروج الفكر العلمي عن دور التوقّف النسبي على يد الفقيه المبدع محمد بن أحمد بن إدريس المتوفى سنة (٥٩٨ هـ)، إذ بثَّ في الفكر

---

(١) أُنظر ترجمته: رجال ابن داود: ٤٩٨، المامقاني، تنقيح المقال: ٢ / ٧٧.

(٢) بحر العلوم، المرجع السابق: ٧ / ٤٦.

(٣) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٦٩، طبعة مكتبة النجاح ـ طهران، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م.

العلمي روحا جديدةً، وكان كتابه الفقهي «السرائر» إيذانا ببلوغ الفكر العلمي في مدرسة الشيخ إلى مستوى التفاعل مع أفكار الشيخ ونقدها وتمحيصها..» ثمّ يسلط السيّد الشهيد الأضواء على المنهج الفقهي والأُصولي لابن ادريس من خلال دراسة كتاب السرائر ومقارنته بالمبسوط، حيث ينتهي إلى نتائج وفوارق مهمة بين المنهجين[1].

وسوف يأتينا الحديث ـ إن شاء اللّه ـ عن مدرسة الحلة وجهود ابن إدريس وأعلام هذه المدرسة فيها بعد استيفاء الحديث عن مدرسة النجف الأشرف في أدوارها الثلاثة.

يبقى أن نشير إلى أن ظهور العالم الفقيه المبدع ابن إدريس الحلي ومدرسته النقدية في النصف الثاني من القرن السادس الهجري كان أحد العوامل الرئيسية المهمة في كسر حالة الركود الذي مني به التحرك العلمي الإمامي، وقد تكون هنالك عوامل أُخرى كان لها دورها المؤثر أيضا في انهاء هذا الركود.

كما أن هذا الركود قد أصاب الفكر العلمي السنّي أيضا، وخاصة في مجال التفكير الأُصولي الذي «كان قد بدأ ينضب في القرن الخامس والسادس، ويستنفد قدرته على التجديد، ويتّجه إلى التقليد والاجترار حتى أدى ذلك إلى سدّ باب الاجتهاد رسميا»[2]، ولاثبات هذه الحقيقة ينقل السيّد الشهيد الصدر شهادة لعالم سنيٍّ معاصر لتلك الفترة وهو أبو حامد الغزالي المتوفى سنة (٥٠٥ هـ)، إذ تحدث عن شروط المناظر في البحث، فذكر منها: «أن يكون المناظر مجتهدا يفتي برأيه لا بمذهب

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٩٢ ـ ٩٥.

(٢) المصدر نفسه: ٦٨.

الشافعي وأبي حنيفة وغيرهما، حتى إذا ظهر له الحق من مذهب أبي حنيفة ترك ما يوافق رأي الشافعي وأفتى بما ظهر له،.. فأما من ليس له رتبة الاجتهاد ـ وهو حكم كلّ أهل العصر ـ.. فأي فائدة له في المناظرة»[1].

وأما السبب أو الأسباب التي أدّت إلى تجدد الحياة والحركة في البحث الفقهي والأُصولي على صعيد الفكر الإمامي، بينما ظلّ البحث العلمي السنّي على ركوده الذي وصفه الغزّالي في القرن الخامس؛ فيلخصها لنا السيّد الشهيد في عدّة أسباب، يذكر منها سببين هما:

أولاً: إن روح التقليد قد سرت إلى الحوزة التي خلّفها الشيخ الطوسي.. إلّا أنها كانت حوزةً فتية فلم تستطع أن تتفاعل بسرعة مع تحديات الشيخ العظيمة فكان لابد لها من الانتظار لتستوعب تلك الأفكار وتتفاعل معها.. فروح التقليد فيها كانت موقتة بطبيعتها.

وأما الحوزات الفقهية السنية فقد كان شيوع روح التقليد فيها نتيجة لشيخوختها وبلوغها قُصارى نموها واستنفدت أغراضها، فتفاقم فيها روح التقليد.

ثانيا: إنّ الفقه السنّي كان فقه الدولة الرسمي.. الأمر الذي يجعله يتأثر بالأوضاع السياسية، فيزدهر باستقرارها، ويخبو جذوته في ظرف ارتباكها.. ولهذا تأثر الفقه السني في القرن السادس والسابع بالأوضاع السياسية المرتبكة...

وأما الفقه الإمامي فقد كان منفصلاً عن الأجهزة الحاكمة.. فلم يكن الفقهاء الإماميون يستمدون دوافع البحث العلمي من حاجات الجهاز الحاكم، بل من

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٦٨، وأُنظر، الغزالي ـ أبي حامد، احياء علوم الدين: ١ / ٦٧، طبعة دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٤ م.

حاجات الناس الذين يؤمنون بامامة أهل البيت عليهم السلام، ويرجعون إلى فقهاء مدرستهم في حل مشاكلهم.. وإذا اضفنا إلى ذلك حقيقة أُخرى، وهي أنّ الشيعة المتعبّدين بفقه أهل البيت كانوا في نموٍّ مستمر كميا، وكانت علاقتهم بفقهائهم وطريقة الافتاء والاستفتاء تتحدّد وتتسع، استطعنا أن نعرف أن الفقه الإمامي لم يفقد العوامل التي تدفعه نحو النموّ، بل اتّسعت باتساع التشيع، وشيوع فكرة التقليد بصورةٍ منظمة[1].

وخلاصة الأمر: ان الفكر الإمامي كان يملك عوامل النموّ داخليا وخارجيا.. ولمهيكن عامل التوقف ـ والركود النسبي ـ إلّا استجماعا للقوى لمواصلة النمو لاحقا.

بل حتى عامل الاثارة الذي افتقده الفكر العلمي الإمامي نتيجة لجمود الحوزات السنية.. سرعان ما استعاده بصورةٍ جديدة وذلك عن طريق الغزو المذهبي الذي قام بها الشيعة في القرن السابع الهجري وما بعده في دور الدعوة إلى مذهبهم، ومارس علماؤنا ـ كالعلّامة الحلي وغيره ـ هذه الدعوة في نطاق واسع، فكان ذلك كافيا لإثارة الفكر العلمي الشيعي للتعمق والتوسّع في درس أُصول السنة وفقهها وكلامها، ولهذا نرى توسعا في بحوث الفقه المقارن قام به العلماء الذين مارسوا تلك الدعوة من فقهاء الإمامية كالعلّامة الحلّي[2].

يضاف إلى هذين السببين، ظهور الفقيه المجدد المبدع ابن إدريس الحلّي ومدرسته النقدية حيث تفاعل مع الفكر العلمي للشيخ الطوسي ونقده وتمحيصه.

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ٧١.

(٢) المرجع نفسه: ٩٠ بتصرف.

المبحث الرابع: واقع الحركة العلمية في النجف بعد انتقال الحوزة العلمية للحلة

بعد نمو الحركة العلمية في مدينة الحلة وانتقال الحوزة العلمية الإمامية إليها؛ انتقل إليها العلماء وطلبة العلوم والمعارف الإسلامية من الحواضر الإسلامية وخاصة بغداد والنجف الأشرف، فتوسعت الدراسات العلمية في حوزة الحلة على حساب حوزة النجف الأشرف، التي لم يبق فيها إلّا بعض العلماء من الدرجات التي لا يشد إليها الرحال من قبل طالب العلم والمعرفة.

يقول أحد الباحثين في تاريخ الحوزات العلمية: «إنّ الباحث المدقق عندما يتأمل في كتب التاريخ وتراجم العلماء لمعرفة المستوى العلمي في النجف الأشرف في القرون الهجرية الثلاثة (السابع والثامن والتاسع) لا يعثر على عالم بارز، وفقيه لامع، ومؤلف محقق، وأُستاذ كبير تُشدّ إليه الرحال وتتوجه نحوه الأنظار، وذلك ان بعض العلماء في بغداد والنجف عندما شعروا بالأمن والاستقرار في مدينة الحلّة في بداية القرن السادس، توجهوا نحوها وأسسوا حوزة علميّة هناك، وكانت النتيجة هي توسّع وتعمق الحوزة العلمية في الحلّة على حساب تقلّص الحوزة العلمية في النجف الأشرف على مدى قرون ثلاثة»[1].

إلّا أن هذا لا يعني أن النجف الأشرف قد أضحت خالية من أي حركة علمية، وقاحلة من الأعلام والفضلاء عند انتقال الحوزة العملية منها إلى الحلة، فهنالك بعض الدلائل التي تشير إلى بقايا حركة علمية بقيت فيها، يلخصها بعض الباحثين بما يلي:

١ ـ ان الفاضل الرضي الأسترآبادي (ت ٦٨٦ هـ) ألّف كتابه شرح الكافية في هذه

---

(١) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف: ٦٣.

الفترة في النجف، حينما أشار هو في مقدمة وخاتمة كتابه المذكور بأنه من بركات الحضرة العلوية المقدّسة وذلك عام (٦٨٦ هـ)[١].

٢ ـ تحدث ابن بطوطة ـ ضمن زيارته للنجف خلال عام (٧٢٧ هـ) ـ عن مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة ـ على حد تعبيره ـ[٢].

٣ ـ في هذه الفترة بنيت مدارس ثلاث لطلّاب العلم والمهاجرين في النجف:

الأُولى: بناها السلطان محمد خدابنده، أو ابنه أبو سعيد، في القرن الثامن.

الثانية: بناها المقداد السيوري في القرن التاسع.

الثالثة: بناها الشيخ الملا عبد اللّه في القرن العاشر[٣].

ولو كانت النجف خالية من حركة علمية في هذه الفترة لما شيدت فيها هذه المدارس العلمية.

كما أن المصادر الرجالية تؤكد على وجود طبقة من الأعلام في النجف ضمن فترة الانتقال.. وإن هؤلاء تعهدوا الجامعة النجفية في خلال هذه الفترة في إدارة دفتها وإن كانت الزعامة العلمية قد انتقلت إلى الحلة[٤].

وقد أحصى أحد الباحثين عدد العلماء الذين درسوا في النجف في القرون الثلاثة فذكر منهم تسعة علماء في القرن السابع، وأحد عشر عالما في القرن الثامن، وارتفع

---

(١) أُنظر كتاب شرح الكافية للرضي الأسترآبادي: ١ / ١٨ مقدمة الرضي و ٤ / ٤٩٧ بتحقيق: يوسف حسن عمر، طبعة جامعة تونس، أُفست مطبعة الصادق، الطبعة الثانية.

(٢) رحلة ابن بطوطة: ١٠٩ ـ ١١١.

(٣) سوف يأتي الحديث عن المدارس الدينية في النجف الأشرف لاحقا.

(٤) بحر العلوم ـ محمد، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ٧ / ٥٣ ـ ٥٥.

العدد إلى أربعة وعشرين عالما في القرن التاسع[1].

وأما عن الأسباب التي دعت إلى انتقال الحركة العلمية وزعامتها إلى الحلة، فقد حددها بعض الباحثين بما يلي:

١ ـ لما أصاب طلّاب العلم وعلماءها من الأذى لقلة المياه في النجف.

٢ ـ لهجوم الأعراب المتكرر على النجف، فقد ذاق النجفيون آنذاك الأمرين من هؤلاء الأعراب.

٣ ـ لغلاء النجف.

٤ ـ لانتقال زعيم الحركة العلمية العلّامة الشيخ صاحب السرائر إلى الحلة لأنه كان حليا[2].

وهي أسباب فيها شيء من الوجاهة، ولكن ما ذكره بالنسبة إلى ابن إدريس يحتاج إلى نوع من التثبت، إذ «لم يتأكد أن ابن ادريس كان من طلّاب الجامعة النجفية، ثمّ انتقل إلى الحلة بعدها، والظاهر أن ثقافته العلمية حلية صرفة. نعم ذكرت المصادر أنه روى عن أبي علي الطوسي، أو ولده أبي نصر، وإن جدّه لأمه الشيخ الطوسي! لكن المصادر لم تذكر لنا أنه تلمذ في المدرسة النجفية.

ولم نقتنع بأن الأسباب التي دعت إلى انتقال الحوزة العلمية هي هذه الأُمور التي تقدمت، إنما الذي يصلح للاعتقاد به هو أن الحلة نبغ فيها ابن ادريس وأضرابه، وكانت من قبله تدار فيها حركة علمية، وعند ظهور ابن ادريس توج الحركة، ووجه الأنظار إليه بحملاته القاسية على شيخ الطائفة الطوسي، والمشتغلون يتبعون المبرّز

---

(١) أُنظر، الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف: ٦٥ ـ ١٧١.

(٢) أحمد مجيد عيسى، مقال: الدراسة في النجف، مجلة البيان، السنة الثانية: ٧٣٢.

في عصرهم، وقد حقق ابن ادريس هذه التبعية بنبوغه، ولهذا أثر على حركة الجامعة النجفية وإن لم يشلها تماما»[1].

* واقع الحركة العلمية لحوزة النجف الأشرف في القرن السابع والثامن والتاسع

وقبل الانتقال إلى المرحلة الثانية من عمر الحوزة النجفية في القرن العاشر الهجري، لابد لنا من استعراض سريع ومقتضب لواقع الحركة العلمية في النجف الأشرف في القرون الثلاثة (السابع والثامن والتاسع).

أولاً: الحركة العلمية في النجف في القرن السابع الهجري

كتب أحد الباحثين في شؤون الحوزة العلمية عن واقع حوزة النجف في القرن السابع فقال: «تعيش الحوزة العلمية في النجف الأشرف في القرن السابع في ظل، وتحت شعاع الحوزة العلمية في الحلة.. ولكن رغم ذلك لا تزال الحركة العلمية متواصلة في حوزة النجف وبخطوات وئيدة.

فالكتاب الفقهي المعوّل عليه في الدراسة الفقهية لا يزال هو (النهاية)، وفي الأُصول: العدة والعلماء الباحثون قليلون، والمؤلفون في الفقه والأُصول في هذه الفترة.. نادرون، حيث كتب الشيخ الرضي الأسترآبادي (شرح الكافية) في النحو، وبعض الكتب في المنطق والعقائد. وكتب عبد اللّه بن حمزة المشهدي (الهادي إلى النجاة) و (ايجاز المطالب في إبراز المذاهب)، و (مناهج اليقين) في العقائد. وكتب زين الدين بن علي (الفوائد الشمسية).

وكل ذلك يؤشر على هيمنة مدرسة شيخ الطائفة (الطوسي) على الحوزة

---

(١) بحر العلوم، الدراسة في النجف، موسوعة العتبات: ٧ / ٥٦.

النجفية»[1].

ثمّ أحصى هذا الباحث علماء هذا القرن فبلغ ثلاثة عشر رجلاً، وأورد مختصرا من ترجمتهم[2].

من أبرزهم: الحسن بن علي بن محمد عماد الدين الطبري، صاحب كتاب أسرار الإمامة.

ومنهم: الحسين بن عبد الكريم الغروي الملقب بالخازن، والذي يروي عنه رضي الدين علي بن طاووس واخوته، وله بعض الحكايات يحكيها في كتاب (فرحة الغري) لابن طاووس[3].

ومنهم: عبد اللّه بن حمزة المشهدي، وله بعض المؤلفات. ومنهم: علي بن زيد الهمداني، القاضي الزيدي. ومنهم: علي بن طاووس الذي مكث في النجف الأشرف لفترة من الزمن، درس فيها وأ لّف فيها ما وفق له. ومنهم: رضي الدين محمد بن الحسن الأسترآبادي (نجم الأئمة) له شرح الكافية، وشرح الشافية وشرح القصائد الحديدية، وفرغ من تأليف كتابه القيم شرح الكافية وهو مجاور لأمير المؤمنين عليه السلام فيقول في آخر كتابه: «وقد تمَّ تمامُه، وخُمَّ اختتامه، في الحضرة المقدّسة الغروية، على مشرَّفها صلوات رب العزة وسلامه، في شوال سنة ست وثمانين وستمائة»[4].

---

(١) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف الأشرف: ١ / ١٦٣.

(٢) المرجع نفسه: ١ / ١٧٢ ـ ١٧٩.

(٣) أنظر، فرحة الغري، لابن طاووس: ٣١١ وما بعدها، تحقيق: محمد مهدي نجف، طبعة العتبة العلوية ـ النجف الأشرف، ١٤٣١ هـ.

(٤) الرضي الأسترآبادي ـ محمد بن الحسن، شرح الكافية: ٤ / ٤٩٧ تحقيق: يوسف حسن عمرو، أفست مؤسسة الصادق.

ثانيا: الحركة العلمية في النجف في القرن الثامن الهجري

وصف الرَّحالة المغربي محمد بن عبد اللّه اللواتي، الشهير بابن بطوطة (ت ٧٧٩ هـ) في رحلته المعروفة (رحلة ابن بطوطة) النجف الأشرف التي زارها في القرن الثامن فقال: «ثمّ رحلنا، فنزلنا مدينة مشهد علي بن أبي طالب عليه السلام بالنجف، وهي مدينة حسنة في أرض فسيحة.. دخلناها من باب الحضرة، فاستقبلنا سوق.. ثمّ الحضرة حيث القبر الذي يزعمون أنه قبر علي عليه السلام، وبازائه المدارس والزوايا والخوانق.. ويدخل من باب الحضرة إلى مدرسة عظيمة يسكنها الطلبة والصوفية من الشيعة، ولكل وارد عليها ضيافة ثلاثة أيام من الخبز واللحم والتمر، مرتين في اليوم. ومن تلك المدرسة يدخل باب القبلة..»[1].

يشير هذا الوصف الجميل لواقع النجف الأشرف في القرن الثامن الهجري إلى وجود حركة علمية، ومدارس دينية، لها طلّابها ويسكنون أقسامها الداخلية ويشاركهم فيها بعض المتصوفة من الشيعة، وإن هنالك من ينفق على هذه المدرسة، ويهيء لطلّابها وزوارها المواد الغذائية.

ويمكن أن نستنتج من خلال ما ذكره الرحالة ابن بطوطة عن النجف، أن هذه المدينة قد بدأت باستعادة نشاطها العلمي ـ نسبيا ـ وأن فيها حركة علمية متصاعدة.

ومما يعزز هذا الاستنتاج هو ظهور بعض الأعلام في حوزة النجف الأشرف، عرفوا بمكانتهم العلمية، وغزارة نتاجهم العلمي وخاصة في مجال الفلسفة والعرفان والحكمة وعلى رأسهم السيّد حيدر الآملي الذي سكن النجف الأشرف قرابة الثلاثين

---

(١) ابن بطوطة، الرحلة: ١٩٣، شرح وتحقيق: طلال حرب، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢ م ـ ١٤٢٣ هـ.

سنة، استطاع خلالها أن يكتب ما مجموعه ستة وعشرين كتابا ورسالة، تناول العرفان، والتفسير وتأويله، والتصوف، والفلسفة.. وعناوين كتبه ورسائله تدلان على مشربه الفلسفي والعرفاني.

علما بأن الآملي كان من تلامذة فخر المحققين وكتب له جملة من المسائل الفقهية، وأجاز له في سنة (٧٦١ هـ) روايتها[١].

كما أن النجف الأشرف قد ضمت في مدرستها وحوزتها العلمية مجموعة أُخرى من العلماء كان لهم آثارهم العلمية في الفقه وعلم الكلام، والمنطق، وبقيّة حقول المعرفة.

ومن أُولئك الاعلام:

الشيخ حسين الأسترآبادي؛ الذي أقام بالنجف الأشرف وكتب بها حاشية الارشاد ومنهم: حمزة بن حمزة العلوي؛ وله اجازة رواية من فخر المحققين الذي يثني عليه فيها. ومنهم: عبد الرحمن العتايقي؛ شارح نهج البلاغة، وكتب في الفلسفة والحكمة والمنطق.. تنوف على خمسة عشر كتابا ذكر بعضها صاحب الأعيان[٢].

ومنهم: السيّد عبد اللّه بن شرفشاه الحسيني، الذي ينقل عنه الكفعمي في حواشي مصباحه بعض الفوائد، ويروي عنه أحمد بن فهد (ت ٨٤١ هـ).

وهنالك أعلام آخرون لهم آثارهم العلمية، حوتهم حوزة النجف الأشرف، في هذه الفترة الزمنية لا يسع المجال لذكرهم رضوان اللّه عليهم أجمعين[٣].

---

(١) أُنظر ترجمته في كتب التراجم، الأفندي، رياض العلماء: ٢ / ٢١٨، الخوانساري، روضات الجنات: ٢ / ٣٧٧، الأمين، أعيان الشيعة: ٦ / ٢٧٢.

(٢) الأمين، أعيان الشيعة: ١١ / ٥٢٤.

(٣) أُنظر، الغروي ـ محمد، مع علماء النجف: ١ / ١٨٩ ـ ٢٠٣.

ثالثا: الحركة العلمية في النجف في القرن التاسع الهجري

استعادت النجف الأشرف بعض نشاطها العلمي، واستطاعت أن تنهض من جديد في هذا القرن بعد أن بان الضعف في حوزة الحلة، وفقدت بعض مركزيتها العلمية بعد تأسيس مجموعة من الحوزات الفرعية من قبل النابهين من خريجي حوزة الحلة.

فكانت هنالك حوزة جبل عامل التي أوجد فيها الشهيد الأول محمد بن مكي (٧٣٤ ـ ٧٨٦ هـ) مدرسة فكرية نشطة، وهو من خريجي مدرسة الحلة وحوزتها العلمية، كذلك نشطت حوزة إصفهان وكاشان، وبلدان أُخرى.

وكان للنجف الأشرف وحوزتها نصيب من هذا النشاط، فظهر فيها علماء كبار استطاعوا أن يعيدوا لهذه الحوزة المباركة بعض مجدها.

وعلى رأس أُولئك الأفذاذ من العلماء؛ الشيخ: أبو عبد اللّه المقداد السيوري الغروي (ت ٨٢٦ هـ).

ومن أهم معالم الحركة العلمية في حوزة النجف الأشرف في هذا القرن:

أولاً: تشييد المدارس الدينية:

فقد شيّد المقداد السيوري مدرسته المعروفة في النجف الأشرف باسمه، ثمّ عرفت بالمدرسة (السليمة) نسبة إلى بانيها الثاني (سليم خان الشيرازي)، ويعود بناء المدرسة الأولِ إلى سنة (٨٢٨ هـ)، والبناء الثاني إلى سنة (١٢٥٠ هـ)، وهي واقعة في صوب المشراق في سوق الصاغة ولا زالت آثارها موجودة إلى الآن[1] وسوف يأتينا المزيد عنها وعن مدارس النجف الأُخرى لاحقا إن شاء اللّه.

ثانيا: تجدد نشاط حركة التأليف والكتابة:

---

(١) محبوبة ـ باقر، ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٣٧٩.

إذ بدأ العلماء والمحققون والباحثون بالتأليف في الفقه والتفسير والعقائد والأدعية.. فصنف العلماء المحققون من الحوزة العلمية في النجف الأشرف في مختلف الحقول الإسلامية في هذا القرن رغم قلة عددهم حسب الأسماء المدونة في التاريخ[1].

ثالثا: ظهور علماء كبار:

فقد حفلت حوزة النجف الأشرف في هذه الفترة بأسماء لامعة من أعلام الشيعة الإمامية، كان لهم نشاطهم العلمي، وخلفوا لنا تراثا وصلنا الكثير منه.

ومن أُولئك العلماء:

١ ـ الشيخ الكفعمي، إبراهيم بن علي بن صالح، (كان حيا سنة ٨٩٥ هـ) واختلف في محل دفنه، له مؤلفات كثيرة إلّا أنه عرف بكتابه (المصباح) أو (مصباح المتهجد)، يقول عنه صاحب الرياض: «إنه ورد المشهد الغروي وأقام به، وطالع في كتب خزانة الحضرة الغروية، ومن تلك الكتب أ لّف كتبه الكثيرة في أنواع العلوم..»[2].

٢ ـ المولى الحسن بن راشد الحلي (كان حيا سنة ٨٣٠ هـ) وهو من تلاميذ الفاضل المقداد.. وممن أرخ وفاة أُستاذه، وكان شاعرا أديبا فاضلاً فقيها، له مجموعة الأراجيز في مدح أهل البيت وفي مواضيع أُخرى، عبر عنه الأفندي في الرياض بقوله: «الفاضل العالم الشاعر، من أكابر الفقهاء..»[3].

٣ ـ المولى الحسن بن محمد الأسترآبادي:

---

(١) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف: ١ / ٢٠٩.

(٢) الأفندي، رياض العلماء: ١ / ٢١.

(٣) المصدر نفسه: ١ / ١٨٥.

يعبر عنه الطهراني بأنه «من أكابر علماء متأخري أصحابنا»[1]. وقد عرف الأسترآبادي بتضلعه في التفسير وله كتاب (معارج السؤل في مدارج المأمول في تفسير خمسمائة آية من آيات الأحكام) في مجلدين، بالاضافة إلى كتاب آخر في نفس الموضوع بعنوان (عيون التفاسير).

٤ ـ الشيخ خضر نجم الدين بن محمد الحلبرودي:

وحبلرود: قرية من أعمال الري بين بلاد مازندران والري، فهو رازي النسبة ونجفي المسكن، ترجم لنفسه في مقدمة كتابه التوضيح، فقال: «خضر بن محمد.. الملازم لخزانة المشهد الشريف الغروي..»[2]. وله ترجمة طويلة في الرياض مع فهرست لكتبه التي يقول عنه صاحب الرياض: «ثمّ لهذا الشيخ مؤلفات عديدة في علم الكلام وغيره» ويصف كتبه ونسخها ويقول عن أحد كتبه: «وهو كتاب حسن جيد كثير الفوائد..»[3].

٥ ـ الشيخ أبو عبد اللّه المقداد بن عبد اللّه السيوري الغروي (ت ٨٢٦ هـ):

ويعد المقداد السيوري الحلي الأسدي الغروي من كبار علماء ومشاهير رجال الدين في هذه المرحلة، وكانت له رياسة دينية ومرجعية عامة، وكانت الرحلة إليه فيعصره، وله يومئذٍ مدرسة دينية، حافلة برجال العلم[4].

وللمقداد السيوري نخبة متميزة من الطلّاب والمحصلين منهم:

١ ـ محمد بن شجاع القطان، صاحب كتاب «معالم الدين في فقه آل ياسين»،

---

(١) الطهراني، آقا بزرك: احياء الداثر في القرن العاشر: ٤٨، والغروي، مع علماء النجف: ١ / ٢١٥.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٦ / ٣٢٣.

(٣) الأفندي، الرياض: ٢ / ٢٣٧ ـ ٢٣٨.

(٤) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف: ١ / ٢٢٥.

عاش في النجف وتلقى من الفاضل المقداد الدروس والعلوم وروى عن أُستاذه[1].

٢ ـ الشيخ قاسم الدين: وهو من طلّاب الشيخ المقداد ويروي عنه.

٣ ـ الشيخ علي بن الحسن بن غلالة: وصف بأنه: «صالح فاضل عالم فقيه من تلامذة الشيخ المقداد، وقد أجازه المقداد بخطه على كتاب الأربعين هكذا: «أنهى قراءة هذه الأحاديث الشيخ الصالح العلم الفاضل زين الدين علي بن الحسن.. وأجزت له روايتها عني وعن مشايخي قدس اللّه أرواحهم..»[2].

٤ ـ علي بن شوا: من طلّاب الفاضل المقداد ومن سكان أرض الغري على متوفيها السلام[3].

٥ ـ السيّد حمزة بن محسن الحسيني: يقول الغروي: «ومن المظنون قويا أنه كان من علماء النجف باعتبار تتلمذه على الفاضل المقداد المجاور للمقام المقدس في النجف..»[4].

٦ ـ الشيخ عبد اللّه بن المقداد: وهو ولد الشيخ المقداد، فاضل عالم جليل[5].

قال الطهراني لدى ترجمة والده المقداد السيوري: وله ولد عالم كان سَميَّ جده وهو عبد اللّه بن المقداد بن عبد اللّه، كتب والده باسمه (الأربعين)[6].

أُولئك هم بعض أعلام المجتهدين والفضلاء والمحصلين في حوزة النجف الأشرف في هذه الحقبة الزمنية.

---

(١) الطهراني، الذريعة: ٢١ / ١٩٩.

(٢) الأفندي، رياض العلماء: ١ / ٤٠٨.

(٣) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف: ٢١٩.

(٤) المرجع نفسه: ١ / ٢١٦.

(٥) الأفندي، رياض العلماء: ٣ / ٢٣٦.

(٦) الطهراني، الطبقات، الضياء اللامع في علماء القرن التاسع: ١٣٨.

* المناهج الدراسية

ليس بين أيدينا معلومات تفصيلية تسلط الضوء على الكتب الدراسية التي كانت سائدة في هذا القرن، والقرنين السابقين، سوى بعض الشذرات المتناثرة التي تلتقط من هنا أو هناك.

يقول أحد الباحثين بنحو الاجمال: «.. كما أن الكتب الدراسية السائدة في الحوزة الدينية هي كتب: النهاية ومختلف الشيعة والمعارج والعدة و.. مؤلفات العلماء السابقين»[1].

والذي يبدو ومن خلال عناوين بعض مؤلفات هذا القرن وما سبقه، أن النزعة العرفانية والصوفية كانت هي السائدة في الأوساط العلمية، كما نجد ذلك جليا في كتابات السيّد حيدر الآملي.

بالاضافة إلى ذلك نجد كتب الكلام والمنطق وشروح المتون الكلامية لها حضور أيضا.

ولا ينبغي أن نهمل دور مدرسة الحلة في رفد المناهج الدراسية في النجف بالكتب الفقهية الاستدلالية وكتب أُصول الفقه، والشروح والحواشي، والتي كانت تزخر بها حوزة الحلة وعلماؤها كما سوف يأتينا لاحقا إن شاء اللّه.

---

(١) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف الأشرف: ١ / ٢١٠.

الحوزة العلمية في النجف الأشرف

«الدور الثاني»

المبحث الأول: عودة النجف إلى مركزها العلمي

المبحث الثاني: رائدا هذه المرحلة: المحقق الكركي، والمقدّس الأردبيلي

* المحقق الكركي:

أ ـ جهود المحقق الكركي العلمية

ب ـ التراث العلمي للمحقق الكركي

ج ـ شيوخ وتلامذة المحقق الكركي

* المحقق الأردبيلي:

أ ـ جهود المحقق الأردبيلي

ب ـ التراث العلمي للمحقق الأردبيلي

ج ـ تلامذة المحقق الأردبيلي

المبحث الثالث: من أعلام هذه المرحلة وتراثهم العلمي

المبحث الأول: عودة النجف إلى مركزها العلمي

بعد ثلاثة قرون من الزمن ازدهرت خلالها الحوزة العلمية في مدينة الحلة، حيث شهدت نشاطا علميا واسعا على يد جهابذة كبار من فقهاء الشيعة، وأثمرت عن ذخيرة علمية وكتب وموسوعات فقهية وأُصولية وكلامية، بعد هذه المسيرة العلمية المباركة للحوزة العلمية في الحلة سرعان ما تراجعت الحركة العلمية فيها، «فاستعادت الحوزة العلمية في النجف الأشرف حيويتها، ومركزها العلمي الرفيع في العقود الأخيرة من القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر الهجري..»[1].

وأفول الحركة العلمية في مدينة الحلة، وانتقال حوزتها الكبرى إلى النجف الأشرف، واستعادة النجف الأشرف موقعها العلمي مرة أُخرى له سببه أو أسبابه التي أشار إليها بعض الباحثين والتي منها:

أولاً: توفر بعض الخدمات الحياتية في مدينة النجف؛ ومن أهمها توفر المياه حيث «سحبت المياه إليها، واهتم بايصاله إليها كثير من السلاطين والعلماء وغيرهم..».

ثانيا: استقرار الوضع الأمني: فقد اتخذت الاحتياطات اللازمة لحماية المدينة من خلال «بناء الأسوار» لتقليل أثر هجوم الأعراب التخريبي المتكرر على النجف[2].

وأضاف باحث آخر سببا ثالثا لهذه العودة، وهو العامل السياسي، فقال معقبا على ما ذكره: «وليس من البعيد أن يكون عامل توفير المياه والأمن في النجف سببا لعودة الحياة العلمية في الجامعة النجفية بعد أن رحلت عنها ثلاثة قرون. ولكن الذي يخال

---

(١) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ٩٩.

(٢) أحمد مجيد عيسى، الدراسة في النجف، مجلة البيان: ٧٣٠.

لنا هو أن الدوافع الرئيسية لبعث الحياة الفكرية أو تنشيطها في هذه الجامعة يعود إلى عامل سياسي وطائفي دفع إلى بعث الحركة العلمية في النجف. ذلك أن السلطة الجلائرية والاليخانية ـ واللتان حكمتا بغداد زمانا ليس بالقصير ـ كانتا على قصد في احياء الحركة العلمية في الجامعة النجفية وجعلها قوة دفاعية للشيعة، ومركزا مهما يقابل بغداد. «ففي بغداد حركة علمية سنية تدار من قبل السلطة الحاكمة حينذاك في العهد العباسي، والسلطتان المتقدمتا الذكر هما القوة المقابلة للخلافة، كما كان الأمر في عهد البويهين، ولهذا كان لهاتين السلطتين دور في دعم جامعة النجف، واهتمامهم بها كمصدر للاشعاع العلمي المعبر عن علم أهل البيت عليهم السلام»[1].

إلّا أنّ ما ذكر هذا الباحث من سبب وعامل سياسي لهذا الانتقال لا يمكن الركون إليه، إذ لا شاهد عليه من تاريخ السلطتين الجلائرية والاليخانية، والحوزات الشيعية الإمامية حافظت على استقلاليتها من تدخل السلطات الحاكمة فلم تخضع في حركتها العلمية لرغبة السلاطين، ولا للموازنات السياسية.

والذي نتصوره أن السبب الأهم والرئيس لهذا الانتقال هو بروز شخصية علمية، لها مرجعيتها الفقهية، وشهرتها العلمية والتي تمثلت في هذه المرحلة بالمحقق الكركي، أو بالمقدس الأردبيلي، أو بكليهما معا، كما سوف يأتينا قريبا.

إذ يعتبر هذا السبب هو العامل الرئيس في انتقال الحوزات والمدارس الدينية من مدينة إلى مدينة أُخرى، ومنها حوزة النجف الأشرف في أدوارها الثلاثة: «ولو استقصينا الحركة العلمية، أو بالأحرى الدراسة في النجف لوجدنا أنها لم تلبث حيث تقع النجف، ولم تخلق في تربتها، وإنما انتقلت إليها من العواصم العلمية الأُخرى

---

(١) بحر العلوم ـ محمد، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ٧ / ٥٩ ـ ٦٠.

حيث كان يتعهدها رجال العلم والدين، فأتمت أكلها في النجف جنيا. ولهذا الانتقال أسباب تدعو إليه، إلّا أن السبب الرئيس له هو انتقال الرئيس الديني العلمي (زعيم الحركة العلمية) فحيث انتقل الرئيس، وحيث حط رحاله، شدت المطايا، وكثرت الهجرة لتلك المدينة التي هاجر إليها، فكل انتقال لابد أن يكون تحت رئاسة لبعض العلماء..»[١].

والذي يبدو أن ظهور علماء كبار من أمثال المحقق الكركي، والمقدَّس الأردبيلي والفاضل القطيفي وغيرهم في النجف الأشرف من جهة، وخلو حوزة الحلة من العلماء والمحققين الكبار بعد وفاة فخر المحققين أبي طالب محمد بن الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي (ت ٧٧١ هـ) من جهة ثانية، هو السبب الرئيس لهذا الانتقال[٢].

---

(١) أحمد مجيد عيسى، الدراسة في النجف، مجلة البيان: ٧٣١.

(٢) شمس الدين ـ محمد رضا، حديث الجامعة النجفية، مجلة آفاق نجفية: ٢٣٥.

المبحث الثاني: رائدا هذه المرحلة؛ الكركي والأردبيلي ودورهما

نصَّ أغلب المؤرخين لهذه المرحلة على أنها بدأت في عهد المقدّس الأردبيلي في القرن العاشر، وامتدت إلى نهاية القرن الثاني عشر حيث انتقلت إلى كربلاء»[1].

إلّا أن أحد الباحثين المحققين ينسب هذه الريادة للشيخ الكركي، فيقول: «وازدهرت النجف ثانية بعد هبوط الشيخ المحقق الكركي إليها، وتسلمه زمام المرجعية العامة للإمامية فيها، وتسنمه منبر الدرس الأعلى في وسطها العلمي، وذلك لماكان يتمتع به من تفوق علمي، وعقلية قيادية واعية».

ويقول عن المقدس الأردبيلي: «وكان أكثر العلماء شهرة بعد المحقق الكركي ـ في هذاالقرن العاشر الهجري، وفي مركز النجف الأشرف ـ المقدس الأردبيلي..»[2].

والذي يبدو أن الرأي الثاني هو الأرجح: «فإنّ المحقق الكركي قد صرّح في اجازته لصفي الدين عيسى، أنه ورد الأعتاب المقدسة مجاورا لها في (٩٠٩ هـ) وهذه الاجازة كتبها لصفي الدين في إصفهان سنة (٩٣٧ هـ)...» كما أن وفاته في سنة (٩٤٠ هـ) في النجف في يوم الغدير، وصرّح بأنه من الشهداء، فكأنه ثبت عنده أنه مات مسموما، ومن ذكر أن وفاة الكركي في (٩٣٧ هـ) اشتباه من الكاتب[3].

بينما نجد أن المحقق الأردبيلي الذي ولد في أردبيل ولا تنص كتب التراجم على

---

(١) بحر العلوم ـ محمد، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ٧ / ٦٠، وأُنظر: حسن الصدر، مراكز العلم للشيعة، ملحق كتاب تكملة أمل الآمل: ٥٨٥، والغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف: ٩٩.

(٢) الفضلي ـ عبد الهادي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٩٩ ـ ٤٠٢.

(٣) الطهراني ـ آقا بزرك، طبقات أعلام الشيعة: ٤ / ١٦٠ ـ ١٦١.

تاريخ ولادته، ولا تاريخ هجرته إلى النجف الأشرف، إلّا أنّ وفاته كانت في النجف في شهر صفر سنة (٩٩٣ هـ) حسبما يقوله صاحب الطبقات[١]، أو (٩٩٢ هـ) بحسب رواية بعض المؤرخين[٢].

ومهما يكن من أمر، فإن لكلا العلمين، الكركي والأردبيلي ـ متعاقبين ـ دورا كبيرا ومؤثرا في هذه المرحلة من مراحل الحوزة العلمية النجفية، وهما رائدا هذه المرحلة.

أ ـ المحقق الكركي

«والمحقق الكركي هو: نور الدين علي بن الحسين بن علي بن محمد بن عبد العالي العاملي الكركي (ت ٩٤٠ هـ).. ويعبر عنه بالشيخ العلائي..»[٣].

قال عنه صاحب المستدرك: «.. مُروِّج المذهب والملة، وشيخ مشايخ الأجلة، محي مراسم المذهب الأنور،.. مستهل سبل النظر والتحقيق، ومفتح أبواب الفكر والتدقيق، شيخ الطائفة في زمانه، وعلّامة عصره وأوانه، الفقيه المجتهد الكبير الملقب تارة بالشيخ العلائي، وأُخرى بالمحقق الثاني..».

ثمّ ينقل قول صاحب الجواهر: «من كان عنده جامع المقاصد والوسائل والجواهر، لا يحتاج بعدها إلى كتاب آخر للخروج عن عهدة الفحص الواجب على الفقيه في آحاد المسائل الفرعية»[٤].

وقال عنه المحقق البحراني في لؤلؤة البحرين: «فهو في الفضل والتحقيق، وجودة

---

(١) الطهراني ـ آقا بزرك، طبقات أعلام الشيعة: ٨١٤.

(٢) حرز الدين، معارف الرجال: ١/ ٥٦.

(٣) آقا بزرك، الطبقات: ٤ / ١٦٠.

(٤) محبوبة ـ باقر، ماضي النجف وحاضرها: ٣/ ٢٤٠.

التحبير والتدقيق أشهر من أن ينكر، وكفاك اشتهاره بالمحقق الثاني، وكان مجتهدا صرفا وأُصوليا بحتا»[1].

١ ـ جهود المحقق الكركي العلمية:

والمحقق الكركي قد ولد في قرية كرك نوح، الواقعة في سفح جبال لبنان، حيث أكمل فيها دراسته الأُولى على يد محمد بن محمد بن خاتون، وأُجيز منه سنة (٩٠٠ هـ).

إلّا أنه لم يكتفِ بما درسه في مسقط رأسه، وإنما هاجر منها إلى بلدان عدّة، طالبا للعلم والرواية والدراية، آخذا عن محدثي الديار الإسلامية، قال المحدث النوري في المستدرك ناقلاً عن المحقق الكركي نفسه قوله: «ومن علمائهم الّذين عاصرتهم وأدركت زمانهم، فأخذت عنهم، وأكثرت الملازمة لهم، والتردّد إليهم، بدمشق وبيت المقدس (شرفه اللّه تعالى وعظمه) وبمصر، ومكة (زادها اللّه شرفا وتعظيما)، وصرفت في ذلك سنين متعدّدة وأزمنة متطاولة، وجمعت أسانيد ذلك وأثبته في مواضع، وكتبت مشيخة شيخنا الجليل أبي يحيى زكريا الأنصاري بمصر، وتتبعت جملة من أسانيد شيخنا الجليل العلّامة كمال الدين أبي عبد اللّه محمد بن أبي شرف المقدسي فكتبتها، وخطه مكتوب على بعضها..»[2].

والذي يبدو أن وجهته الأُولى في هجرته العلمية كانت مصر، حيث أَخذ من

---

(١) البحراني ـ الشيخ يوسف بن أحمد، لؤلؤة البحرين: ١٥١، بتحقيق السيّد محمد صادق بحر العلوم، طبعة أُفست مؤسسة آل البيت، بلا ـ ت.

(٢) النوري ـ الميرزا حسين، خاتمة مستدرك الوسائل: ٢ / ٢٢، طبعة مؤسسة آل البيتعليهم السلام، الطبعة الأُولى، ١٤١٥ هـ

علمائها، ثمّ أخذ من علماء بلاد الشام، وسافر إلى بلاد العرب وأخذ من علمائها وعلماء إيران[1]. ثمّ استقرّ في النجف الأشرف، حيث قضى معظم حياته فيها، ولم يستقر بإيران سوى ست سنوات فقط، ثلاثة منها في بداية عهد الشاه إسماعيل الصفوي (٩١٦ ـ ٩١٩ هـ)، وثلاثة أُخرى تحت ظلّ ولده الشاه طهماسب (٩٣٦ ـ ٩٣٩ هـ)[2].

وهنالك شواهد كثيرة تدل على طول مكوث المحقق الكركي في النجف الأشرف، منها، اجازته للشيخ أحمد بن محمد الشهير بابن أبي جامع المؤرخة سنة (٩٢٨ هـ) كتبها له بالغري[3]، حيث قال الكركي فيها: «ورد الينا إلى المشهد المقدس الغروي على مشرفه الصلاة والسلام، وانتظم في سلك المجاورين بتلك البقعة المقدّسة برهة من الزمان..»[4].

كذلك جاء في آخر رسالته الموسومة بـ (السجود على التربة الحسينية بعد أن تشوى بالنار) والتي يردُّ فيها على معاصره الشيخ إبراهيم القطيفي.. إنه فرغ من تأليفها في النجف الأشرف يوم الحادي عشر من شهر ربيع الأول سنة (٩٣٣ هـ)[5].

ومن آثاره الباقية في النجف مسجده المشهور، كان قديما يعرف بمسجد المحقق الكركي، وبعده عرف بمسجد الطريحي، وهو من المساجد المشهورة المعظمة في

---

(١) النوري ـ الميرزا حسين، خاتمة مستدرك الوسائل: ٢ / ٢٧٨ وما بعدها.

(٢) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٣٢٤.

(٣) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٢٤٢.

(٤) المجلسي، بحار الأنوار: ١٠٨ / ٦٠.

(٥) المحقق الكركي، رسائل المحقق الكركي، المجموعة الثانية: ٢ / ١١، ٩١ ـ ٩٢، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، وذكرها الأفندي في رياض العلماء: ٣ / ٤٤٧، والطهراني في الذريعة: ١٢ / ١٤٨ رقم ٩٩٧.

النجف..»[1]. ولا زال هذا المسجد شاخصا في محلة المشراق، وكان يصلي فيه العلامة المتتبع الشيخ آقا بزرك الطهراني النجفي صاحب كتاب الذريعة والطبقات. وقد جدَّد ديوان الوقف الشيعي بناءه أخيرا.

وفاة الكركي ومحل دفنه:

ذكرنا سابقا أنه ﷺ توفي في النجف يوم الاثنين الثامن عشر من ذي الحجة وهو يوم الغدير سنة (٩٤٠ هـ) وأشرنا إلى بعض الخلاف في هذا التاريخ إلّا أنَّ هنالك اختلافا في سبب وفاته: «فقيل: مات مسموما، دس له السم أحد أُمناء الدولة في زمن السلطان الشاه طهماسب»[2].

وقد نُسب حديث وفاة الكركي مسموما إلى اثنين من أعلام الإمامية المعاصرين لتلك المرحلة، هما: الشيخ محمد بن علي بن حسن العودي الجزيني، في رسالته «بغية المريد في الكشف عن أحوال الشهيد» التي كتبها في أحوال أُستاذه الشهيد الثاني زين الدين العاملي حيث ذكر أنه ـ أي الكركي ـ توفي مسموما في اليوم الثاني عشر من شهر ذي الحجة سنة (٩٤٠ هـ)، وهو في مدينة النجف.

كما نسب للشيخ حسين بن عبد الصمد الحارثي (والد الشيخ البهائي) قوله: «إنّ الكركي قتل شهيدا بالسُمّ، المستند إلى فعل بعض أُمناء الدولة»[3].

---

(١) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ٣ / ٢٤٣.

(٢) المرجع نفسه: ٣ / ٢٤٣.

(٣) جودت القزويني، المؤسسة الدينية الشيعية: ٣٢٠ ـ ٣٢١، وللتوسع أُنظر نص رسالة ابن العودي في كتاب: «الدر المنثور من المأثور وغير المأثور» للشيخ علي بن محمد بن الحسن: ٢ / ١٦٠، طبعة قم، ١٩٧٩ م، وأُنظر أيضا ما قاله الخوانساري في الروضات: ٤ / ٣٧٢.

أما محل دفنه، فقد ذكر أحد الباحثين أنه: «دفن في الصحن الشريف»[1]، نقلاً عن الأفندي في (رياض العلماء: ٣٠) ولم نعثر على ما ذكر في الجزء والصفحة التي أشار إليهما هذا الباحث، وإنما وجدنا صاحب رياض العلماء ينقل في ترجمة المحقق الكركي في الجزء الثالث، الصفحة ٤٤٨، عن كتاب جهان آرا: «إنه ـ أي المحقق الكركي ـ مات في مشهد علي عليه السلام في الثامن عشر ذي الحجة وهو يوم الغدير سنة أربعين وتسعمائة وقيل في تاريخه «مقتداي شيعه» ولم يذكر محل دفنه فتأمل»، كما أنه لم يذكر ضمن كتاب مشاهير المدفونين في الصحن العلوي الشريف الذي كتبه الباحث كاظم عبود الفتلاوي وأصدرته مكتبة الروضة الحيدرية، وشخصية مرجعية كالمحقق الكركي لا يهمل ذكره ان كان مدفنه الحرم العلوي، وهنالك كلام يتداول على الألسن في مدفنه في مسجده (مسجد الطريحي) أو في مسجد بنات الحسن عليه السلام والله العالم بحقائق الأُمور.

٢ ـ التراث العلمي للمحقق الكركي:

لقد ترك لنا المحقق الكركي تراثا علميا كبيرا اتصف بالشمول والسعة من جهة، وبالعمق العلمي من جهة ثانية، ودل على هذه السعة والعمق قائمة كتبه التي وصلتنا، وعلى رأسها كتابه الكبير «جامع المقاصد» الذي أشرنا إليه سابقا.

ولهذا نجد كلمات المترجمين له تشير إلى هاتين الخصوصيتين في تراث الكركي، يقول التفرشي في نقد الرجال: «علي بن عبد العالي الكركي، شيخ الطائفة، وعلامة وقته، صاحب التحقيق والتدقيق، كثير العلم، نقي الكلام، جيّد التصانيف من أجلاء

(١) الغروي، تاريخ الحوزة: ١٠٦.

هذه الطائفة»[1].

ويقول عنه العلّامة المجلسي: «.. وتصانيفه في نهاية الرزانة والمتانة»[2].

وعبر عنه الشهيد الثاني في بعض اجازاته بقوله: «الشيخ الإمام، المحقق المنقّح..»[3].

وأما قائمة ببليوغرافيا مؤلفاته، فهي طويلة ذكرها العلامة الأمين في أعيانه نقلاً عن ترجمته في كتب التراجم وفيما يلي أسماء أهم هذه المؤلفات:

١ ـ جامع المقاصد في شرح القواعد:

ويعتبر هذا الكتاب من أضخم جهوده العلمية التي عُرف بها واشتهر،.. والذي شرح فيه كتاب «قواعد الأحكام في مسائل الحلال والحرام» للعلّامة الحلي شرحا استدلاليا تفصيليا.

يقول السيّد الأمين: «وهو شرح لم يعمل قبله أحد مثله في حل مشكله مع تحقيقات حسنة وتدقيقات لطيفة، خال من التطويل والاكثار وشارح لجميع الفاظه المجمع عليه، والمختلف فيه، وقد اشتهر هذا الشرح اشتهارا كثيرا واعتمد عليه الفقهاء في أبحاثهم ومؤلفاتهم...»[4].

ويصرح المحقق الكركي في مقدمته لكتابه أنه كتبه في النجف الأشرف حيث قال: «ولما كان هذا الكتاب ممّا منَّ اللّه عليَّ بانشائه في حرم سيّدي ومولاي أمير المؤمنين، وسيّد الوصيين صلوات اللّه عليه تترى، بعد أخيه صفوة اللّه من النبين

---

(١) التفرشي، نقد الرجال: ٢٣٨.

(٢) المجلسي، بحار الأنوار: ١ / ٢١، ٤١.

(٣) الحر العاملي، أمل الآمل: ١ / ١٢١.

(٤) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٨ / ٢١٠.

وآلهما المعصومين»[1].

والذي يبدو أن الكركي قد كتب جامع المقاصد في الفترة الطويلة الأُولى من مكوثه في النجف الأشرف والتي امتدت إلى ما يقارب الخمسة عشر عاما، والتي تفرّغ خلالها للتدريس والتأليف، مبتعدا عن الدولة الصفوية وهمومها[2]، وكتاب جامع المقاصد ـ على أهميته ـ لا يمثل دورة فقهية كاملة: «إذ لم يتجاوز مؤلفه بحث تفويض البضع من كتاب النكاح، وقد وصل إلى هذا الحدّ في (ج ١ من ٩٣٥) ولم يتيسّر له إتمامه بعد ذلك فتمّمه الفاضل الهندي بكتابه «كشف اللثام عن وجه قواعد الأحكام» فابتدأ بشرح كتاب النكاح إلى آخر القواعد، ثمّ شرح بعد ذلك الحج والطهارة والصلاة..»[3].

وقد حظي كتاب جامع المقاصد باهتمام العلماء والفقهاء وأساطين الدراسات العليا في الحوزات العلمية لما يتمتع به الكتاب من متانة علمية ورصانة فقهية فرضت نفسها على الوسط الحوزوي، ولما تناوله فطاحل العلماء بالتمحيص والتدقيق والشرح، والتفصيل، وكتبت عليه التتمات، والشروح، والحواشي، منها: تتميم جامع المقاصد للمولى التستري، وتعليقة الشيخ لطف اللّه الميسي (ت ١٠٣٢ هـ).. وكل ما تقدّم ـ إن دلّ على شيء ـ فإنما يدلّ على أنّ الكتاب غني عن كل اطراء وثناء وأنه السفر القيم الذي سد فراغا في المكتبة الإسلامية طالما ظَلَّ شاغرا، وبذلك صار الكتاب منية الفقيه، وطلبة المجتهد»[4].

٢ ـ الرسالة الجعفريّة: والتي أ لّفها سنة (٩١٧ هـ) في مدينة مشهد، وهي في

(١) الكركي، جامع المقاصد: ١ / ٦٧ طبعة مؤسسة آل البيت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ.

(٢) أُنظر، القزويني، المؤسسة الدينية: ٢٨٨.

(٣) الطهراني ـ آقا بزرك، الذريعة: ٥ / ٧٢.

(٤) المرجع نفسه: ٥ / ٧٢ ومقدمة جامع المقاصد: ١ / ٤٦ ـ ٤٧.

الصلاة الواجبة والمندوبة، والتي نالت تقدير تلامذته، فكتبوا عليها شروحا، وتعليقات مختلفة كما أن للمؤلف نفسه شرحا على هذه الرسالة[1].

٣ ـ الرسالة الخراجيّة المعروفة بـ (قاطعة اللجاج في تحقيق حلّ الخراج).

٤ ـ الرسالة الرضاعية.

وقد ردّ على هاتين الرسالتين معاصر الكركي ورفيق دربه الشيخ إبراهيم القطيفي، وكثر السجال بينهما بما لا يسعنا ذكره هنا[2].

٥ ـ حواشي مختلف الشيعة (للعلّامة الحلي).

٦ ـ حواشي كتاب شرائع الإسلام (للمحقق الحلي).

٧ ـ حواشي ارشاد الأذهان (للعلّامة الحلي).

٨ ـ حواشي اللمعة الدمشقية (للشهيد الأول).

٩ ـ حواشي الذكرى (للشهيد الأول).

١٠ ـ حواشي المختصر النافع (للمحقق الحلي).

١١ ـ شرح الألفية (للشهيد الأول).

١٢ ـ رسائل المحقق الكركي: وهي مجموعة قيّمة من الرسائل طبعت مؤخرا في ثلاثة مجلدات بتحقيق الشيخ محمد الحسون، وقد اهتم الشيخ الحسون بتراث المحقق الكركي وجمعه في موسوعة قيمة تضمنت تراث الكركي ما عدا جامع المقاصد الذي حقق من قبل مؤسسة آل البيت وطبع في ثلاثة عشر مجلدا.

وتعتبر رسالة (طرق استنباط الأحكام) من الوثائق العلمية المهمة جداً، فهي على

---

(١) أُنظر الذريعة: ٣ / ٤٣٦ و ٤ / ٩٤ و ٥ / ١١١ و ١٦ / ٣٥٢ و ٢١ / ١٤٠.

(٢) أُنظر تفصيل ذلك عند السيّد الأمين في الأعيان: ٨ / ٢١٢ ـ ٢١٣، والسيّد القزويني في تاريخ المؤسسة الدينية: ٢٨٥ وما بعدها.

اختصارها تبين كيفية سلوك المجتهد في استنباطه الأحكام، وقد نشرت هذه الرّسالة مستقلة ضمن منشورات كلية الفقه في النجف الأشرف سنة (١٣٩١ هـ) بتحقيق الشيخ عبد الهادي الفضلي[1]. وطبعت أيضا ضمن مجموعة رسائل المحقق الكركي[2].

كما أن هنالك بعض الرسائل نسبت للمحقق الكركي منها رسالة: «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت». يقول أحد المحققين عن هذه الرسالة: «والرسالة ركيكة النسج، هشّة لا ترقى إلى لغة كاتبها، وأُسلوبه العلمي المتين. كما أنّ أحدا من فقهاء الشيعة ومراجعهم قبل مرحلة الكركي، أو بعده لم يكن قد تطرّق إلى جواز سب الصحابة، وشتمهم، والنيل منهم، مما ينفي وجود مثل هذا المنهج في كتب العلماء الشيعة الكبار.

وقريب من هذه الرسالة، رسالة أُخرى نسبت إليه بعنوان: «تعيين المخالفين لأمير المؤمنين» «وهي رسالة مريبة لا يمكن تحقيق نسبتها إليه، كما أنّ شيخ التحقيق العلّامة الطهراني لم يذكرها في عداد مؤلفات الكركي في موسوعة «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» مما يدلّ على أنها من صناعة الأقلام المتأخرة... ومما ألحق برسائل الكركي بعض الاستفتاءات المريبة.. إنّ جميع هذه المرويات لم تتكرّر في مؤلفات الكركي الثابتة النسبة إليه، كما أنّ الأُسلوب الذي كُتبت به يختلف عن أُسلوب المحقّق في مؤلفاته الأُخرى، يظهر ذلك من المقارنة بين هاتين الطريقتين الدالتين على أنّ كاتبهما ليس شخصا واحدا، وانّها مكتوبتان بقلم شخصين مختلفين»[3].

(١) أُنظر نص الرسالة في كتاب تاريخ التشريع الإسلامي للفضلي: ٤٠٩ ـ ٤١٩.

(٢) رسائل المحقق الكركي: ٣ / ٤٠ ـ ٥٢.

(٣) القزويني ـ جودت، تاريخ المؤسسة الدينية: ٣٢٥ ـ ٣٢٧، وللاطلاع على قائمة مؤلفات الكركي، أُنظر أعيان الشيعة للأمين: ٨ / ٢١٠، ومقدمة جامع المقاصد: ١ / ٤١ ـ ٤٣، والفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٤٠٠ ـ ٤٠١.

٣ـ شيوخ وتلامذة المحقق الكركي:

روى الشيخ الكركي ودرس عند كثير من علماء عصره، من الخاصة والعامة، ومن أبرز مشايخه وأساتذته:

١ ـ زين الدين أبو الحسن علي بن هلال الجزائري:

وهو من أبرز أساتذة ومشايخ المحقق الكركي، وقد أثنى الكركي على أُستاذه الجزائري في اجازته للقاضي صفي الدين بن عيسى، ومما قاله: «فممن قرأت عليه، وأخذت عنه، واتصلت روايتي به، ولازمته دهرا طويلاً، وازمنة كثيرة، وهو أجلّ أشياخي، وأشهرهم، وهو شيخ الشيعة الإمامية في زماننا غير منازع، شيخنا الشيخ الإمام السعيد، علامة العلماء في المعقول والمنقول، المعمّر الأوحد، الفاضل، ملحق الأحفاد بالأجداد، قدوة أهل العصر قاطبة، زين الملة والحق والدين، أبو الحسن علي بن هلال قدس اللّه نفسه الزكية وأفاض على مرقده المراحم الربانية»[1].

٢ ـ الشيخ شمس الدين محمد بن خاتون العاملي.

٣ ـ الشيخ شمس الدين محمد بن داود، عن ابن الشهيد، عن أبيه.

٤ ـ الشيخ أحمد بن الحاج علي العاملي العيناثي.

٥ ـ الشيخ زين الدين جعفر بن حسام العاملي.

ويعتبر الشيخ الجزائري، شيخ مشايخ الإمامية في عصره، وهو من أبرز تلامذة الشيخ أحمد بن فهد الأسدي الحلي (ت ٨٤١ هـ)، والذي هو من أشهر وألمع تلامذة الفاضل المقداد السيوري الحلي[2].

---

(١) النوري ـ حسين، خاتمة مستدرك الوسائل: ٢ / ٢٩٢.

(٢) المرجع نفسه: ٢ / ٢٩١ ـ ٢٩٤.

«والفاضل المقداد يجمع بين تلمذته على فخر المحققين الحلي، والشهيد الأول العاملي الشامي، فكان بهذا الملتقى الذي جمع بين الرافدين، والمصب الذي أفرغ محتوى المركزين العلميين، الحلي والشامي، في النجف الأشرف عن طريق المحقق الكركي»[1].

وللمحقق الكركي أساتذة ومشايخ من أبناء العامة درس عندهم في سفره إلى بلاد مصر حيث أخذ من علمائها بعد الأخذ من علماء الشام، وقد ذكر في اجازته لصفي الدين عيسى أسماء بعض مشايخه من العامة منهم أبو يحيى زكريا الأنصاري، وكمال الدين محمد بن أبي شريف المقدسي...»[2].

وأما تلامذته فهم من الكثرة الكاثرة حتى أن بعضهم قال: «وربّى في مدة يسيرة ما يزيد على أربعمائة مجتهد»[3]، ومن أشهرهم:

١ ـ الشيخ علي بن عبد العالي الميسي.

٢ ـ الشيخ زين الدين الفقعاني.

٣ ـ الشيخ أحمد بن محمد بن أبي جامع (المعروف بابن أبي جامع).

٤ ـ الشيخ أحمد بن محمد بن خاتون العاملي.

٥ ـ الشيخ نعمة اللّه بن جمال الدين أحمد بن محمد بن خاتون العاملي.

٦ ـ الشيخ علي المنشار زين الدين العاملي.

٧ ـ الشيخ كمال الدين درويش محمد بن الشيخ حسن العاملي.

---

(١) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٣٩٩ ـ ٤٠٠.

(٢) الطهراني ـ آقا بزرك، الطبقات: ٤ / ٦٠ وأنظر: أمل الآمل: ١ / ١٢٢، ورياض العلماء: ٣ / ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

(٣) جامع المقاصد، مقدمة التحقيق: ٤١.

٨ ـ الشيخ عبد النبي الجزائري (صاحب الرجال).

٩ ـ السيّد شرف الدين علي الحسيني الأسترآبادي النجفي.

١٠ ـ الشيخ أبو القاسم نور الدين علي بن عبد الصمد العاملي.

١١ ـ السيّد الأمير محمد بن أبي طالب الأسترآبادي الحسيني.

١٢ ـ الشيخ ظهير الدين إبراهيم بن علي الميسي.

١٣ ـ الشيخ برهان الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي الخانيساري الإصفهاني.

١٤ ـ الأمير نعمة اللّه الحلي[1].

*** المحقق الكركي وولاية الفقيه:**

لقد كان المحقق الكركي فقيها جامعا، بل ومن كبار فقهائنا الذي لا يمكن تجاهل آرائه الفقهية في عمليات الاستنباط الفقهي التي يمارسها فقهاء أهل البيت عليهم السلام ومن أهم ما يلفت النظر في فتاوى المحقق الكركي، المدرجة في كتبه الفقهية هو قوله في نيابة الفقيه وصلاحيته في التعامل مع السلطة الزمنية، وكتابه الفقهي (الخراج) أو قاطعة اللجاج في تحقيق حلّ الخراج، وغيره بالاضافة إلى سيرته العملية مع ولادة الدولة الصفوية تدل على هذا الأمر بوضوح.

ولهذا نجده قد «سار في مرجعيته العامة، وزعامته للطائفة سيرة الشهيد الأول؛ فقد كان يقول بولاية الفقيه، وأدار في هديها وبحكم نيابته عن الإمام المهدي عليه السلام شؤون الدولة الصفوية وكانت آنذاك بزعامة الشاه طهماسب الصفوي؛ فهو أول فقيه اقترن اسمه بظهور الدولة الصفوية ودعمها.

يقول المحدث البحراني في كتابه (لؤلؤة البحرين): «وكان من علماء الشاه

---

(١) جامع المقاصد، مقدمة التحقيق: ٤١.

طهماسب الصفوي، وجعل أُمور المملكة بيده، وكتب رقما إلى جميع الممالك بامتثال ما يأمر به الشيخ المزبور، وإن أصل الملك إنما هوله؛ لأنه نائب الإمام[1]، فكان الشيخ يكتب إلى جميع البلدان كتابا بدستور العمل في الخراج، وما ينبغي تدبيره في أُمور الرعية»[2].

ونقل عن السيّد نعمة اللّه الجزائري أنه قال في صدر كتابه (شرح غوالي اللئالي): «رأيت للشيخ أحكاما ورسائل إلى الممالك الشاهية إلى عمالها، وأهل الاختيار فيها تتضمن قوانين العدل، وكيفية سلوك العمال مع الرعية في أخذ الخراج، وكميته، ومقدار مدته.. وأمر أن يقرر في كل بلد وقرية اماما يصلي بالناس، ويعلّمهم شرائع الدين»[3].

فالمحقق الكركي؛ جمع بين الفقاهة والبحث العلمي، وبين التصدي لأُمور الأُمة الإسلامية، ولم يقتصر نشاطه على البحث العلمي فحسب بل تجاوزه إلى ميدان الإصلاح الاجتماعيّ متنقلاً في جملة من البلدان، مساهما في توعية الجمهور اسلاميّا، الأمر الذي يضفي على شخصيّته تقديرا خاصّا»[4].

---

(١) يمكن الاطلاع على نص الأمر الصادر في كتاب المحدث النوري، خاتمة المستدرك: ٢ / ٢٨٢ حيث نقل النص الفارسي عن رياض العلماء للأفندي: ٣ / ٤٥٥، كما تجد الترجمة العربية في المرجع نفسه: ٢ / ٢٨٧ وما بعدها.

(٢) البحراني، لؤلؤة البحرين: ١٥٢ ـ ١٥٣، وللتوسع أُنظر: السيّد جودت القزويني في كتابه: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية: ١٤٠ ـ ١٥٤، وكتابه الآخر: تاريخ المؤسسة الدينية: ٢٧٦ وما بعدها.

(٣) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٤٠٢.

(٤) البستاني ـ محمود، مقدمة كتاب الخراجيات: ٣٤ طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، ١٤١٣ هـ.

ويشير مؤرخ الدولة الصفوية (حسن بيك روملو) المعاصر للشيخ الكركي، في كتابه القيّم «أحسن التواريخ» ما ترجمته: «لم يسع أحد بعد الخواجه نصير الدين الطوسي في الحقيقة أزيد مما سعى الشيخ علي الكركي هذا في اعلاء أعلام المذهب الحق الجعفري الاثني عشري، وكان له في منع الفجرة والفسقة، وزجرهم، وقلع قوانين المبتدعة وقمعها، وفي ازالة الفجور والمنكرات، واراقة الخمور والمسكرات، واجراء الحدود والتعزيرات، واقامة الفرائض والواجبات، والمحافظة على أوقات الجمعة والجماعات، وبيان أحكام الصيام والصلوات، والفحص عن أحوال الأئمة والمؤذنين، ودفع شرور المفسدين والمؤذين، وزجر مرتكبي الفسوق والفجور حسب المقدور، مساعي جميلة، ورغّب عامة العوام في تعلّم الشرائع وأحكام الإسلام وكلّفهم بها»[1].

ولهذا لاقى المحقق الكركي عنتا شديدا من بعض معاصريه من فقهاء الضد النوعي الذي لا يخلو منهم زمان، كما أن بعض المتنفذين في الدولة الصفوية ابدوا ممانعة في قبال مد ولاية الفقيه المتمثلة في المحقق الكركي آنذاك، ولهذا سعوا إلى اقصاءه فقضى آخر أيام حياته في النجف الأشرف، ومات فيها مسموما شهيدا رحمة اللّه عليه.

ب ـ الشيخ أحمد بن محمد المعروف بالمقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ)

وكان من أكثر العلماء شهرة بعد المحقق الكركي في هذه المرحلة من مراحل حوزة النجف الأشرف.

---

(١) الأفندي، رياض العلماء: ٣ / ٤٥٠ ـ ٤٥١، وأُنظر النص الفارسي عن حسن بيك روملو، أحسن التواريخ: ٢٤٩ تحقيق وتصحيح: الدكتور عبد الحسين نواني، طبعة انتشارات بابك، ١٣٥٧ هـ ش.

و «أَمره في الجلالة والثقة والأمانة اشهر من ان يذكر، وفوق ما تحوم حوله العبارة، كان متكلما فقيها، عظيم الشأن، جليل القدر، رفيع المنزلة، اورع اهل زمانه، واعبدهم واتقاهم»[1].

وقال عنه العلامة الحرّ العاملي في أمل الأمل: «المولى الأجل الأكمل: «احمد بن محمد الأردبيلي» كان عالما، فاضلاً، مدققا، عابدا، ثقة، ورعا، عظيم الشأن، جليل القدر معاصرا لشيخنا البهائي»[2].

١ ـ منهج المقدس الأردبيلي في الاستدلال الفقهي:

لقد تميز المقدّس الأردبيليﷺ من بين الفقهاء السابقين والمعاصرين له بطريقة استدلالية خاصة، ابرزها بشكل خاص من خلال استدلالاته الفقهية في كتابه القيم مجمع الفائدة والبرهان.

فقد كانﷺ يعتمد في استدلاله على الفكر والاجتهاد التحليلي من دون النظر إلى آراء بقية العلماء، ومع انه لم يكن ذا تجديد خاص به لكن كانت له طريقته الخاصة[3] التي ميزته عن غيره من فقهاء عصره.

ولم تذكر لنا كتب التراجم عن أسماء أساتذة المقدس الأردبيلي شيئا، سوى قولهم أنّه درس عند بعض تلامذة الشهيد الثاني وعند فضلاء العراقين والمشاهد المعظّمة،

---

(١) التفرشي ـ مصطفى، نقد الرجال: ١ / ١٥١، طبعة مؤسسة آل البيت، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هـ الأردبيلي ـ محمد بن علي، جامع الرواة: ١ / ٦١، مصدر سابق.

(٢) الحرّ العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٢٣ رقم الترجمة ٥٧.

(٣) مقدمة جامع المقاصد ١ / ٢٤ ـ ٢٥. وانظر: حسين مدرّسي طباطباني ـ مقدمة فقه الشيعة ـ فارسي: ٥٦، مصدر سابق.

وله الرواية عن السيّد (علي الصائغ) الذي هو من كبار تلامذة الشهيد الثاني[1].

هذا وقد تميز منهج المحقّق الأردبيلي في الاستنباط عن منهج الفقهاء السابقين واللاحقين له بميزتين:

الأُولى: التحرّر من حصار التبعية للمشهور من الفقهاء السابقين.

والثانية: الاعتماد على مبدأ السماح والسهولة في أحكام الشريعة على اساس قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[2] وقولهﷺ: (بُعِثْتُ بالحنيفيّة السَّمْحَة) و (يسروا ولا تعسروا)[3].

وفيما يلي توضيح ذلك من خلال ذكر نماذج من منهجه الاستدلالي.

في مجمع الفائدة والبرهان للأردبيلي في شرح قول العلامة الحلّي في الارشاد: «ويجب معرفة واجب افعال الصلاة...» إلى آخره.

قال‌ﷺ إعلم: أنّ الذي تقتضيه الشريعة السهلة والأصل، عدم الوجوب على التفصيل والتحقيق المذكور في الشرح، وأظنّ، أنه يكفي الفعل على ما هو المأمور به....

ثم يقول: والحاصل: أنه لا دليل يصلح، إلّا أن يكون اجماعا، وهو أيضا غير معلوم لي، بل ظنّي: أنه يكفي في الأُصول الوصول إلى المطلوب كيف كان بدليل ضعيف

---

(١) الحكيم السيّد منذر، مقدمة معالم الدين ـ قسم الفقه: ٢٩، وانظر اعيان الشيعة: ٩ / ١٩٥ كذلك المستدرك: ٣ / ٣٩٢، الطبعة القديمة. وللسيد أبو الفضل مفتي الشيعة الموسوي كتاب بعنوان: «المقدس الأردبيلي حياته وآثاره» طبعة دار الهدى ـ قم، ١٤٢٥ هـ وفيه بعض المعلومات التي لا توجد في ترجمة الأردبيلي من كتب الرجال والتراجم، إلّا أنّ السيّد الموسوي لا يذكر لنا مصدر معلوماته.

(٢) الحج: ٧٨.

(٣) انظر: كنز العمال، حديث ٩٠٠، والدرّ المنثور: ١ / ٤٦٥.

باطل، وتقليد كذلك كما مرّ إليه الإشارة.

ثم يقول: وبالجملة: لي ظنّ قويّ على ذلك من الأُمور الكثيرة، وإن لم يكن كلّ واحد منها دليلاً، فالمجموع مفيد له، وإن لم يحضرني الآن كلّه...[1].

وذكر أيضا في مسألة الشك بين الأثنتين والثلاث والأربع:

«إنه يكفي في الأُصول مجرّد الوصول إلى الحق، وأنّه يكفي ذلك لصحة العبادة المشترطة بالقربة، من غير اشتراط البرهان والحجّة على ثبوت الواجب... هذا ظنّي، وقد استفدته أيضا من كلام منسوب إلى افضل العلماء وصدر الحكماء، نصير الحق والشريعة، وعين الفرقة الناجية بالبراهين العقلية والنقلية على أحقية مذهب الشيعة الأثني عشرية....

ومما يؤيده: الشريعة السهلة السمحة... وبالجملة: هذا ظنّي، ولكنّه لا يغني من شيء، ولعلّي لا أُعاقب به إن شاء اللّه تعالى، وقد استبعدت ما ذكره بعض الأصحاب سيّما في الرسالة الألفية...»[2].

وقال‰ في بحث وجوب العلم بدخول وقت الصلاة: «وبالجملة: كلّ من فعل ما هو في نفس الأمر ـ وإن لم يعرف كونه كذلك ـ ما لم يكن عالما بنهيه وقت الفعل، حتّى لو أخذ المسائل عن غير أهله، بل لو لم يأخذ من أحد فظنّها كذلك وفعل، فإنّه يصحّ ما فعله، وكذا في الاعتقادات، وإن لم يأخذها عن أدلتها، فإنه يكفي ما اعتقده دليلاً وأوصله إلى المطلوب، ولو كان تقليدا...»[3].

---

(١) انظر الأردبيلي، مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الاذهان: ٢ / ١٨٢ مبحث افعال الصلاة، ط. قم ـ مركز النشر الاسلامي، بلا ـ ت.

(٢) مجمع الفائدة والبرهان: ٣ / ١٨٩ ـ ١٩٠ باختصار وتلخيص.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٥٤ ـ ٥٥.

وفي زبدة البيان وفي ذيل تفسير قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ...﴾[1] يقول المحقق الأردبيلي: «ثم اعلم أنَّ ظاهر الآية تحريم الخمر وكل مسكر مطلقا، وكذا كلّ قمار وميسر ولكن مع أخذ الرهن على ما فهم من اشتقاقه والأصحاب يحرّمونه مطلقا لعله لأخبار او إجماع، أو كون الميسر أعم هنا عندهم، وإن كان في الأصل خاصا»[2].

هذه بعض النتف والنماذج التطبيقية الاستدلالية، وهي تعكس منهج رائد هذه المرحلة المحقق الأردبيلي﵀ في الاستدلال، حيث الاعتماد على التحليلات العقلية، واعطاء الظنون مساحة واسعة في مجال الاستنباط، والاعراض عن الاخبار والاجماعات ـ كما لاحظنا ذلك في نص زبدة البيان ـ وعدم الالتزام بما يلتزم به المشهور إن لم يكن لرأيهم دليل يعتمد عليه.

وقد أوضح المحقّق الأردبيلي منهجه الفقهي في كتابه الاستدلالي القيِّم «مجمع الفائدة والبرهان» بشكل صريح حيث قال في حجية الاجماع، والشهرة وجبر عمل الاصحاب لضعف الرواية ما نصه:

١ ـ «إنّ الاجماع لا يكون حجة إلّا أن يكون له سند»[3].

٢ ـ «إنّ الاجماع لا يتحقق مع وجود الخلاف بين أساطين العلماء»[4].

٣ ـ «إن مخالفة الدليل القطعي يقدح، ومخالفة الاجماع ما لم يكن قطعيا لم

---

(١) البقرة: ٢١٩.

(٢) زبدة البيان في احكام القرآن ـ المقدس الأردبيلي: ٦٣١. ط. المرتضوية، بلا ـ ت.

(٣) مجمع الفائدة والبرهان: ٤ / ٢٢٨.

(٤) المصدر نفسه: ٤ / ١٧٣.

يقدح»[1].

٤ ـ «يجوز مخالفة الاجماع المنقول بخبر الواحد ـ فإن الناس يغلطون فيه كثيرا ـ بمجرّد سماعهم أنه لا يجوز خلاف الاجماع»[2].

وقال في الشهرة، وجبران ضعف السند بالشهرة وعمل الأصحاب ما نصه:

١ ـ «الشّهرة ليست بحجّة»[3].

٢ ـ «الشّهرة ليست بحجة مع وجود الخلاف»[4].

٣ ـ «وعمل الأكثر ليس بحجّة»[5].

٤ ـ «والجبر بالشهرة غير مسموع»[6].

إلى غيرها من العبارات الصريحة المبثوثة في كتابه المذكور، والتي خالف فيها مباني كثير من الفقهاء السابقين له من أمثال الشيخ الطوسي وابن ادريس والمحقّق والعلّامة وخالفه كثير من الفقهاء اللاحقين له من أمثال الشيخ الوحيد وصاحب الجواهر وتلامذتهم حيث اشتهر الشيخ الوحيد البهبهاني بالأخذ بالاجماع، وعرف عن صاحب الجواهر استناده إلى الشهرة وعدم مخالفته لها.

ولهذا نجد النقد الشديد لمنهج المحقّق الأردبيلي في كلمات أكثر من فقيه جاء من بعده وخاصة من الوحيد البهبهاني الذي أكثر في المناقشة والردّ عليه، في حاشيته

---

(١) مجمع الفائدة والبرهان: ٣ / ٢٧٢.

(٢) المصدر نفسه: ٣ / ٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه: ٢ / ٢٢٦ و ٧ / ٣٨٥ و ٨ / ٩١ و ٩ / ٣٤٦.

(٤) المصدر نفسه: ٤ / ١٩، ٦٥، ٢٢٩، ٣١٧ و ١٢ / ٤٨١.

(٥) المصدر نفسه: ١٣ / ٤٤١.

(٦) المصدر نفسه: ١ / ٨٩.

على كتاب مجمع الفائدة والبرهان، حتى انه قال عنه: «رأيته قد كبا جواده في بعض الميادين، فأخذ يعترض على علمائنا الأساطين»[1].

التراث العلمي للمقدس الأردبيلي:

للمقدس الأردبيلي جملة من المؤلفات والتصانيف منها:

١ ـ مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الأذهان.

٢ ـ زبدة البيان في تفسير آيات أحكام القرآن.

٣ ـ اثبات الواجب، وهو رسالة فارسية في أُصول الدين مع البسط في الإمامة.

٤ ـ النص الجلي في امامة مولانا علي [عليه السلام].

٥ ـ الحاشية على الإلهيات الشرح الجديد للتجريد.

٦ ـ تعليقات على شرح المختصر العضدي.

٧ ـ تعليقات على خراجيّة المحقق الثاني «الكركي».

٨ ـ استيناس المعنويّة.

٩ ـ حديقة الشيعة في تفصيل أحوال النبي والأئمة ـ بالفارسية[2].

إلّا أن المحقق الطهراني في الذريعة شكك في نسبة تأليف «حديقة الشيعة» للأردبيلي، وقال: إنّ المهوّسين ضد التصوف في القرن الحادي عشر، بعد ثورة الشاه عباس الصفوي ضد الصوفية بقزوين عام (١٠٠٢ هـ)، وبعد نقل العاصمة إلى إصبهان أخذوا نسخة الكتاب هذا وزادوا عليه رسالة ضد الصوفية وسموّها «حديقة الشيعة»، ونسبوها إلى المقدس المترجم له للإستفادة من مكانته عند الناس للدعاية

---

(١) مقدمة حاشية مجمع الفائدة والبرهان: ٣.

(٢) الطهراني، الطبقات: ٤ / ٨ ومقدمة مجمع الفائدة والبرهان: ٣٨ ـ ٣٩.

ضد الصوفية، دعايات قامت بها الحكومة ضد الصوفية في ذلك القرن..»[1].

ويعتبر كتاب «مجمع الفائدة والبرهان، في شرح ارشاد الأذهان» من أهم آثار المقدس الأردبيلي العلمية، ومن أشهر موسوعات الفقه الاستدلالي، وأحسنها تدقيقا وتحقيقا، ولكن المؤسف أن قسما منه ضاع على مرور الزّمن»[2].

ومجمع الفائدة والبرهان للأردبيلي من نتاج هذه المرحلة في مجال البحث الفقهي الاستدلالي، إلى جانب كتاب جامع المقاصد للمحقق الكركي، في المجال نفسه.

يقول أحد الباحثين في تقييمه لهذين الكتابين الفقهيين الموسوعيين: «وكتابا (الجامع) للكركي، و (المجمع) للأردبيلي، هما في الوسط العلمي الإمامي من أُمهات الكتب المراجع في الفقه الاستدلالي.

وبما انتهيا إليه من تطور في المبحث، حيث تكاملت أدواته الفنية ووسائله العلمية في التحليل والتعليل، والاستقراء والاستنتاج، والموازنة والمقارنة، والنقد والمناقشة، وما إلى هذه، استقر ووضح الخط العام للتأليف في الفقه الاستدلالي، في المادة والمنهج وأُسلوب العرض.

وكلّ ما أُلف بعدهما من الكتب المراجع في الفقه الاستدلالي لم يخرج عما رسا عليه الكتابان المذكوران من الطريقة في التأليف الفقهي الاستدلالي، إلّا في الجوانب الفنية التي لا تمس الجوهر بتغيير أو تعديل.

وعند هذين الكتابين نستطيع أن نقف عند نقطة النهاية لمسيرة التطور الفقهي عند

---

(١) الطهراني، الطبقات: ٤ / ٨ ـ ٩، وقارن بما كتبه المحدث النوري في خاتمة المستدرك: ٢ / ٩١ وما بعدها.

(٢) مجمع الفائدة والبرهان: ١ / ٣٩ المقدمة.

الإمامية، تلكم المسيرة التي تزعمها وابتدأها الشيخ المفيد، حيث تحققت أهدافه في رفع البناء للصرح العلمي على ما وضع وأُرسي من أُسس وقواعد.

وقد عرف هذا المنهج بمنهج أو طريقة المجتهدين، وعرفه أصحابه بالفقهاء المجتهدين، نسبة إلى ما أوجده من جو علمي للاجتهاد الشرعي ـ الذي يعني استنباط الحكم من الدليل ـ حيث وفر له كلّ متطلباته وجميع مستلزماته من أدوات فنية ووسائل علمية»[١].

* مشايخ وأساتذة وتلامذة المقدس الأردبيلي:

لا توجد لدينا معلومات عن المراحل العلمية التي طواها المقدس الأردبيلي في مسقط رأسه أردبيل، ولا نعرف شيئا عن مشايخه وأساتذته سوى بعض الاشارات المقتضبة.

فقد نقل السيّد الأمين في الأعيان عن حدائق المقربين: «إنه قرأ في المنقول والمعقول على بعض تلاميذ الشهيد الثاني وفضلاء العراقين والمشاهد المشرفة. ويروي عن السيّد علي الصائغ.. الذي هو من كبار تلامذة الشهيد الثاني»[٢].

ويقول المحدث النوري عن السيّد الصائغ: «العالم الفقيه السيّد علي بن الحسين بن محمد الشهير بالصائغ الحسيني العاملي الجزيني، شارح الشرايع والارشاد، ويروي عنه المولى الأردبيلي أيضا كما صرح به العلّامة المجلسي في أول الأربعين..» وأضاف النوري: «لم أعثر له على شيخ غيره»[٣].

---

(١) الفضلي، تاريخ التشريع الإسلامي: ٤٠٣.

(٢) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ٨١.

(٣) النوري، خاتمة مستدرك الوسائل: ٢ / ٨٦، ١٠٤.

إلّا أنّ السيّد الأمين ذكر في الأعيان: «ومن مشايخه المولى جمال الدين محمود تلميذ جلال الدين الدواني، وكان شريكا في الدرس عند المولى عبد اللّه اليزدي (صاحب حاشية تهذيب المنطق للتفتازاني) والمولى ميرزا جان الباغندي»[1].

وذكر الشيخ العراقي في مقدمة التحقيق لكتاب مجمع الفائدة والبرهان: «ويظهر مما أفادهﷺ في مبحث القبلة من شرح الارشاد، إنه تلمذ في الهيئة عند خاله العلّامة، قال: وأهل هذا العلم (علم الهيئة) في هذا العصر قليل جدا ورأيناه منحصرا في خالي الذي ما سمح الزمان بمثله بعد نصير الملة والدين.. إلى أن قال: ولنذكر هنا ما استفدناه من خدمته...»[2].

تلامذة الأردبيلي:

لقد اتخذ المقدس الأردبيلي من الصحن العلوي الشريف مَدرسا للتعليم والتربية والتزكية، متخذا لنفسه غرفة في مدرسة الصحن الشريف.... فدرس عليه في النجف الأشرف جمع من العلماء المعروفين، وجميعهم يعتبرون من علماء النجف في القرن العاشر (الهجري)[3].

وكان من أبرز تلامذة الأردبيلي في النجف الأشرف، صاحبا المعالم والمدارك، يقول السيّد الأمين في الأعيان: «ويقال: إنهما لما وردا العراق طلبا منه درسا خاصا بهما، وإن يبين لهما نظره فقط إن كان له نظر مخالف في المسألة فأجابهما إلى ذلك، فكانا يقرآن كثيرا من المسائل بدون أن يتكلم فيها بشيء، فكان طلبة العجم من

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ٨١.

(٢) مجمع الفائدة والبرهان، المقدمة: ٣٧.

(٣) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف: ١٠٠ ـ ١٠١.

تلامذته يهزأون بهما، فيقول لهم الأردبيلي: «قريبا يذهب هذان إلى جبل عامل ويصنِّفان المصنفات وتقرأُون فيها»، فكان كما قال صنّف الشيخ حسن المعالم، والسيّد محمد المدارك وجاءت إلى العراق وقرأ فيها الناس»[1].

وفيما يلي ترجمة مختصرة لأبرز تلامذة الأردبيلي:

١ ـ السيّد السند الأمير فيض اللّه بن عبد القاهر الحسيني التفرشي النجفي.

وقد نص صاحب الرياض على تلمذته عند المقدس الأردبيلي في النجف الأشرف فقال عنه: «الفاضل العالم العامل الجليل العابد الزاهد الورع التقي النقي الموفق المعروف، الساكن بأرض الغري تلميذ المولى أحمد الأردبيلي»[2]. وللسيّد فيض اللّه مؤلفات ذكرها السيّد الأمين في الأعيان منها: شرح المختلف، وكتاب في الأُصول، وحواشي على آيات الأحكام للأردبيلي[3].

٢ ـ الأمير فضل اللّه الأسترآبادي النجفي.

كان فاضلاً عالما جليلاً، وكان من أجلاء تلامذة المولى أحمد الأردبيلي، له تعليقات على إلهيات الشرح الجديد للتجريد..»[4].

٣ ـ السيّد الأمير علّام.

قال عنه صاحب الرياض: «فاضل عالم جليل معروف علّامة كأسمه، وكان من أفاضل تلامذة المولى أحمد الأردبيلي، وله فوائد وافادات وتعليقات على الكتب في أصناف العلوم.

ولمّا سئل المولى أحمد الأردبيلي عند وفاته عمن يرجع إليه من تلامذته ويؤخذ

---

(١) الأمين ـ محسن، الأعيان: ٣ / ٨١ ـ ٨٢.

(٢) الأفندي ـ عبد اللّه، رياض العلماء: ٤ / ٣٨٧.

(٣) الأمين ـ محسن، الأعيان: ٨ / ٤٣٢.

(٤) الأفندي، رياض العلماء: ٤ / ٣٦٠ ـ ٣٦١، والغروي ـ محمد، حوزة النجف: ١٠١.

منه العلم بعد وفاته، قال: «أما في الشرعيات إلى الأمير علّام، وفي العقليات إلى الأمير فضل اللّه»[1].

٤ ـ المولى زكي الدين عناية اللّه القهپاني أصلاً، الزكي لقبا، النجفي مسكنا صاحب كتاب مجمع الرجال، الذي حوى ذكر المترجمين في الأُصول الخمسة الرجالية، وفرغ منه سنة (١٠١٦ هـ) وقد أثنى عليه وعلى كتابه الشيخ الطهراني في كتابه مصفى المقال، فقال: المولى زكي الدين.. من تلاميذ المقدس الأردبيلي.. له «مجمع الرجال» جمع فيه تمام ما في الأُصول الخمسة الرجالية.. ثمّ قال: الحمد للّه الذي حباني هذا الكتاب النفيس وأدخله في حيازتي من سنة (١٣٥٠ هـ) حتى اليوم..[2].

٥ ـ المولى عز الدين عبد اللّه بن الحسين، التستري المولد، النجفي المسكن.

يقول السيّد الأمين: «ومن تلاميذه المولى عبد اللّه التستري، قال التقي المجلسي في شرح مشيخة الفقيه: كان ملا عبد اللّه الحسين التستري قرأ على شيخ الطائفة أزهد الناس في عهده مولانا أحمد الأردبيلي، حكى في الرياض عن تاريخ عالم آراي انه سكن في مشهد علي والحسين عليهما السلام قريبا من ثلاثين سنة في خدمة مولانا أحمد الأردبيلي، يستفيد منه العلوم والفضائل، ويقال إنه أجاز له اقامة الجمعة والجماعة وتلقين المسائل الاجتهادية..»[3].

٦ ـ السيّد محمد بن علي الموسوي العاملي المعروف بالسيد السند (ت ١٠٠٩ هـ).

---

(١) الأفندي، رياض العلماء: ٣ / ٣٢١.

(٢) الطهراني، آقا بزرك، مصفى المقال: ٣٤٤، طبعة دار العلوم ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م، ومجمع الرجال للقهپاني: ١ / ٤ ـ ٥ (المقدمة).

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ٨٢.

وله من المؤلفات الفقهية: «مدارك الاحكام»[1] وهو شرح لقسم العبادات من كتاب الشرائع للحلي وقد عُرف المؤلف بكتابه فيقال «صاحب المدارك» وعلى الكتاب جملة من الشروح والاستدراكات[2].

٧ ـ السيّد جمال الدين الحسن بن زين الدين العاملي المتوفى سنة (١٠١١ هـ) ابن الشهيد الثاني وله من المؤلفات: «معالم الدين وملاذ المجتهدين» وقد عرف المؤلف بكتابه فيقال «صاحب المعالم». بالاضافة إلى كتابه الروائي القيم «منتقى الجمان».

ولكتاب المعالم مقدمة أُصولية طُبعت بطبعات متعددة، وهي محور الدرس الأُصولي إلى وقت قريب في الحوزات العلمية، وعليها جملة من الشروح والحواشي، اما القسم الفقهي من الكتاب فلم يُكْمِل المؤلف فيه كتاب الطهارة[3].

قال صاحب أمل الآمل في ترجمة الشيخ حسن: «وكان هو والسيّد محمد بن علي بن أبي الحسن العاملي صاحب المدارك كفرسي رهان شريكين في الدرس عند مولانا أحمد الأردبيلي، ومولانا عبد اللّه اليزدي، والسيّد علي بن أبي الحسن وغيرهم..»[4].

وهنالك أسماء أُخرى تنسب تلمذتهم للمقدَّس الأردبيلي منهم: الخواجه فضل الدين محمد تركة، وضياء الدين الكاشاني، والميرزا محمد بن علي الأسترآبادي، ومولانا حمزة، والسيّد عباس الموسوي البيابانكي..[5].

---

(١) طبع في ٨ مجلدات مع تحقيقات قيّمة من قبل مؤسسة آل البيت ـ قم.

(٢) انظر: الطباطباني ـ حسين مدرسي، مقدمهای بر فقه شیعه: ٢١٢، ط. آستان قدس رضوي ـ فارسي.

(٣) طبع القسم الفقهي من الكتاب في مجلدين بتحقيق ومقدمة السيّد منذر الحكيم.

(٤) الحر العاملي ـ محمد بن الحسن، أمل الآمل: ١ / ٥٨.

(٥) أُنظر: مفتي الشيعة، المقدس الأردبيلي حياته وآثاره: ٧٢ وما بعدها.

* **المقدس الأردبيلي وموقفه من الدولة الصفوية:**

لقد كان سلف المقدّس الأردبيلي (المحقق الكركي) «يهدف إلى تقويم الدولة الصفوية وتنظيمها على وفق القوانين الإسلامية، وكان يسعى إلى بسط ذراع الفقيه، وتركيز خط الفقهاء من بعده، وقد مارس حالة الاصلاح على الصعيد السياسي بتصديه لكلّ انحراف يحصل في مسار الدولة القائمة على أساس عقائدي. أما على الصعيد الشعبي فقد أحدث توجها دينيا بترغيب: «عامة الناس في تعلّم شرائع الدين، ومراسم الإسلام، وحثهم على طريق الالتزام»[1]، بالاضافة إلى قوله باقامة صلاة الجمعة التي تعتبر مدّا شعبيا للفقيه.

إلّا أنّ جهاز الحكم الصفوي كان يسير باتجاه آخر يجعل من الفقيه واجهة لمكاسب سياسية ضيقة حتى أصبحت الخلافات قائمة بين الفقيه والسلطة السياسية المتمثلة بالأُمراء ورجال الحكم.

ولم يشأ الكركي أن يجعل علاقته بالسلطان علاقة «تبريرية» للأعمال السياسية.. فبقيت مؤسسة الفقهاء مستقلة في آرائها وتصرفاتها ازاء مؤسسة الحكام، إلّا أ نّها لم تستطع أن تكون صاحبة القرار في الشؤون السياسية للدولة، مما يجعل سلطة (الفقيه) محددة ضمن الصلاحيات الشرعية فقط»[2].

وقد ساءت العلاقة بين الدولة الصفوية والفقهاء والذي كان يتمثل حضورهم بمنصب (شيخ الإسلام)، وذلك بعد وفاة الشاه طهماسب عام (٩٨٤ هـ) حيث انتقل الصراع إلى داخل الأُسرة الصفوية، وتسلّم ولده إسماعيل الثاني السلطة، الذي قلب

---

(١) رملو ـ حسن، أحسن التواريخ: ١٩٠.

(٢) القزويني ـ جودت، المرجعية العليا: ١٥٢ ـ ١٥٣.

ظهر المجن لعلماء الشيعة، وحاول قتل شيخ الإسلام في عصره السيّد حسين المجتهد..»[1].

ازاء هذه الأوضاع أحس خلف المحقق الكركي، المقدس الأردبيلي بضرورة الابتعاد عن الدولة الصفوية، والتي كانت منشغلة في حينها في صراع دموي مع الدولة العثمانية للسيطرة على العراق ما بين عامي (٩٣٧ هـ) و (٩٤١ هـ) حيث استطاع العثمانيون من استرجاع العراق من قبضة وسيطرة الدولة الصفوية[2].

«ونتيجة لهذا الصراع انقطع فقهاء العراق عن الأُمور السياسية كليا، واتجهوا إلى اظهار القطيعة مع دولة الصفويين واستقالتهم عنها»[3].

لقد أظهر المقدسي الأردبيلي تمنعا شديدا في قبال الدولة الصفوية، فلم تنفع معه كلّ الاغراءات: «وكان في عصر الشاه عباس الأول الصفوي، وكان الشاه يبالغ في تعظيمه في الغياب ويتعاهده بالصلة ويكتب إليه بالتوجه إلى بلاد إيران، فيجيبه بالامتناع من ذلك، والرضا بما منَّ اللّه عليه به من جوار قبور الأئمة الطاهرينعليهم السلام».

وكان الشاه عباس قد غضب على بعض اتباعه لتقصيره في الخدمة فالتجأ إلى مشهد أمير المؤمنينعليه السلام وطلب من الأردبيلي كتاب شفاعة إلى الشاه فكتب إليه هذه الكلمات بالفارسية (ما ترجمته): ياباني الملك العارية عباس وإن يكن هذا الرجل ظالما أولاً، فاليوم هو مظلوم، كما أنك إذا تجاوزت عن ذنبه فلعل اللّه يتجاوز عن ذنوبك بسببه، كتبه عبد ملك الإمامة أحمد الأردبيلي..»، ونُقل أنّ عباس الصفوي ردّ

---

(١) للتوسع أُنظر: الخوانساري، روضات الجنات: ٢ / ٣٢١ وما بعدها. والقزويني، المرجعية: ١٥٤.

(٢) العزاوي ـ عباس، تاريخ العراق بين الاحتلالين: ٤ / ١٤ وما بعدها.

(٣) القزويني ـ جودت، المرجعية العليا: ١٥٥.

على هذه الرسالة بالخضوع، وتلبية رغبة الشيخ الأردبيلي[1].

وعلى فرض صحة هذه الرسالة وجوابها[2]، فالملاحظ ان الأردبيلي لم يخاطب الشاه عباس الصفوي بصفته الرسمية الزمنية، مما له مغزى واضح في عدم اعطاء الشرعية للدولة الصفوية.

وقد سار على طريقة المقدس الأردبيلي بعض تلامذته الكبار ممن ضمنوا حريتهم الفكرية، واستقلالهم عن السلطة السياسية للصفويين، كما هو الحال في أهم شخصيتين عامليتين تخرجتا عليه وهما: الشيخ حسن ابن الشهيد الثاني (صاحب المعالم)، والسيّد محمد بن علي (صاحب المدارك).

وقد بالغ هذان الفقيهان باظهار القطيعة بكلِّ ما يتصل بالصفويين حتى أنهما امتنعا عن زيارة الأماكن الشيعية المقدسة في إيران لعدم الرغبة بالدخول على الشاه عباس الصفوي»[3].

*** وفاته:**

قال السيّد الأمين في الأعيان: «توفي في صفر سنة (٩٩٣ هـ) في المشهد المقدس الغروي، ودفن في الحجرة التي عن يمين الداخل إلى الروضة المقدسة، وكل من يدخل إلى الروضة أو يخرج لابد أن يقرأ له الفاتحة كالعلامة الحلي المدفون في الحجرة التي عن يسار الداخل»[4].

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ٨١. وأُنظر نص الرسالة بالفارسية عند المحدث النوري في المستدرك: ٢ / ٩٠ ـ ٩١.

(٢) أُنظر، القزويني، المرجعية العليا: ١٥٦.

(٣) المرجع نفسه: ١٥٦.

(٤) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ٨٠.

أقول، ولعل الصحيح أن مدفنه عن يسار الداخل إلى الروضة المقدّسة حيث ان قبره الآن عند المأذنة الجنوبية الواقعة من جهة القبلة عند مقام علي عليه السلام، كما أن قبر العلامة الحلي على يمين الداخل إلى الروضة.

ومهما يكن من أمر، فقد استطاع المحقق الكركي، وخلفه المقدس الأردبيلي، ومن جاء بعدهما من تلامذتهما، أن يعيدوا لحوزة النجف الأشرف حركتها العلمية بعد أن انزوت عنها لثلاثة قرون من الزمن، «وأنّ المدرسة الفكرية التي أوجدها المقدس الأردبيلي، استمرت وبقيت حتى يومنا هذا بدليل أنّ الأساتذة الكبار والمراجع الدِّينيين العظام الذين أمسكوا بزمام القيادة الدينية من بعده كانوا من بين تلامذته وتلامذة تلامذته، الذين برزوا وتجلّوا بشكل أو بآخر هنا وهناك في العراق وإيران وجبل عامل»[1].

(١) السيّد مفتي الشيعة ـ أبو الفضل، المقدس الأردبيلي حياته وآثاره: ٣٥.

المبحث الثالث: من أعلام هذه المرحلة وتراثهم العلمي

لقد استمرت الحوزة العلمية في النجف الأشرف في حركتها العلمية بعد العلمين الكركي والأردبيلي، وذلك من خلال مجموعة من أعلام وفقهاء الشيعة تتلمذ بعضهم عند المحقق الكركي والبعض الآخر عند الأردبيلي، وبعض ثالث وفد النجف بعدهما، وتتلمذ عند تلامذتهما، وأُولئك الأعلام يشكلون طبقة واسعة ينتسبون إلى القرن العاشر الهجري وبدايات القرن الحادي عشر، ومن أبرزهم:

١ ـ الشيخ إبراهيم بن سليمان القطيفي (كان حيا سنة ٩٤٤ هـ).

وهو من المعاصرين للمحقق الكركي ومن زملاء درسه وله من المحقق مذاكرات ومساجلات مدونة بالتفصيل في كتب التراجم، قدم من القطيف إلى العراق وسكن النجف، وكان مقدمه إلى العراق في أواخر جمادي الثانية سنة (٩١٢ هـ)[١] وللقطيفي ترجمة موسعة في كتب التراجم والرجال، ففي أمل الآمل: الشيخ إبراهيم القطيفي: فاضل عالم فقيه محدث[٢].

وفي الرياض: الإمام الفقيه الفاضل العالم الكامل المحقق المدقق، وكان يسكن المشهد المقدس الغروي[٣].

كما أن الشيخ القطيفي يعتبر من مشايخ الاجازة، إذ صدرت منه اجازات كثيرة لتلاميذه وغيرهم معظمها صادرة أيام سكنه في النجف الأشرف[٤].

(١) أنظر: الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٣ / ٨٧.

(٢) الحر العاملي، أمل الآمل: ٢ / ٨.

(٣) الأفندي، رياض العلماء: ١ / ١٥.

(٤) أنظر، المجلسي، بحار الأنوار: ٤٣ / ٢٨٨.

كما أن له مجموعة من الرسائل العلمية، والمؤلفات منها بعض الردود على كتب ومؤلفات المحقق الكركي، وعلى رأسها كتابه الموسوم بـ (السراج الوهاج لدفع عجاج قاطعة اللجاج)[1] يرد فيها على المحقق. وغيرها من الكتب.

٢ ـ المولى عبد اللّه بن الحسين اليزدي (ت ٩٨١ هـ).

وصفه الحر في أمل الآمل: «.. فاضل عالم جليل امامي، له حاشية على شرح الشمسية.. وقرأ عليه الشيخ حسن بن الشهيد الثاني والسيّد محمد بن أبي الحسن العاملي وقرأ عليهما»[2].

وفي الأعيان: قرأ عليه في العقليات وقرأ عليهما في الشرعيات.

والمولى عبد اللّه اليزدي عرف بحاشيته على كتاب تهذيب المنطق للعلّامة التفتازاني والمعروفة بحاشية المولى عبد اللّه، وعرف صاحبها بها فقيل صاحب الحاشية، وله‏ مؤلفات أُخرى منها شرح قواعد العلّامة الحلي في الفقه، وتفسير سورة الفاتحة، وحاشية على كتاب الاستبصار، بالاضافة إلى حواشي على المطول.

وكان‏ يتبوّأ منصب خازن الحرم الشريف الغروي من قبل سلاطين الدولة الصفوية، وورث ولده خزانة الحرم الشريف، وعرفت أُسرته ببيت الملا، كما أنه‏ من البانين لمدرسة دينية في محلة المشراق في النجف الأشرف كما سوف يأتينا تفصيل ذلك لاحقا[3].

---

(١) طبع الكتابان مع كتاب آخر تحت عنوان الخراجيات بتحقيق مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، ١٤١٣هـ.

(٢) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف الأشرف: ١ / ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

(٣) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف الأشرف: ١ / ٢٤٧ ـ ٢٤٨ طبعة دار العارف ـ بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٨ م.

٣ ـ الشيخ علي المنشار العاملي (من علماء القرن العاشر).

ترجم له الأفندي في الرياض فقال: كان من أجلة الفضلاء المعاصرين للسلطان طهماسب الصفوي.. وكان من تلامذة الشيخ علي الكركي، وكان قول هذا التلميذ معتبرا في المسائل الشرعية وأجوبة الفتاوى، وموثوقا به، وكان في انتظام الأُمور الشرعية والعرفية له رأي صائب[1].

والظاهر من تلمذته على المحقق الكركي انه عاش في النجف، لأن الشيخ الكركي لم يستقر للتدريس والبحث إلّا في المشهد الغروي، رغم كثرة أسفاره وتجواله، وعليه يكون تلامذته من علماء القرن العاشر الهجري[2].

٤ ـ الشيخ محمد علي البلاغي (ت ١٠٠٠ هـ).

مؤسس كيان هذه الأُسرة ورافع علم العلم في ربوع الدرس والتدريس.

قال حفيده الشيخ حسن بن الشيخ عباس في كتابه تنقيح المقال: محمد علي ابن محمد البلاغي جديّ، وجه من وجوه علمائنا المجتهدين المتأخرين، وفضلائنا المتبحرين ثقة، صحيح الحديث، واضح الطريقة.. كان من تلامذة أحمد ابن محمد الأردبيليّ وتوفي عام (١٠٠٠ هـ) في كربلاء[3].

وبيت البلاغي من البيوت والأُسر العلمية المعروفة في النجف الأشرف، وبرز منهم أسماء لامعة في الوسط الحوزوي.

وللبلاغي من المؤلفات: شرح ارشاد العلامة، شرح أُصول الكافي، حاشية

---

(١) الأفندي، رياض العلماء: ٤ / ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٢) الغروي، مع علماء النجف: ١ / ٢٥٦.

(٣) آل محبوبة ـ باقر، ماضي النجف وحاضرها: ٢ / ٧٩.

التهذيب، حاشية من لا يحضره الفقيه[1].

٥ ـ الشيخ شمس الدين محمد بن الحسن الأسترآبادي (كان حيا سنة ٩٢٠ هـ).

وهو من علمائنا الصالحين الأتقياء الذين أفادوا واستفادوا في القرن العاشر الهجري في النجف الأشرف، يقول فيه الشيخ إبراهيم القطيفي: «العالم العامل الفاضل الكامل النقي التقي الورع العابد الزاهد المجاهد شمس الملّة والعلم والحق والدين محمد بن الحسن الأسترآبادي جعله اللّه من الفائزين يوم الحسرة والندامة»[2].

«درس الفقه والتفسير والعلوم العقلية على علماء عصره، وورد النجف الأشرف، ولقي بها الفقيه الكبير إبراهيم بن سليمان القطيفي، وقرأ عليه شرائع الإسلام في مسائل الحلال والحرام، للمحقق الحلي والمختصر النافع، والألفية.. ورسالة (النجفية) لأُستاذه القطيفي.

ثم اجازه القطيفي في محرم (٩٢٠ هـ)» العمل بما نقله وقرأه من المؤلفات المذكورة.. وأجاز له أيضا رواية كتب جميع الفتاوى للشيعة ومما جاء في هذه الاجازة المطولة: «فلما قضى من الزيارة أدبا، وأحسن عند الحضرة الغروية على مشرفها الصلاة والسلام أدبا.. فأحب ان يفيد باسم المستفيد ويزيد، ويعين باسم المستعين المستزيد.. فذاكرته في الكتاب الموسوم بالشرائع من أوله إلى آخره.. مذاكرة شهدت له بالفضل والاطلاع والمعرفة والاتساع، وكانت الافادة منه أكثر من الاستفادة، بل ليس له إلّا ما أفاده.. فلما أتى على آخره بالمشهد الغروي، التمس مني أن أُجيز له ما

---

(١) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف الأشرف: ١ / ٢٦٦.

(٢) الغروي، حوزة النجف: ١٠٤.

أُجيز لي من الرواية.. فأجبت إلى ما التمسه طلبا لرضاه، ولوجوب نقل العلم إلى من أرضاه، فربّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.. الخ» وتاريخ هذه الاجازة عام (٩٢٠ هـ)[1].

أُولئك نخبة من العلماء العاملين في القرن العاشر الهجري ممن لهم حضور وتأثير في حوزة النجف الأشرف.

ومن المؤكد أن قائمة أسماء أُولئك الأعلام طويلة جدا لا يسعها هذا المختصر، إذ حوتها كتب وأسفار التراجم، وممن لم يذكر فيها كثرة كاثرة، إذ رحلوا عن الدنيا ولم يكتب أحد تراجمهم أو يوثق آثارهم العلمية، رحمة اللّه عليهم أجمعين.

---

(١) للتوسع أُنظر نص الاجازة في البحار: ٤٣ / ٢٩٤ وما بعدها.

حوزة النجف الأشرف
في دورها الثالث
«دور التكامل والنضوج العلمي»

المبحث الأول: أُفول حوزة النجف الأشرف، أسبابها ونتائجها

المبحث الثاني: بدايات المرحلة الثالثة ودور تلامذة الشيخ الوحيد في إحياء حوزة النجف الأشرف:

أولاً: السيّد محمد مهدي بحر العلوم (١٢١٢ هـ).

ثانيا: الشيخ جعفر كاشف الغطاء (١٢٢٨ هـ).

ثالثا: السيّد جواد العاملي (ت ١٢٢٦ هـ).

رابعا: السيّد محسن الأعرجي (ت ١٢٤٠ هـ).

المبحث الثالث: تلامذة تلامذة الوحيد ودورهم في توسعة حوزة النجف الأشرف:

آية اللّه الشيخ محمد حسن النجفي (١٢٦٦ هـ).

المبحث الرابع: الشيخ الأنصاري مرتضى محمد أمين (ت ١٢٨١ هـ) ودوره العلمي في حوزة النجفِ الأشرف

المبحث الخامس: تلامذة الشيخ الأنصاري ودورهم في حوزة النجف:

١ ـ السيّد المجدد الشيرازي، محمد حسن (ت ١٣١٢ هـ). ٢ ـ الشيخ حبيب الله الرشتي (١٣١٢ هـ). ٣ ـ الشيخ محمد كاظم الخراساني (الآخوند) (ت ١٣٢٩ هـ).

المبحث السادس: تلامذة الشيخ الآخوند ودورهم في حوزة النجف:

١ ـ الشيخ محمد حسين الإصفهاني (ت ١٣٦١ هـ). ٢ ـ الشيخ ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١ هـ).

المبحث السابع: الشيخ الميرزا محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ) ودوره في حوزة النجف الأشرف.

المبحث الثامن: تلامذة الميرزا النائيني ودورهم في حوزة النجف:

١ ـ السيّد محسن الحكيم ودوره في حوزة النجف.

٢ ـ السيّد أبو القاسم الخوئي ودوره العلمي في حوزة النجف الأشرف

المبحث التاسع: تلامذة السيّد الخوئي ودورهم في حوزة النجف:

١ ـ السيّد محمد باقر الصدر (استشهد ١٤٠٠ هـ). ٢ ـ السيّد علي الحسيني السيستاني. ٣ ـ الشيخ محمد اسحاق الفياض. ٤ ـ الشيخ بشير النجفي.

الخاتمة: من معطيات حوزة النجف الأشرف في أدوارها الثلاثة:

١ ـ ظهور المرجعية الدينية (المرجع الأعلى).

٢ ـ ظهور الرسائل العملية للمراجع.

٣ ـ العلوم والمعارف التي تعمقت وتوسعت في حوزة النجف:

أ ـ الفقه والأصول. ب ـ الرجال والحديث. ج ـ الكلام والفلسفة. د ـ التفسير وعلوم القرآن. هـ ـ رد الشبهات وحوار الأديان والعقائد.

٤ ـ المراحل الدراسية، ومناهجها، وطرق التدريس في حوزة النجف الأشرف.

٥ ـ أماكن التعليم والمدارس الدينية في النجف الأشرف.

* المدارس الاصلاحية، ورواد الاصلاح في حوزة النجف الأشرف.

٦ ـ النظام المالي ورواتب الطلّاب في حوزة النجف الأشرف.

٧ ـ الحياة السياسية في حوزة النجف الأشرف.

٨ ـ خلاصة أدوار حوزة النجف الأشرف.

المبحث الأول: أُفول حوزة النجف الأشرف، الأسباب والنتائج

في نهاية المرحلة الثانية من مراحل حوزة النجف الأشرف، وبعد رحيل رائديها الكركي والأردبيلي‏ؒ أفل نجم حوزة النجف مرةً أُخرى؛ لكنّها استمرت في عطائها العلمي من خلال تلامذة هذين العلمين وتلامذة تلامذتهما ومن تأثر بمدرستهما.

إلّا أنّ الثقل الأكبر للحوزة العلمية للإمامية انتقل هذه المرة إلى مدينة كربلاء المقدّسة.

وشهدت مساجد كربلاء وبيوت العلماء، والمدارس والحوزات التي أُنشِئَت؛ بالاضافة إلى الصحن الشريف؛ حركة علمية متصاعدة ونشطة. وبرز فيها جملة من الأعلام والمجتهدين والفضلاء والمحصلين من أبرزهم:

١ ـ والشيخ يوسف بن أحمد آل عصفور الدرازي البحراني (ت ١١٨٦ هـ) (صاحب الحدائق).

٢ ـ الشيخ محمد باقر البهبهاني الحائري الملقّب بالوحيد (ت ١٢٠٦ هـ).

لقد كانت مسيرة التطور العلمي الذي قادها علماء الفقه الإمامي من عصر الشيخ المفيد والمرتضى والطوسي وإلى عصر الكركي والأردبيلي.. قد تبلور فيها منهج واضح المعالم، له مستلزماته العلمية وأدواته الفنية، ويعتمد على أُسس علمية دقيقة تعرف بمنهج أو طريقة الاجتهاد، أو (المدرسة الأُصولية) في الاستنباط.

إلّا أ نّه في أوائل القرن الحادي عشر وما بعده ظهرت إلى الوجود نزعة جديدة في الوسط الحوزوي الإمامي، تشجب طريقة الأُصوليين في الاستنباط الفقهي وأخذت تنظِّرُ لطريقة جديدة، تزعم أنها هي الطريقة التي دعت إليها مدرسة أهل البيت‏ؑ،

وقد عُرف هذا الاتجاه في الوسط الإمامي بـ (الاخبارية). وبهذا تبلورت في أوائل القرن الحادي عشر الهجري مدرستا الأُصولية والاخبارية، والاختلاف بينهما اختلاف في المنهج (نظريا) إلّا أنّ وتيرة الصراع قد تصاعد بين المدرستين بشكل حادٍّ، وانحاز لكل جبهة منها مجموعة من علماء مدرسة أهل البيت الإمامية.

وما نريد أن نشير إليه ـ والذي يلامس المرحلة الثالثة من مراحل حوزة النجف الأشرف ـ أن الصراع الاخباري الأُصولي قد اتخذ من حوزة كربلاء ميدانا له من خلال قطبي المدرستين، الشيخ الوحيد، والشيخ البحراني (قدس سرهما)، والتي انتصر في نهايتها الاتجاه الأُصولي، وانحسر الاتجاه الاخباري فيها.

وبوفاة الشيخ البحراني (ت ١١٨٦ هـ)، ومن بعده الشيخ الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦ هـ) انتهى الصراع الاخباري الأُصولي، في كربلاء، ليظهر بعد فترة من خلال عَلَم آخر من أعلام المدرسة الاخبارية، وهو الميرزا محمد الاخباري (ت ١٢٣٢ هـ)، الذي كان شديدا في آرائه، قاسيا في نقده للأُصوليين وفي ردّه عليهم، ومثّل الاخبارية المتطرفة بكل معانيها وكان السبب في القضاء عليها بالكامل[١].

ومهما يكن من أمر، فبوفاة العلمين الوحيد والبحراني، انتهى الصراع الاخباري الأُصولي في حوزة كربلاء، وخليت حوزة كربلاء من أقطابها العلمية، وبعد ذلك انتقل أبرز تلامذة الشيخ الوحيد البهبهاني إلى النجف الأشرف.

فإن كان لأُفول حوزة كربلاء أسبابها، فإنّ من أهمها انتهاء الصراع الاخباري الأُصولي بانتصار المدرسة الأُصولية. ووفاة قطبي الصراع فيها.

---

(١) للتوسع أُنظر، العبقات العنبرية للشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، بتحقيق: السيّد جودت القزويني. وكتابنا، تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية، فصل المدرسة الاخبارية.

وبانتقال تلامذة العَلمين إلى النجف الأشرف، تبدأ المرحلة الثالثة من عمر هذه الحوزة المباركة. وسوف يأتينا الحديث مفصلاً عن تفاصيل حوزة كربلاء ومعالمها إن شاء اللّه.

المبحث الثاني: بدايات المرحلة الثالثة
ودور تلامذة الوحيد في إحياء حوزة النجف

لم يلبث الشيخ الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٦ هـ) في مدينة النجف الأشرف إلّا قليلاً، ثمّ انتقل إلى مدينة كربلاء، إلّا أنّ حضور الشيخ الوحيد العلمي في حوزة النجف الأشرف لاحقا كان من خلال حضور تلامذته الكبار الذين تلقوا العلم والتربية منه، فكانوا امتداده في العلم والعمل في هذه الحاضرة العلمية (الحوزة).

وعندما نعود إلى السيرة العلمية للشيخ الوحيد البهبهاني نجد أن جهوده قد انصبت على محورين:

المحور الأول: تربية نخبة من الفقهاء الاصوليين ليحافظوا على خط الزعامة العلمية الدينية من بعده.

المحور الثاني: تصديه بحملة عنيفة ضد الاتجاه الاخباري وذلك من خلال نقده اللاذع لأَهم شبهاتهم، وهو ما ضمنه كتابه «الفوائد الحائرية» وكتبه الأُخرى التي كرسها للرد على الحركة الاخبارية.

وكان ـ وبحق ـ موفقا في كلا المحورين.

أما المحور الأول:

فقد استطاع الوحيد خلال فترة إقامته في كربلاء[1] ان يربّي عددا كبيرا من الفقهاء والمجتهدين. ولو تحرينا نحن فروع شجرة فقهاء أهل البيت في القرن الثاني عشر

---

(١) لم يحدثنا تاريخ سيرة الوحيد العلمية عن تلامذته في مدينة بهبهان والتي قضى فيها قرابة ثلاثين سنة.

والثالث عشر والرابع عشر لوجدنا أنهم جميعا يرجعون بصورة مباشرة أو غير مباشرة إلى الوحيد البهبهاني، ولذلك يطلق على الوحيد البهبهاني (أُستاذ الكل) أو (الاستاذ الأكبر) وهو لقب يختص به الوحيد البهبهاني[1].

وقد تخرّج من مدرسته المئات من كبار العلماء المجدّدين وأساطين العلم وجهابذته، منهم:

١ ـ السيّد محمد مهدي بحر العلوم المتوفى سنة (١٢١٢ هـ) مؤلف (الفوائد الرجالية) وغيرها.

٢ ـ السيّد مهدي الشهرستاني الموسوي (ت ١٢١٦ هـ) مؤلف (المصابيح في الفقه) و (شرح المدارك)، وغيرهما.

٣ ـ الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٢٧ هـ) مؤلف (كشف الغطاء) وغيره.

٤ ـ الشيخ ابو علي الحائري المازندراني المتوفى سنة (١٢١٦ هـ) مؤلف (منتهى المقال) وغيره.

٥ ـ السيّد علي الطباطباني المتوفى سنة (١٢٣١ هـ) مؤلف الموسوعة الفقهية (رياض المسائل).

٦ ـ الميرزا ابو القاسم القمي المتوفى سنة (١٢٣١ هـ) مؤلف كتاب (قوانين الأُصول).

٧ ـ السيّد جواد العاملي المتوفى سنة (١٢٢٦ هـ) مؤلف الموسوعة الفقهية (مفتاح الكرامة).

---

(١) الآصفي ـ محمد مهدي، مقدمة الرياض: ١ / ١٠١.

٨ ـ الشيخ اسد اللّه التستري المتوفى سنة (١٢٣٧ هـ) مؤلف (كشف القناع) و (مقابيس الانوار).

٩ ـ السيّد محمد حسن الزنوزي الخوني المتوفى سنة (١٢٤٦ هـ) مؤلف (رياض الجنة) و (دوائر العلوم).

وكثيرون غيرهم من اساطين العلم والفقه والاجتهاد.

ثم اعقبهم جيل آخر من تلامذة تلاميذه امثال:

١ ـ السيّد محسن الاعرجي المتوفى سنة (١٢٤٠ هـ) مؤلف كتاب (المحصول في الأُصول).

٢ ـ والمحقق المولى احمد النراقي المتوفى سنة (١٢٤٥ هـ) مؤلف الموسوعة الفقهية (مستند الشيعة)[١].

٣ ـ والشيخ محمد تقي عبد الرحيم المتوفى سنة (١٢٤٨ هـ) مؤلف (هداية المسترشدين) في شرح المعالم[٢].

٤ ـ والسيّد عبد الفتاح المراغي المتوفى حوالي سنة (١٢٥٠ هـ) مؤلف (عناوين الأُصول) في الفوائد الفقهية[٣].

٥ ـ والسيّد محمد باقر الشفتي المتوفى سنة (١٢٦٠ هـ) مؤلف (مطالع الانوار في شرح الشرائع).

٦ ـ والشيخ محمد حسن بن محمد باقر النجفي المتوفى سنة (١٢٦٦ هـ) مؤلف

---

(١) طبع الكتاب بـ ١٩ مجلدا محققه من قبل مؤسسة آل البيت ـ مشهد، سنة (١٤١٩ هـ).

(٢) طبع بثلاثة أجزاء، بتحقيق جامعة المدرسين ـ قم.

(٣) طبع بجزئين بتحقيق جامعة المدرسين سنة ١٤١٨ هـ ـ قم.

(جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام)[1].

وغيرهم من الأعلام الذين أرسوا دعائم الفقه واحيوا النهج الاجتهادي، ولكل منهم مسيرة علمية حافلة، وآثار فقهية وأُصولية ورجالية وكتب وموسوعات نجدها في مظانها من كتب التراجم[2].

ومدارس الفقه الشيعية الموجودة الآن كلّها تابعة لهذا الدور الذي يعتبر أحد القمم السامقه في تطوّر حركة الاجتهاد وفقه آل البيت عليهم السلام.

ولهذا نجد السيّد الشهيد محمد باقر الصدر يعتبر هذه المرحلة من أهم مراحل الفكر العلمي في المدرسة الإمامية، ويعبر عنه بـ (عصر الكمال العلمي)، ويعرفه بأنه «... العصر الذي افتتحته في تاريخ العلم المدرسة الجديدة التي ظهرت في أواخر القرن الثاني عشر على يد الأُستاذ الوحيد البهبهاني، وبدأت تبني للعلم عصره الثالث بما قدّمته من جهودٍ متضافرةٍ في الميدانين الأُصولي والفقهي. وقد تمثّلت تلك الجهود في أفكار وبحوث رائد المدرسة الأُستاذ الوحيد وأقطاب مدرسته الذين واصلوا عملهم الرائد حوالي نصف قرن، حتى استكمل العصر الثالث خصائصه العامة ووصل إلى القمّة»[3].

وفي الحقيقة ان مدرسة الشيخ الوحيد، هي السائدة فيمن جاء بعده إلى عصرنا

---

(١) ويعتبر كتاب الجواهر من اهم الموسوعات الفقهية لدى الشيعة وقد طبع عدة مرات في أكثر من اربعين مجلدا.

(٢) انظر تراجمهم عند الطهراني في كتابيه: الطبقات والذريعة، وأبو علي الحائري: منتهى المقال، والمامقاني: تنقيح المقال، والسيّد الأمين العاملي: أعيان الشيعة... وغيرهم.

(٣) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ١١١، طبعة المؤتمر العالمي للإمام الشهيد الصدر، ١٤٢٥ هـ.

الحاضر، فلا تكاد ترى فقيها من فقهاء الشيعة خارجا عن أُطر هذه المدرسة في مناهج الاجتهاد وكيفية استنباط الاحكام[1]، فالحوزة العلمية الآن تعيش دور مدرسة الشيخ الأنصاري، والشيخ محمد حسن صاحب الجواهر، المستمدة من افكار وآراء الشيخ الأكبر الوحيد البهبهاني.

وأما المحور الثاني من محاور جهود الشيخ الوحيد العلمية وهو التصدي للحركة الاخبارية فسوف يأتينا الحديث عنه من خلال ترجمته في فصل حوزة كربلاء إن شاء الله.

وعلى أي حال؛ فإن المدرسة التي شيدها الشيخ الوحيد‌ﷺ وتبناها بالرعاية، أعادت للفقه الشيعي الامامي حياة جديدة في إطار قوانينه وقواعده وقدرته على الانطباق مع حاجات البشر وتطور افكاره خلال القرون والأعصار.

ولا يخفى أن المدونات الفقهية عند الشيعة الامامية اليوم، تعدّ ـ وبحق ـ في اوج الكمال العلمي، لا قياسا بفقه المذاهب الأُخرى فحسب، بل حتى مع مقارنتها مع القوانين الوضعية.

*** أبرز تلامذة الشيخ الوحيد ودورهم في إحياء حوزة النجف الأشرف:**

لقد أثمرت جهود الشيخ الوحيد البهبهاني‌ﷺ:

في محور اعداد وتربية النخبة من العلماء والمجتهدين ممن يَحْفَظُون خط الزعامة الدينية من بعده على أسماء جملة من العلماء والفقهاء الافاضل من خريجي مدرسته او من تلامذة تلامذته، وقد أشرنا إليهم سابقا إلّا انها كانت اشارة اجمالية مختصرة لم تف بحق هؤلاء الاساطين من العلماء الافذاذ.

---

(١) مقدمة جامع المقاصد: ١ / ٢٦.

وفيما يلي نشير بشيء من التفصيل إلى نخبة من هؤلاء الاعلام، مع الاشارة إلى بعض مؤلفاتهم الفقهية او الأُصولية وخصوصية هذه المؤلفات.

ومن هؤلاء الفطاحل الذين يمكن ان نسلط بعض الضوء عليهم:

أولاً: السيّد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢ هـ)

وهو من أبرز تلامذة الوحيد، وله تخصص كبير في مجال الفقه والأُصول، وقد تصدى لزعامة الشيعة في حياة استاذه الوحيد، وكان له كرسي التدريس وكان يشترك في محضر درسه مئات العلماء، من بينهم شخصيات كبيرة من امثال الشيخ احمد النراقي صاحب مستند الشيعة، والشيخ محمد تقي الإصفهاني صاحب حاشية المعالم، والشيخ مير علي طباطبائي صاحب رياض المسائل، والسيّد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة، والسيّد محمد المجاهد صاحب المناهل وغيرهم من كبار العلماء[1].

ومن أهم الخصائص التي تميز بها السيّد مهدي بحر العلوم، هي العقلية القيادية الفذة، والقدرة على تنظيم الأُمور وتوزيع المسؤوليات، «ولعل من أهم الخطوات التي مني [هكذا] بها هذا العصر، وعلى يد زعيم الجامعة النجفية السيّد بحر العلوم تنظيمه للقضايا والمشاكل التي تقتضيها طبيعة المجتمع، كما يقتضيها سير الزعامة الدينية في النجف.

فمثلاً ركز الشيخ جعفر كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٢٢٨ هـ) للتقليد والفتوى حتى قيل: إنه أجاز لأهله وذويه الرجوع في التقليد للشيخ جعفر الكبير تمشيا مع التنظيم والتركيز.

---

(١) للتوسع راجع مقدمة المجلد الاول من كتاب رجال بحر العلوم: ٦٧ ـ ٧٠.

كما عين الشيخ حسين نجف المتوفى سنة (١٢٥١ هـ) للامامة والمحراب، فكان يقيم الجماعة في «الجامع الهندي» ويؤم الناس ـ على اختلاف طبقاتهم ـ بارشاد من السيّد بحر العلوم.

أما في القضاء والخصومات، فقد خص لها الشيخ شريف محي الدين فكان يرشد إليه في ذلك، علما منه بمهارته في القضاء، وتثبته في الدين، وسعة صدره لتلقي الدعاوى والمخاصمات.

واضطلع هو ـ باعباء التدريس، والزعامة الكبرى، وإدارة شؤونها العامة والخاصة»[١].

وكان هذا التقسيم منه لإدارة شؤون (الحوزة) النجف العامة يدل على وعي كبير في الذهنية القيادية الدينية، والتي تُبرِز عصره بطابع يختلف عن العصور السابقة من حيث النضج والوعي»[٢].

وقد ترك لنا هذا العلم الشامخ أكثر من ثلاثين مؤلفا في العلوم المختلفة، منها كتاب الرجال، وكتابين في علم الأُصول هما الفوائد الأُصولية، والدرة البهية[٣] في نظم رؤوس المسائل الأُصولية.

وقد مرّ بنا في بحوث سابقة سفر السيّد إلى مكة المكرمة سنة (١١٩٣ هـ) لاداء مناسك الحج، وقد مكث فيها مدّة من الزمن، قام خلالها بتدريس الفقه على المذاهب الأربعة، وبتعيين مواقيت الاحرام، وتحديد المشاعر الحرام»[٤].

---

(١) رجال السيّد بحر العلوم: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) بحر العلوم ـ محمد، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات قسم النجف: ٧ / ٧٩.

(٣) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ١٠ / ١٦٠.

(٤) الجناتي، أدوار الاجتهاد: ٢٩٦، والفضلي ـ عبد الهادي، دليل النجف: ١٣٨.

ثانيا: الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ هـ)

وهو جعفر بن خضر الجناجي النجفي، وهو من أكابر علماء هذه المرحلة ومن ابرز تلامذة الوحيد، وكان له الدور الكبير في تكميل وتوسيع المباحث الأُصولية والفقه الاجتهادي، وقد شيد قواعد وتفريعات كثيرة لم تكن معهودة عند غيره من قبل، والشاهد الحي على ذلك كتابه الكبير «كشف الغطاء عن مبهمات الشريعة الغراء» حيث أَودع في كتابه هذا اهم القواعد والأُسس للاجتهاد والاستنباط.

وقد اثنى العلماء الكبار على كتاب كشف الغطاء إلى درجة انه نقل المحدّث النوري عن الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري انه قال: «من أتقن القواعد الأُصولية التي أودعها الشيخ في كشفه فهو عندي مجتهد»[١].

ولهذا نجد الشيخ الأعظم في كتاب المكاسب يولي اهمية كبيرة للمباني الاجتهادية التي يذكرها الشيخ كاشف الغطاء، ويعبر عنه ببعض الاساطين، ولكنه عندما يستعرض آراء استاذه صاحب الجواهر يعبر عنه ببعض المعاصرين.

وكان لهذا الشيخ الجليل محضر درس مبارك تخرج منه فطاحل العلماء والمجتهدين من أمثال صاحب الجواهر، والشيخ الشفتي صاحب مطالع الانوار، والشيخ الكلباسي صاحب اشارات الأُصول، والسيّد صدر الدين العاملي، والشيخ محمد تقي الاصفهاني صاحب حاشية المعالم بالاضافة إلى أولاده الفقهاء الأربعة: موسى، وعلي، وحسن، ومحمد... وغيرهم من اساطين العلم والفقاهة والاجتهاد، ولكل واحد من هؤلاء دوره البارز في توسعة وتكامل الفقه الاجتهادي[٢].

---

(١) النوري، مستدرك الوسائل: ٣ / ٣٩٨.

(٢) أُنظر، مقدمة التحقيق لكتاب كشف الغطاء: ١ / ١٢ ـ ١٩.

وكانت مرجعية التقليد بعد وفاة الوحيد بعهدة الشيخ كاشف الغطاء، وكان﷿ قد تمتع بمرجعية دينية عليا شاملة، وسعة التقليد والفتيا ورعاية شؤون المسلمين الاجتماعية والسياسية، فقد حصل على تقدير ورجاء كبيرين من قبل حكام العراق آنذاك من سلاطين آل عثمان، وأذن للشاه (فتحعلي شاه) حاكم إيران أن يتصرف في القضايا السياسية العامة، التي هي من أعمال الرناسة الإسلامية العليا»[1]، وإلى جانب خصوصية العلم والفقاهة التي امتاز بها الشيخ كاشف الغطاء امتاز بخصوصية الشجاعة والاقدام ومقارعة الظالمين، وكان كهفا حصينا للمجاهدين والثائرين حيث كانوا يرجعون إليه في مهماتهم الجَهادية، وخاصة في واقعة محاصرة النجف الأشرف من قبل الفرقة الوهابية الضالة، وينقل تاريخيا انه كان يحمل السلاح ويقاتل إلى جانب المجاهدين، واتخذ من بيته مخزنا لأسلحة المجاهدين وملجأ لايوائهم[2].

ثالثا: السيّد جواد العاملي

آية اللّه السيّد جواد العاملي (ت ١٢٢٦ هـ) وهو من تلامذة الشيخ الوحيد المبرزين.

وكان له محضر درس يحضره كبار العلماء والمجتهدين من تلامذة الوحيد، ومن أهم آثاره الفقهية كتاب «مفتاح الكرامة في شرح قواعد العلامة»، وقد ألّفه بأمر أُستاذه الثاني بعد الوحيد الشيخ جعفر كاشف الغطاء.

---

(١) الفضلي، دليل النجف: ١٤٠ وللتوسع أُنظر: صورة الاجازة في كتاب كشف الغطاء في موضوع الجهاد، المبحث الثاني عشر: ٤ / ٣٣٣ ـ ٣٣٥، الطبعة المحققة من قبل مكتب الإعلام الإسلامي، فرع خراسان، الطبعة الأُولى، ١٤٢٢ هـ.

(٢) الشيخ الجناتي، ادوار إجتهاد: ٢٩٨.

ويعتبر هذا الكتاب من الكتب الفقهية المهمة ويتسم بالعمق العلمي والاحاطة الكاملة بأقوال العلماء والمجتهدين. كذلك من آثاره العلمية في علم الأُصول شرح على وافية الفاضل التوني، وحاشية على كتاب تهذيب الأُصول للعلامة الحلي، وتعليقة على كتاب معالم الأُصول للشيخ حسن نجل الشهيد الثاني[١].

رابعا: السيّد محسن الاعرجي

آية اللّه السيّد محسن الأعرجي: (ت ١٢٤٠ هـ) وهو من أبرز تلامذة الوحيد، ومن أعاظم عصره في البحوث الأُصولية والفقهية.

وقد تخرج من مدرسته الفقهية والأُصولية جملة من العلماء أمثال:

السيّد عبد اللّه شبّر (ت ١٣٢٢ هـ).

والشيخ محمد تقي الاصفهاني (ت ١٢٤٢ هـ).

وحجة الاسلام الشفتي (ت ١٢٦٠ هـ).

ومن آثاره العلمية شرحه لوافية الفاضل التوني بعنوان «المحصول في شرح وافية الأُصول» وهو شرح مختصر، واردفه بشرح ثاني مفصل عنوانه «الوافي في شرح الوافية»[٢].

---

(١) الشيخ الجناتي، ادوار إجتهاد: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

(٢) الجناتي، ادوار اجتهاد: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.

المبحث الثالث: تلامذة تلامذة الشيخ الوحيد ودورهم في حوزة النجف الأشرف

وقد حظيت هذه الفترة من الحياة العلمية لحوزة التشيع في النجف الأشرف بأسماء لامعة من العلماء من تلامذة تلامذة الشيخ الوحيد، أو من امتدادات هذه المدرسة وفروعها، حيث كان لكل تلميذ من تلامذة الشيخ الوحيد محفل درس تخرج منه جهابذة العلم والتحقيق.

ولا يسع هذا المختصر في استعراض الحياة العلمية لهؤلاء الاعلام وآثارهم الفقهية والأُصولية، ولكن نكتفي بواحد من ابرز علماء هذا الدور وهو:

آية اللّه الشيخ محمد حسن النجفي (ت ١٢٥٥ هـ) صاحب الجواهر

وهو من تلامذة الشيخ جعفر الكبير كاشف الغطاء، والشيخ موسى كاشف الغطاء، والسيّد جواد العاملي صاحب مفتاح الكرامة.

ويعتبر صاحب الجواهر امتدادا لاستاذه الشيخ جعفر الكبير في اكمال وتوسعة الفقه الاجتهادي، وكان موفقا في هذا المجال بشكل ملحوظ.

وهو فقيه الإمامية الشهير، وعالمهم الكبير، مربي العلماء، وسيّد الفقهاء، انتهت إليه رياسة الطائفة في منتصف القرن الثالث عشر وصار مرجعا للتقليد في سائر الأقطار وأذعن له معاصروه..[1].

وكان لدرسه العلمي في الفقه والأُصول وقع خاص وطريقة فريدة امتاز بها عن

---

(١) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف: ٧٠٤.

الآخرين، وكان يشترك في محفل درسه مئات العلماء والمجتهدين، وتخرج على يديه جهابذة العلم، من امثال الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري، والشيخ جعفر الشوشتري، والميرزا حبيب اللّه الرشتي، والشيخ محمد حسن آل ياسين وغيرهم، وكان لكل واحد من هؤلاء الأعلام دوره البارز في تكامل المباحث الفقهية الاجتهادية.

ومن الآثار العلمية للشيخ صاحب الجواهرﷺ كتاب قيم في علم الأُصول، إلّا ان هذا الكتاب ـ الذي كان يحتفظ المؤلف بنسخة واحدة بخطه الشريف ـ قد فقد اثره في حياة المؤلف ولم يعثر عليه بعد ذلك[1].

ومن أهم الآثار الفقهية التي خلفها هذه العلم كتاب «جواهر الكلام».

وهو شرح جامع ومفصل لكتاب «شرائع الاسلام» للمحقق الحلي (ت ٦٧٦ هـ) ومن يطالع هذا الكتاب القيم يتضح لديه عمق العقلية الفقهية والأُصولية لصاحب الجواهرﷺ. وأصبح هذا الكتاب القيم مرجعا أساسيا لكل من أراد ان يحقق في كتاب الشرائع بعد الشيخ صاحب الجواهر.

ومن الخصوصيات المهمة لهذا الكتاب:

١ ـ اشتمال الكتاب على جميع ابواب الفقه من الطهارة إلى الديات.

٢ ـ مناقشة جميع آراء العلماء السابقين والمعاصرين للمؤلف ومناقشة وتحقيق الأدلة والبراهين التي استندوا إليها.

٣ ـ طرح ومناقشة المسائل الفقهية باسلوب وطريقة فريدة في تمام فصول الكتاب.

٤ ـ عدم احتياج المجتهد في مقام استنباط الأحكام إلى كتاب مرجعي آخر بعد مراجعته للجواهر.

---

(١) الجناتي، ادوار إجتهاد: ٣٠٥ وما بعدها.

٥ ـ احاطة الكتاب واشتماله على فروع فقهية نادرة قلما نجدها في الكتب الفقهية الأُخرى[1].

في مقابل ذلك قد توجد بعض المؤاخذات على طريقة المؤلف في الاقتباس، وإرجاع الآراء إلى أصحابها، وبعض التطويل والاطناب في الشرح إلى غيرها من المؤاخذات الفنية، إلّا أنها لا تخل ولا تقلل من أهمية الكتاب ومكانته العلمية.

(١) الجناتي، ادوار إجتهاد: ٣٠٦.

المبحث الرابع: الشيخ مرتضى محمد أمين الأنصاري (ت ١٢٨١ هـ) ودوره في حوزة النجف الأشرف

يبدأ دور هذا العلم الشامخ في سماء العلم والمعرفة من منتصف القرن الثالث عشر الهجري حيث وفاة الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر في سنة (١٢٦٦ هـ) إذ اختير الشيخ مرتضى الأنصاري‌ﷺ لزمام المرجعية العلمية لما تميز به من بين اقرانه من علم وتقوى، وكان هذا الاختيار من قبل صاحب الجواهر نفسه، وخاصّة تلامذته الذين عرفوا نبوغ الشيخ ومنزلته العلمية التي تؤهله بحق لتسنم زمام المرجعية.

ويستمر هذا الدور حتى عصرنا الحاضر، إذ لا زلنا ـ كما يعترف بذلك المعنيون بتاريخ الفقه الامامي[1] ـ نعيش في ظل مدرسة الشيخ الأنصاري الفقهية والأُصولية، ولم يتجاوز فقهاؤنا حتى اليوم أُصول مدرسته وتفاصيل منهجه العلمي الذي ارسى قواعده خلال حياته الكريمة، وبقي هذا المنهج حيا وقويا إلى يومنا هذا وهو العقد الثالث من القرن الخامس عشر الهجري[2].

وتعتبر هذه المرحلة الجديدة استمرارا للمرحلة السابقة وللمنهج العلمي الذي ارسى قواعده المحقق الوحيد البهبهاني‌رحمه الله؛ إلّا ان لكلّ مرحلة رائدها وموجِّهها، ورائد هذه المرحلة وفارس مضمارها هو الشيخ الأنصاري‌رحمه الله، «إذ يعتبر، رائدا لأرقى مرحلةٍ

(١) انظر طباطباني حسين مدرسي، مقدمه‌اى بر فقه شيعه (بالفارسية): ٦١ والشيخ الجناتي ـ ادوار إجتهاد: ٣٨٩، والسبحاني ـ تاريخ الفقه الاسلامي: ٤٣١، والدكتور ابو القاسم گرجي ـ تاريخ فقه و فقهاء (بالفارسية): ٢٥٧.

(٢) مراحل تطور الاجتهاد ـ مجلة فقه أهل البيت: ١٧ / ١٧٣ ـ ١٧٤.

من مراحل العصر الثالث، وهي المرحلة التي يتمثّل فيها الفكر العلمي منذ أكثر من مائة سنةٍ حتى اليوم». كما يقول الشهيد الصدر[1].

الشيخ الأنصاري في سطور[2]:

هو الشيخ المحقق والفقيه الكبير (مرتضى بن محمد امين الأنصاري)، ولد سنة (١٢١٤ هـ) في بلدة دزفول من البلاد الايرانية وتوفي سنة (١٢٨١ هـ) ودفن في النجف الاشرف في الرواق الشريف في الحجرة المتصلة بباب القبلة على يسار الداخل إلى الصحن الشريف.

رحلته العلمية:

بعد ان انهى المحقق الأنصاري﵀ مقدمات العلوم وشرع في الأُصول والفقه في مسقط رأسه، قام بجولة علمية قادته إلى كربلاء في العراق، حيث مكث فيها اربع سنوات ثم غادرها إلى النجف الاشرف، حضر خلالها دروس مرجع عصره الشيخ موسى كاشف الغطاء﵀ ثم غادر العراق متوجها إلى موطنه، حيث جاب المدن الايرانية للاستفادة من علمائها.

فحضر درس الشيخ اسد اللّه البروجردي (ت ١٢٧٠ هـ) في مدينة بروجرد، ثم غادرها إلى اصفهان وحضر درس السيّد محمد باقر الشفتي (ت ١٢٩٠ هـ) ثم هبط إلى بلدة كاشان وكان زعميها العلمي آنذاك الشيخ احمد النراقي (ت ١٢٤٥ هـ) صاحب الموسوعة الفقهية الضخمة «مستند الشيعة في احكام الشريعة» فمكث في

---

(١) الصدر ـ محمد باقر، المعالم الجديدة: ١١٢.

(٢) ترجم له السيّد محمد الكلانتر ترجمة وافية في بداية النسخة المحققة من كتاب المكاسب، ط. النجف.

هذه المدينة اربع سنين حضر خلالها دروس الشيخ النراقي، ونبغ في الفقه والأُصول على يديه، ثم غادر كاشان إلى النجف الأشرف بعد ان نال من استاذه «النراقي» إجازة مفصلة.

وفيالنجف الاشرف حضر دروس الشيخ علي كاشف الغطاء (ت ١٢٥٤ هـ) وكذلك دروس الشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦ هـ)[١].

ولما لبّى الشيخ محمد حسن (صاحب الجواهر) نداء ربه (١٢٦٦ هـ) انتخب الشيخ بإيصاء منه مرجعا للشيعة، فخضعت له القلوب والافكار وانتقلت الزعامة العلمية إليه بلا منازع، وقام باعبائها بحزم وحكمة وارادة صلبة، إلى ان لبى نداء ربه ليلة الثامن عشر من شهر جمادى الاولى عام (١٢٨١ هـ).

هذه المامة عابرة وعرض موجز لحياة الشيخ الأعظم الأنصاري الذي كرس حياته في التدريس والتأليف، واعداد الفضلاء وتربية المجتهدين، وإرساء دعائم النهضة العلمية الحديثة التي تعد بحق ثروة علمية كبرى قلما اتفق نظيرها في العصور السابقة[٢].

الابداع العلمي للشيخ الأنصاري ﷺ:

للشيخ الأنصاري ﷺ جملة من المؤلفات والآثار العلمية المهمة، إلّا ان اهم اثرين منها الكتابان المعروفان بـ «الفرائد» و «المتاجر» في الأُصول والفقه، أو (الرسائل) و

---

(١) هنالك من يشكك في تلمذة الشيخ الأنصاري لدى صاحب الجواهر، انظر مقدمة المكاسب للسيد الكلانتر: ١ / ١٠٣ ـ ١٠٧.

(٢) الشيخ السبحاني ـ تاريخ الفقه الاسلامي وادواره: ٤٢٩ ـ ٤٣٣ باختصار. وللتوسع انظر السيّد الكلانتر في مقدمته على الطبعة الحديثة للمكاسب ج ١، ط. النجف الاشرف.

«المكاسب» كما يصطلح عليهما طلاب الحوزات العلمية[1].

وقد اصبحا ـ ومنذ ان الّفهما الشيخ وإلى يومنا هذا ـ من أهم المتون الدراسية في الحوزات العلمية الشيعية في علمي الأُصول والفقه وفي أعلى مستويات الدراسة الحوزوية «السطح»، او الدراسة الاعدادية للفقه والأُصول.

يقول الشيخ الطهراني: «فرائد الأُصول، المعروف بالرسائل تأليف الشيخ الأنصاري.. وقد طبع الكتاب في حياة المؤلف وكان التدريس والبحث والنظر فيه من عصر المؤلف إلى زمن تأليف الكفاية، قرب سبعين سنة، فعلقت عليه حواشي كثيرة نذكر بعضا مما ظفرنا به منها..»[2] ثمّ يذكر أكثر من خمسين حاشية لأساطين العلماء والمحققين.

وفيما يلي موجز لهذين الكتابين والجانب الابداعي فيهما:

الابداع الأُصولي عند الشيخ الأنصاري:

يقول أحد الباحثين في تراث الشيخ الأنصاري: «وقد وفق اللّه هذا العبد الصالح والعالم الجليل، لكثير من التطور والتجديد فيالمباحث الأُصولية الخطيرة، والشيخ لوحده امة ومدرسة في هذا العلم الشريف الذي يتوقف عليه الاستنباط الفقهي بشكل تام.

لقد آتاه اللّه عقلاً خصبا قويا، وقدرة على الاستيعاب والتجديد فاستوعب كلّ التراث العلمي الذي سبقه في علم الأُصول، ونهض بعد ذلك بتجديد واسع في هذا

---

(١) وللشيخ‏ؒ كتاب اصولي ضخم عنوانه «مطارح الانظار» وهو عبارة عن تقريرات درسه الأُصولي بقلم تلميذه السيّد ابو القاسم كلانتر.

(٢) الطهراني ـ آقا بزرك، الذريعة: ٦ / ١١١ ـ ١١٩.

العلم، وكان حصيلة ذلك كله مدرسة علمية ضخمة في علم الأُصول آتت ثمارا طيبة، واحتضنت كلّ العقول والكفاءات العلمية في هذا الحقل الخصيب من الذين جاؤوا من بعده، وقد هيأ اللّه لهذه المدرسة المباركة من اسباب النمو والتجديد والتكامل ما لم يتهيأ لغيرها من مدارس هذا العلم»[1].

ثمّ يضيف: «وقد اودع الشيخ الأنصاري في كتابه «فرائد الأُصول» الكثير من روائع افكاره ودقائق نظراته.

وممّا جددّه في هذا العلم، وجاء فيه بمنهجية جديدة تماما هو مبحث «الحجج والأدلة»».

إذ إنَّ هذا المنهج الجديد (لمبحث الحجج) ينطوي على تصوّر جديد للحجج وطريقة تصنيفها وفهمها وتنظيمها ضمن النظام الذي يشرحها الشيخ بحسب اختلاف مراتبها، ثم حلّ التعارض فيما بينها بموجب هذا النظام، كل ذلك بصورة علمية دقيقة ومتينة ومحكمة ومتكاملة وفي نظام علمي فريد من نوعه.

وامارة هذا الاستحكام والقوة والمتانة في المنهج والتصور والمحتوى ان الفقهاء الذين جاؤوا من بعد الشيخ ـ وهم كثيرون ـ لم يغيروا لحد اليوم الخطوط الأَساسية لهذا المنهج، رغم انّ هذه الفترة كانت حافلة بعقول فقهية وأُصولية كبيرة من امثال المولى الشيخ «محمد كاظم الخراساني» المعروف بالآخوند (ت ١٣٢٩ هـ) صاحب الكتاب الأُصولي المعروف بـ «كفاية الأُصول»، والسيّد محمد حسن الشيرازي (ت ١٣١٢ هـ) المعروف بالمجدد الشيرازي، والشيخ حبيب اللّه الرشتي المتوفى سنة

---

(١) الآصفي ـ محمد مهدي، مقدمة فرائد الأُصول للانصاري: ١ / ٥، ط وتحقيق: جامعة المدرسين ـ قم، بتصرف.

(١٣١٢ هـ) وشيخ الشريعة الاصفهاني (ت ١٣٣٩ هـ) وغيرهم من تلامذة الشيخ‌﵀.

كذلك الاعلام الثلاثة من تلامذة الشيخ الآخوند الخراساني (النائيني، والعراقي، والاصفهاني) وغيرهم من الاعلام المعاصرين والمحققين الكبار في هذا العلم»[1].

ورغم بعض التغيير الحادث على أيديهم في منهجة هذا العلم وافكاره، إلّا أن الخطوط الرئيسية للمنهج والأفكار لا تزال تدور حول التصورات التي وضعها الشيخ الاعظم، وتنتظم بموجب النظام الذي استحدثه الشيخ لهذا العلم.

ولا يمكننا بهذه العجالة أن نستوعب كل ما يمكن الاشارة إليه من ابتكارات علمية لدى الشيخ الأعظم‌﵀[2] والذي يعتبر «خاتمة الفقهاء والمجتهدين» أو كما قيل عنه بأنه «أنسى مَنْ قبله واتعب مَنْ بعده».

إلّا أننا يمكن أن نقول ـ وبثقة تامة ـ إنَّ جهود الشيخ الأعظم‌﵀ قد انصبت وبشكل مباشر على تأسيس تفاصيل المنهج العلمي للمدرسة الأُصولية الحديثة. وقد تجلى ذلك من خلال:

الابداع في الترتيب الجديد للبحوث الأُصولية على أساس تثليث حالات المكلّف من القطع والظن والشك.

الاستقصاء الشامل للفرضيات والحالات التفصيلية في كل من هذه الأقسام الثلاثة.

ـ ظهور لون جديد من المصطلحات الأُصولية وخاصة في بحوثه في تعارض الأدلة مثل مصطلحي: «الحكومة والورود».

---

(١) الآصفي ـ محمد مهدي، مقدمة فرائد الأُصول للانصاري: ١ / ١١ / ١٢، بتصرف.

(٢) للتوسع انظر: الدكتور ابو القاسم گرجي ـ تاريخ فقه وفقهاء بالفارسية: ٢٦٠ ـ ٢٧٧. ومقدمة الطبعة الجديدة من كتاب المكاسب بقلم السيّد الكلانتر، والمصدر السابق.

هذه أهمُّ الخطوط العامة للمنهجية التي سار عليها الشيخ الأعظم، والتي انعكست بدورها على كلّ كتاباته الأُصولية أوّلاً، وكتاباته الفقهية ثانيا، وارتضاها من بعده الفقهاء من تلامذته وتلامذة تلامذته ثالثا»[1].

الابداع الفقهي عند الشيخ الأنصاري:

لقد شهد الدرس الفقهي في حوزة النجف الأشرف في دورها الثالث تطورا ملحوظا، وقطع البحث الفقهى الاستدلالي شوطا كبيرا من التكامل والرقي في القرن الثالث عشر الهجري، وخاصة في عصر شيخ الفقهاء والمجتهدين صاحب الجواهر، حيث احتوى كتابه القيم «جواهر الكلام في شرح شرائع الاسلام» من التحقيقات القيمة والدقيقة الشيء الكثير، مما جعله في مقدمة الموسوعات الفقهية التي لا يستغني عنها فقيه قط.

إلّا أنَّ الشيخ الأنصاري بما تميز به من غزارة العلم، وعمق النظر، وسعة الاطلاع، والاحاطة الواسعة بالمباني الأُصولية والفقهية، قد استطاع أن يؤسّس منهجا جديدا في الفقه المعاملي لم يسبق إليه أحد ممن سبقه من الفقهاء والمجتهدين، فاستحق بذلك ـ وبحق ـ ان يلقب بالشيخ الأعظم والشيخ المؤسس للفقه والأُصول.

ولا نقصد بالمنهجة الجديدة للفقه التي شيدها الشيخ الأعظم، أنّ كلّ ما أتى به الشيخ فهو جديد، وإنما المقصود أنَّ الشيخ قد أَسَّس لمنهجة جديدة لم يكن مسير الاستدلال الفقهي قد انتهجها من قبل وبهذه الاساليب الفنية الحديثة.

فقد كرّس جهوده في نظم هذه اللنالي في أحسن ترتيب، وتنضيدها على أكمل تنضيد، وتهذيبها على أجمل تهذيب، فتناول القواعد العلمية وأفرغها في قوالب

---

(١) السيّد منذر الحكيم ـ مراحل تطور الاجتهاد؛ مجلة فقه اهل البيت: العدد ١٧ / ١٧٦.

حكمية، وعرضها بأساليب رضية، وزاد عليها أكثر من الزيادة، وبذل جهوده في تمحيصها وتنقيحها[1].

ولو قارنا بين ما كتبه الشيخ الأعظم من بحوث فقهية في فقه المعاملات، وبين ما كتبه أساطين العلماء ممن سبقه وعاصره، كصاحب الجواهرؒ نجد من الفوارق الكيفية والتي تحكي بدورها عن فوارق جوهرية الشيء الكثير[2].

وسوف يتضح ذلك من خلال الاشارة إلى مناحي الابداع الفقهي في منهج الشيخ الأنصاريؒ.

الآثار العلمية للشيخ الأنصاري:

والآثار العلمية للشيخ الأعظمؒ كثيرة. إلّا اننا اكتفينا في هذا المجال بذكر كتابين من مؤلفاته وهما: «المكاسب والرسائل» حيث ذكر في ثانيهما عصارة علم الأُصول، والأقوال والآراء فيها، بالاضافة إلى تأسيس قواعد ومباني أُصولية جديدة كنا قد أشرنا إليها في الحديث عن الابداع الأُصولي عند الشيخؒ.

والابداع العلمي للشيخ في مجال الفقه والاستدلال الفقهي قد برز بشكل واضح في كتابه الموسوم بـ (المكاسب)، والرسائل الفقهية التي الحقت به او التي طبعت وحدها، وكذلك الحواشي والتعليقات على بعض الكتب الفقهية[3].

وقد حظي كتاب المكاسب باهتمام العلماء وعنايتهم دراسة وبحثا وتدريسا، وصار هذا الكتاب مدار الاجتهاد ومناط الاستنباط منذ ظهوره إلى عالم الوجود سنة (١٢٧٥ هـ).

---

(١) كلانتر ـ السيّد محمد، مقدمة المكاسب: ١ / ١٨٣ ـ ١٨٤، ط. مؤسس النور بيروت.

(٢) انظر مقدمة الطبعة الحديثة لكتاب المكاسب، ط. وتحقيق مجمع الفكر الاسلامي.

(٣) انظر الذريعة: ٢ / ٢١٠ وكذلك مقدمة السيّد الكلانتر على كتاب المكاسب: ١ / ١٩٠.

ولعظم هذا الكتاب فقد علق عليه النوابغ من الفقهاء الكبار التعاليق القيمة والحواشي الدقيقة التي جاوزت العشرات[1].

مناحي الابداع الفقهي في منهج الشيخ الأنصاري الفقهي:

فيما يلي نحاول ان نختزل اهم ما يمكن الاشارة إليه من وجوه الابداع عند الشيخ وضمن نقاط محورية:

اولاً: الاحاطة والاستيعاب التام لآراء سلفه من الفقهاء:

الدّارس والباحث في البحوث الفقهية للشيخ الأعظم يلاحظ وبجلاء احاطة واستيعاب الشيخ‏ لما دونّه الفقهاء من قبل، ويكاد الباحث لتراث الشيخ‏ ان يقف على كلّ الوجوه والاحتمالات المتوقعة في كلّ بحث من بحوثه الفقهية، وقد صرّح بعض الاساتذة بأ نّه «لا تجد رأيا جديدا بعد عصر الشيخ إلّا وتجد جذور ذلك الفكر والرأي في بحوث الشيخ نفسه»[2].

ثانيا: الانسجام الكامل بين مبانيه الأُصولية وابحاثه الفقهية:

يلاحظ الدارس في التراث الفقهي للشيخ الاعظم‏ ظاهرة جديرة بالاهتمام الا وهي ظاهرة الإنسجام الكامل بين فكره الأُصولي وبحثه الفقهي، ونجد ذلك متجليا في عامّة بحوثه الفقهية.

فرغم ما عرف عنه‏ بالكرّ والفر في البحوث الفقهية، إلّا ان المتعمق في ابحاث

---

(١) من اساطين العلماء الذين علقوا على المكاسب المحقق الرشتي، والمحقق المامقاني، والفقيه الهمداني، والسيّد اليزدي، والميرزا الشيرازي، والشيخ البلاغي، والمحقق الخراساني، وغيرهم الكثير. انظر: مقدمة الطبعة الحديثة من كتاب المكاسب.

(٢) السيّد منذر الحكيم ـ مراحل تطور الاجتهاد؛ مجلة فقه اهل البيت‏ العدد ١٧: ١٧٧.

الشيخ الأعظم درسا وتدريسا يجد ان ظاهرة الكر والفر لها ما يبررها بحسب المباني الأُصولية للشيخ، بالاضافة إلى ما يحس به من نشوة علمية، وشحذ لذهن الدارس، وفتح لآفاقه الفكرية والعقلية.

وإذا كان بعض السلف من الفقهاء حين يدخلون مجال البحث الفقهي يغفلون عن أنهم أصحاب مبان أُصوليةٍ، فان الشيخ الأعظم تجده اصوليا بارعا حينيقف على مشارف البحث الفقهي ولا يكاد ينسى أنّه صاحب مدرسة أُصولية متكاملة، لا يمكن للبحث الفقهي ان يقف على جانب منها، وهذه ميزة كبيرة قد انعكست في بحوث الشيخ الأعظم الفقهية وانتقلت إلى تلامذته ومن تلاهم حتى يومنا هذا[1].

ثالثا: الاهتمام الوافر بفقه المعاملات:

عندما يستعرض الباحث تراث الشيخ الأعظم الفقهي، يجد ان الشيخ قد كتب وحقق وبحث في جملة من ابواب الفقه سواءً في العبادات او المعاملات او الأحكام، وضمن رسائل وتعليقات وحواشي، فيها من الدقة والمباني العلمية والاحاطة الكاملة الشيء الكثير.

إلّا ان مدرسة الشيخ الأعظم قد تميّزت بشكل واضح بالاهتمام الوافر بفقه المعاملات، اهتماما اعطاها صيغة جديدة بحيث مهدت لدخول الفقه الامامي في ساحات البحث العلمي الأكاديمي وتجلّت في نظام معاملي وحقوقي فريد بحيث تستفيد منه سائر المدارس الفكرية غير الاسلامية فضلاً عن المذاهب الاسلامية الأُخرى[2].

---

(١) السيّد منذر الحكيم ـ مراحل تطور الاجتهاد؛ مجلة فقه اهل البيت عليهم السلام العدد ١٧: ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) المرجع نفسه.

ويعتبر كتاب المكاسب من أهم ما كتبه الشيخ الأعظم في فقه المعاملات، وهو كتاب عظيم جليل القدر لم يَجُد الدهر بمثله، وفيه من الدقائق العلمية المدهشة الشيء الكثير، مما أدى إلى اهتمام العلماء وجهابذة الفقهاء والمحققين به.

ويكفي في عظمة هذا الكتاب وعمق محتواه، وقوّة حججه وسلامة منهجه، أنّه أعجب المخالف فضلاً عن المؤالف، فهذا هو الدكتور عبد الرزاق السنهوري مؤلف موسوعة «الوسيط» التي شرح فيها القانون المدني المصري، وتقع في عشرة أجزاءٍ ضخمة وبدأ بتأليفه عام (١٩٣٦ م) وحازت شهرة كبيرة في البلاد العربية، وصار يضرب بها المثل في الدقّة والعمق.

هذا الدكتور قال ـ كما حدث بذلك بعض الثقات نقلاً عن بعض أساتذة كلية الحقوق ببغداد ـ «لو كنت قد اطلعت على كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري قبل تأليف «الوسيط» لغيّرت الكثير من آرائي في ما كتبته حول المعاملات»[١].

رابعا: المنهجة الحديثة في البحث الفقهي:

إنَّ منهج الشيخ الأعظم في أبحاثه الأُصولية والفقهية منهج فريد؛ لم يسبقه فيه سابق من الفقهاء الكبار، وكلُّ من جاء من بعده سار على خطاهُ ومنهجه في بيان الأبحاث الفقهية وخاصة في الفقه المعاملي.

وفيما يلي اشارة مختصرة لبعض مناحي الابداع في منهجه الفقهي:

١ ـ منهجه في كيفية الدخول في الموضوع:

ان الشيخ الأنصاري حينما يريد الدخول في بحث ما، يقسّم غالبا الموضوع

---

(١) انظر كتاب الشيخ الأنصاري زعيم النهضة العلمية: ٦٧ ـ ٦٨، من منشورات جامعة المدرسين ـ قم.

الذي يريد ان يبحث فيه إلى اقسامه، ثم يدخل في كلّ قسم بالترتيب، وقلما نجده يدخل في موضوع مهمّ من دون مقدمة.

وهذه الميزة قد لا نجدها عند أساطين الفقهاء، إذ ربما تجد أحدهم يدخل في موضوع ويبحث فيه من دون ان يلتفت إلى كيفيّة دخوله فيه إلّا النابغين والنابهين من أهل الدقة والنظر.

والشواهد على هذه المنهجة الفريدة للشيخ الأنصاري كثيرة[1].

٢ ـ منهجه في تنظيم البحث واستيعاب جوانبه:

إن الشيخ الأنصاري حينما يريد الدخول في البحث عن موضوع ما، يدخل فيه على أساس منهج معين قد يعلن عنه، ويوضح جوانبه قبل الدخول في البحث، وقد لا يعلن عنه، ولكن يلتزم به في بحثه. وعلى أي حال فهو يسير في البحث طبقا لمنهجية معيّنة فلا يرجع إلى المرحلة التي تجاوزها.

وهذه المنهجة في تنظيم البحوث تُعِين الدارس والباحث على فهم مراد الشيخ، فمع غضّ النظر عن مستوى البحث العلمي الدقيق عند الشيخ الأعظم إلّا انه لا يصعب التوصل إلى ما يروم إليه غالبا[2].

٣ ـ لغة البيان عند الشيخ الأعظم:

مما لا شك فيه ان لغة علمي الأُصول والفقه، والمصطلحات الفنية لهذين العلمين، مما يتعسّر او يصعب على غير المتمرس بها ان يفهمها فهما صحيحا.

---

(١) للمقارنة انظر بحث الشيخ الأنصاري في موضوع الغيبة، وقارن ذلك ببحث صاحب الجواهر في نفس الموضوع.

(٢) للمقارنة انظر بحث الشيخ الأنصاري في موضوع بيع الفضولي، وقارن ذلك ببحث صاحب الجواهر في نفس الموضوع.

هذا بالاضافة إلى عبارات وطريقة بيان بعض العلماء؛ المغلقة في كثير من الاحيان تزيد الأمر صعوبة وعسرا، ولذلك يعاني الدَّارس والباحث كثيرا في فهم المطالب العلمية، ويحتاج إلى تأمل ودقّة فائقة لفهمها.

إلّا ان المتأمل في الاسلوب البياني الذي اتبعه الشيخ الاعظم في كتابه «المكاسب» يجد في اغلب الاحيان ان التعابير خالية من التعقيد اللفظي والبياني.

فهي قابلة للفهم في حدّ ذاتها لمن قد طوى المراحل الأُولى، واتقن مقدمات العلوم، ووصل بجد إلى مستوى دراسة السطوح.

وهذه الميزة قد لا تجدها فياغلب الاحيان في الكتب الفقهية المؤلفة قبل زمن الشيخ أو مَن عاصره، بل وحتى يومنا هذا إلّا النزر اليسير من العلماء ممّن آتاه اللّه سبحانه موهبتي البيان والبنان السلس الواضح[١].

وهذا لا يعني براءة كتب الشيخ من الاغلاق في التعبير تماما، وإنما المقصود بيانه هو أن الصفة الغالبة في تعبير الشيخ هي السلاسة والوضوح بخلاف عبارات غيره[٢].

٤ ـ في كيفية الاقتباس من الآخرين:

جرت عادة العلماء والمحققين على الاقتباس أو نقل آراء العلماء الآخرين، لغرض الاستشهاد بها او مناقشتها، وهي طريقة منهجية متعارف عليها بين العلماء والمحققين، وليست بطريقة مستنكرة او غريبة.

إلّا اننا نجد هذه الظاهرة قد تأخذ منحىً آخر قد يخرجها عن المنهجية العلمية في

---

(١) كما نجد ذلك عند السيّد الشهيد محمد باقر الصدر في الفتاوى الواضحة.

(٢) للمقارنة انظر وقارن بين بعض مطالب وموضوعات كتاب المكاسب، وما كتبه صاحب الجواهر في نفس المطالب والموضوعات؛ وقارن بين ما كتبه الشيخ في الرسائل من مباحث أُصولية، وبين ما كتبه الميرزا القمي في القوانين المحكمة.

الاقتباس او نقل الآراء، كما لو نقل المحقق او المؤلف عدة اسطر او صفحة او اكثر من كتاب آخر ومن دون تصريح او اشارة إلى ذلك، وهي طريقة توقع الباحث في ابهامات واشكالات عديدة، وتؤدي إلى خلط الآراء والاقوال وتداخلها، او نسبة بعض الآراء إلى غير قائلها، وغيرها من المحاذير، وعندما نرجع إلى منهج الشيخ الأعظم نجد فيه ميزة فريدة في الاقتباس ونقل الآراء والاقوال، فهو بالاضافة إلى الاختصار في نقلها نجده يعتمد على عباراته الجزلة في بيان مراده ومقصوده والشواهد على ذلك كثيرة من كتابي المكاسب والرسائل لا يسع مجال البحث لذكرها.

هذه اهم مميزات منهج الشيخ الأعظم‏ نجدها شاخصة في كتبه ومؤلفاته الفقهية والأُصولية، بالاضافة إلى امور وميزات أُخرى كالاعتماد على العرف والعرفيات في فهم كثير من موضوعات الأحكام والنصوص وتبيين المفاهيم الحقوقية مثل «الحكم» و «الحق» و «المال» و «الملكية» ونحوها، واعطاء صيغة عامة للبحث عن العقد بحيث يشمل غير البيع[1] وامور أُخرى يجدها الباحث والمتتبع في كتاب وتراث الشيخ الأعظم‏.

وفي ختام هذا الفصل عن ابداعات وابتكارات الشيخ الأعظم‏ الأُصولية والفقهية ينبغي ان نشير إلى ان مؤلفات الشيخ قد إتسمت بثلاث ميزات:

١ ـ إنها منقحة جدا او تكاد:

وفي هذا الصدد يقول السيّد محسن الأمين العاملي: «كان (الشيخ الأنصاري) لا يحبّ إخراج شيء إلّا بعد تنقيحه وإعادة النظر فيه مرارا»[2].

---

(١) مقدمة كتاب المكاسب: ٢٨ نشر وتحقيق مجمع الفكر الاسلامي، وقد اقتبسنا ـ باختصار وتصرف ـ بعض المطالب منها.

(٢) الامين ـ السيّد محسن، اعيان الشيعة ترجمة الشيخ الأنصاري: ١٠ / ١١٨.

٢ ـ إنَّ أكثر مطالبه مبتكرة:

كذلك يقول السيّد الأمين: «كما ان مؤلفاته تحتوي على الدقائق العجيبة، والتحقيقات الغريبة، مع لزوم الجادة المستقيمة والسليقة المعتدلة»[١].

٣ ـ إن كتبه أصبحت مدارا للبحث والدراسة في الحوزات العالية:

ولهذا كله اصبحت كتب ومؤلفات الشيخ ﵀ مدارا للبحث والدراسة، واكتسبت حظّا عظيما من العناية والاهتمام شرحا وتعليقا، وخاصة رسائله ومكاسبه حتى شذّ من لم يعلق عليهما من مشاهير العلماء بعده[٢].

وقد علّق عليها الكثير من العلماء والمحققين حتى ان الشيخ الطهراني ذكر في ذريعته أكثر من (٣٠) حاشية[٣]، على كتاب المكاسب.

من سمات وملامح هذه المرحلة:

لقد اتسمت هذه المرحلة بخصائص وسمات مهمة منها:

اولاً: الدقة والتحقيق في المباحث الفقهية والأُصولية:

المتتبع لأبحاث ومؤلفات علماء ومجتهدي هذه الدورة، يلاحظ الدقة المتناهية والتحقيق العميق في تطبيق وإرجاع الفروع الفقهية إلى الأُصول الأولية، وكذلك الاستفادة من الأدلة العقلية والمنطقية في ابحاث الاستدلال الفقهي والأُصولي، بدرجة كبيرة لا تمكن مقايستها بالدورات التي سبقتها.

---

(١) الامين ـ السيّد محسن، اعيان الشيعة ترجمة الشيخ الأنصاري: ١٠ / ١١٨.

(٢) انظر الشيخ الأنصاري وتطور البحث الأُصولي: ٦٥، ط. مؤسسة النشر الاسلامي ـ قم.

(٣) للتوسع انظر: الذريعة: ٦ / ١٥٧، طبعة دار إحياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م.

ثانيا: ظهور الابداعات والابتكارات الجديدة:

لقد اوضحنا سابقا ان الشيخ الأعظم الأنصاريﷺ صاحب مدرسة أُصولية متميزة، وله من الابتكارات والإبداعات العلمية في علمي الأُصول والفقه، مما ينفرد بها عن غيره من اساطين العلماء من السابقين، واصبح اسوة لمن تأخر عنه من تلامذته وتلامذة تلامذته، ومن اتباع منهجه ومدرسته العلمية العالية.

ثالثا: عدم التأثر بالمدرسة السنية ومنهجيتها في الاستدلال:

والملاحظ في المنهج الابداعي للشيخ الأنصاريﷺ عدم تأثره بالمنهج الاستدلالي السني، ويتضح ذلك جليا في الأبحاث والرسائل الفقهية التي دونها الشيخ، وكذلك نجد الابتعاد عن المنهج الاجتهادي الأُصولي للمدرسة السنية في ابحاثه الأُصولية المدونة، واتبع نفس الطريقة والمنهج أَتْباع مدرسته الفقهية والأُصولية من بعده.

رابعا: مناقشة ودحض ادلة وبراهين اتباع المدرسة الاخبارية:

رغم الهزيمة الماحقة للمدرسة الاخبارية واتباعها على يد الشيخ الوحيد وتلامذته، إلّا انه بقيت بعض البراهين والأدلة التي يتشبث بها اتباع هذه المدرسة، مما دعا الشيخ الأعظمﷺ إلى مناقشة هذه المسائل والأدلة والبراهين وابطالها، ويتضح ذلك جليا في منهجه الفقهي والأُصولي.

خامسا: ظهور المنهجة الحديثة في المباحث الفقهية والأُصولية:

لقد ظهرت خلال هذه الدورة المباركة منهجة جديدة في ترتيب الأدلة، وموارد جريانها، والتفرقة الدقيقة بين الامارات والأُصول، ورتبة كل واحدة منها في الاستدلال

الفقهي، وهذا ما اشرنا إليه سابقا عند الحديث عن منهج الشيخ الأعظم الأُصولي[1].

بهذه السمات وغيرها اصطبغت هذه الدورة وتركت بصماتها الواضحة على حركة الاجتهاد وتطوره في مدرسة اهل البيت.

(١) للتوسع انظر: تاريخ فقه وفقهاء ـ دكتر ابو القاسم گرجي: ٢٥٧ ـ ٢٥٨ فارسي.

المبحث الخامس: تلامذة الشيخ الأنصاري
ودورهم في حوزة النجف الأشرف

بعد وفاة الميرزا الوحيد البهبهاني (ت ١٢٠٥ هـ) تعاقب ثلاثة أجيال من كبار الفقهاء والمجتهدين على إدامة السير على خُطى أُستاذهم الكبير صاحب المدرسة الفقهية والأُصولية.

ومن هؤلاء الاعلام من تتلمذ على يد استاذه الوحيدﷺ مباشرة، من قبيل السيّد محمد مهدي بحر العلوم (ت ١٢١٢ هـ) والشيخ اسد اللّه الشوشتري (ت ١٢٣٤ هـ)، والشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٧ هـ)... وغيرهم.

ومنهم من تتلمذ على يد تلامذة الشيخ، وهم علماء الجيل الثاني بعد الشيخ الوحيد من قبيل السيّد محسن الاعرجي (ت ١٢٤٠ هـ) وشريف العلماء محمد شريف بن حسن علي (ت ١٢٤٥ هـ) والمولى احمد النراقي (ت ١٢٤٥ هـ) والشيخ محمد تقي عبد الرحيم (ت ١٢٤٨ هـ) والشيخ محمد حسن النجفي صاحب الجواهر (ت ١٢٦٦ هـ)... وغيرهم.

والجيل الثالث من هؤلاء الأعلام من تتلمذ على يد علماء الطبقة الثانية، وعلى رأس هؤلاء ومن أبرز علماء هذه الدورة ورائدها، هو الشيخ الأعظم مرتضى بن محمد امين الأنصاري (ت ١٢٨٧ هـ) صاحب المدرسة الفقهية والأُصولية المتميزة.

وقد ترجمنا في بداية الحديث عن هذه الدورة لحياة الشيخ الأعظمﷺودوره العلمي والمرجعي في حوزة النجف الأشرف. اما تلامذة الشيخ، وتلامذة تلامذته، فعددهم كبير جدا، حيث تخرج عليه عدد كبير من كبار الفقهاء والمجتهدين وقد أنهى

بعضهم أسماء تلاميذه فبلغ (٣١٥) مجتهدا عالما[1]. كما وتتبع أحد الباحثين عدد تلامذة الشيخ الأنصاري وأسمائهم فذكر أسماء أربعمائة وستة عشر عالما تلمذوا على الشيخ[2].

وكان لهم أيضا دور كبير في استمرار هذه الحوزة ورفدها بالأفكار الفقهية والأُصولية المبتكرة، بالاضافة إلى الآثار العلمية القيمة.

وسنشير هنا إلى أسماء ومصنفات أبرزهم وأشهرهم، وممن كان له دور هامٌّ في حفظ وتطوير التراث الفكري الذي خلفه الشيخ الأعظمؒ.

١ ـ آية اللّه السيّد محمد حسن الشيرازي (١٢٢٠ ـ ١٣١٢ هـ) المعروف بـ (المجدد الشيرازي).

وهو من أبرز تلامذة الشيخ، ومتبعا طريقة أُستاذه في المباحث العلمية والاجتهادية، ومن أساطين علماء المذهب في هذه الدورة.

استلم زمام المرجعية الدينية بعد وفاة الشيخ الأعظم، واصبح ـ وبجدارة ـ مرجعا اعلى لعموم الشيعة، وله مواقف سياسية مهمة، من أشهرها فتواه المشهورة (بالتنباك) أو تحريم التبغ، والتي اجبرت «ناصر الدين شاه الصفوي» على الغاء العقد الذي ابرمه مع الشركات الانكليزية.

آثاره العلمية:

بسبب انشغال هذا العلم بأُمور المرجعية الدينية، ولعدم وجود الوقت الكافي لديه، لم يترك لنا من الآثار العلمية سوى رسالة في علم الأُصول تخص مبحث اجتماع الأمر

---

(١) انظر مقدمة المكاسب الطبعة الحديثة بقلم السيّد الكلانتر.

(٢) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف: ٧٤٢.

والنهي.

إلّا أنَّ تقريرات درسه في علم الأُصول والتي دونت بقلم احد تلامذته المبرزين، قد طبعت مؤخرا[1]. وهي تقريرات لها اهمية خاصة لانها تعكس آراء ونظريات استاذه الشيخ الأنصاري، وببيان واضح بعيدٍ عن الابهام والتعقيد[2].

وينبغي أن نشير إلى أن الإمام المجدد الشيرازي قد انتقل إلى مدينة سامراء وانتقل معه بعض تلامذته، وتوفي فيها سنة (١٣١٢ هـ) وحمل إلى النجف الأشرف ودُفن فيها. وسوف يأتينا مزيد من البحث حول هذه المرحلة وأسبابها عند الحديث عن حوزة سامراء إن شاء اللّه.

٢ ـ الشيخ الميرزا حبيب اللّه الرشتي (١٢٣٤ ـ ١٣١٢ هـ).

وهو من أبرز تلامذة الشيخ الأعظم، وكان يقال عنه في اوساط اهل العلم في ذلك الزمان بأنه وارث علم أُستاذه الأنصاري.

والمعروف عن هذا العالم الزهد والتقوى والاخلاص، بالاضافة إلى تحقيقاته الواسعة فيالابحاث الأُصولية والفقهية، وكتابه الأُصولي «بدائع الافكار» من أروع المتون الأُصولية، وحظي بقسط وافر من عناية واهتمام العلماء والمحققين الكبار.

لقاء الفقيه الرشتي بالشيخ الأنصاري:

ومن طريف ما ينقل انه يوم قدوم الشيخ الأنصاري إلى النجف الأشرف، لم يكن يعرف علماء النجف وفضلاؤها يومئذ مكانته العلمية فكان يحضر كسائر الطلّاب في

---

(١) انظر تقريرات الأُصول للمجدد الميرزا الشيرازي بقلم آية اللّه ملا علي روزدري، وقامت مؤسسة آل البيت في قم بتحقيق وطبع هذا الأثر القيّم في أربعة مجلدات كبيرة.

(٢) الجناتي ـ ادوار إجتهاد: ٣٩٤ ـ ٣٩٥.

درس الشيخ محمد حسن النجفي (صاحب الجواهر)، فجاء في درس الشيخ صاحب الجواهر ذكر لدليلين مختلفين متعارضين فقدّم الشيخ احد الدليلين على الدليل الآخر ومضى في درسه، وكان الشيخ الأنصاري حاضرا يومئذ في الدرس فسأله احد تلامذة درس صاحب الجواهر ـ وهو كما قيل الفقيه الشيخ ميرزا حبيب اللّه الرشتي ـ عن سرّ تقديم دليل على دليل آخر؟

فأجاب الشيخ الأنصاري: بـ (الحكومة).

فقال الفقيه الرشتي: وما الحكومة؟

فقال الشيخ: إذا احببت ان تعرف ما الحكومة فعليك ان تحضر مجلس درسي على الأقل ستة أشهر.

ومنذ ذلك التاريخ توثقت العلاقة بين الميرزا الرشتي والشيخ الأنصاري، وأصبح من كبار تلاميذه ومن كبار فقهاء المسلمين بعد تخرجه من درس الشيخ الأنصاري[1].

آثاره العلمية:

للفقيه الرشتي﴿ره﴾ آثار علمية جليلة في الفقه والأُصول[2] من أهمها:

١ ـ كتب فقهية في أبواب الفقه المتعددة مثل كتاب اللقطة، كتاب الارث، كتاب الوقف.

٢ ـ كتاب «بدائع الأُصول» في أُصول الفقه.

٣ ـ كتاب القضاء والشهادات في جزئين.

٤ ـ حاشية على كتاب استاذه الأنصاري (المكاسب).

---

(١) الآصفي ـ محمد مهدي، مقدمة فرائد الأُصول، ط. جامعة المدرسين ـ قم.

(٢) انظر: مجلة فقه اهل البيت: العدد ١٧ / ١٨٣، ومقدمة كتاب القضاء للرشتي بقلم السيّد احمد الحسيني، ط. منشورات دار القرآن الكريم ـ قم ـ ايران، ١٤٠١ هـ

٣ ـ الشيخ محمد كاظم الخراساني المعروف بالآخوند والمحقق الخراساني (١٢٥٥ ـ ١٣٢٩ هـ).

ويعتبر الشيخ الآخوند الخراساني من أكابر علماء هذه الدورة، ومن ابرز تلامذة الشيخ الأعظم، حضر بحث أُستاذه الأنصاري قريبا من ثلاث سنين حتى وفاته، ويوم تتلمذ الخراساني على يد الشيخ الأنصاري، كان ـ الأنصاري ـ يحاضر «في مبحث الظنون الخاصة ومسألة حجية خبر الواحد» وقد ذكره هو على المنبر في احدى محاضراته مبتهجا»[١]، وحظي خلالهما من استاذه باهتمام بالغ، واحاطه بعناية خاصة.

ولما لبى الاستاذ نداء ربه التحق ببحوث درس المجدد الشيرازي، ولازم درسه، بعد ان كان يختلف إلى درسه ايام استاذه الشيخ الأعظم، حتى ينقل عن الآخوند قوله: «انني اتخذت المحقق الأنصاري اوّل ما حللت النجف شيخا لنفسي، واتخذت سيدنا الميرزا حسن الشيرازي استاذا، فكنت اختلف إلى سيدي الاستاذ واحضر ابحاثه الخصوصية والعمومية، ثم بصحبته نحضر معا درس شيخنا الأنصاري فنكمل استفاداتنا من بياناته»[٢].

وبقي المحقق الآخوند ملازما للسيد المجدد الشيرازي عشر سنوات، يحضر دروسه وبباحثه، حتى إذا غادر المجدد الشيرازي من النجف إلى سامراء ناقلاً معه حوزته العلمية، انتقل معه الآخوند إلى هناك ولكن سرعان ما عاد إلى النجف وبأمر

---

(١) محمد علي ـ عبد الرحيم، المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني: ٢٦، طبعة مطبعة النعمان ـ النجف، ١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م.

(٢) كفاية الأُصول ـ المقدمة، تحقيق مؤسسة آل البيت: ١٨.

من استاذه من اجل التصدي للتدريس، ولحاجة النجف إليه.

وفيالنجف استقطب مجلس درسه اكثر الأفاضل وطلاب العلم، حتى صار المدرس الأول، مع وجود علماء كبار من امثال الميرزا حبيب اللّه الرشتي (ت ١٣١٣ هـ)، والشيخ هادي الطهراني وغيرهم.

وقد امتاز درسهﷺ بالقوة والايجاز والتهذيب والاحاطة كما صرح بذلك السيّد الأمين في اعيانه بقوله:

«وتميز عن جميع المتأخرين بحب الايجاز والاختصار، وتهذيب الأُصول، والاختصار على لباب المسائل، وحذف الزوائد، مع تجديد في النظر وإمعان في التحقيق»[1].

وبعد وفاة استاذه المجدد الشيرازي تقاطر عليه علماء الحوزة وفضلاؤها وازدحموا في درسه وتحت منبره «فكان مجلس بحثه محفلاً علميا ضخما مهيبا قلما رأته عين الزمان او عرفت له نظيرا، وربما بلغ عدد الحاضرين في درسه الشريف زهاء ثلاثة الآف مستمع»[2].

وقال صاحب الذريعة: «وقد سمعت ممن احصى تلاميذ شيخنا الاستاذ الأعظم المولى محمد كاظم الخراساني في الدورة الأخيرة، إنه زادت عدّتهم على الالف والمائتين، وكان كثير منهم يكتب تقريراته، ورأيت تقريراتهم الكثيرة في الكراريس والمجلدات»[3].

وقال السيّد العاملي في الأعيان:

---

(١) السيّد الأمين ـ أعيان الشيعة: ٩ / ٥.

(٢) الكفاية ـ المقدمة: ٢١، ط. مؤسسة آل البيتعليهم السلام.

(٣) الطهراني ـ آقا بزرگ، الذريعة: ٤ / ٣٦٦ مادة تقريرات.

«وعمّر مجلسه بمئات من الافاضل والمجتهدين كان منهم اساتذة مراجعنا العظام، كالميرزا النائيني، والسيّد ابي الحسن الاصفهاني، والشيخ ضياء الدين العراقي، والشيخ محمد حسين الاصفهاني، والشيخ عبد الكريم الحائري، والسيّد البروجردي، والسيّد عبد الحسين شرف الدين، والشيخ محمد جواد البلاغي، والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والسيّد صدر الدين الصدر، والسيّد رضا الهندي، والسيّد محسن الطباطبائي الحكيم، وغيرهم من فطاحل العلماء وجهابذة العلم والتحقيق»[1]. وذكر بعض الباحثين أسماء ما يزيد على الثلاثمائة من تلامذته من خلال تتبع بعض المراجع والمصنّفات[2].

يصف الشيخ علي الشرقي درس الشيخ الآخوند وصفا طريفا فيقول: «لقد كان الخراساني آية عصره وكان من الأفذاذ، وهو حجة في الفلسفة النظرية وعلم الأُصول، وكان يحاضر في مسجد الهندي، وكان يحف بمنبره ثلاثة آلاف طالب، فيهم المجتهد والمرشح للاجتهاد، وكانت له الروعة والهيبة إذا استوى فوق منبره، فما ارهب زجرته التي يزجر بها من كان في أقصى المسجد إذا سمع كلمة أثناء القائه، إنه يقرع ذلك الحشد المهيب بقولته (نفس) يريد اسكات ذلك المتنفس، وإذا انتهت محاضراته وانتشرت تلامذته، تقف حركة المرور فلا ترى غير تموج العمائم البيض والسود..»[3].

ولم يكن الشيخ الآخوند ينقطع عن تدريسه حتى في أيام زيارته لكربلاء في مواسم الزيارة.

يقول الشيخ القوچاني ـ وهو أحد تلامذته المبرزين ـ متحدثا عن زيارة النصف من

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ٥.

(٢) محمد علي ـ عبد الرحيم، المصلح المجاهد: ٣٥ ـ ٦٣.

(٣) الشرقي ـ علي، الاحلام: ٨٢.

رجب: «أغلبُ الطلّاب النجفيين كانوا في كربلاء لأداء مراسم اليوم الخامس عشر من شهر رجب، وكذلك الآخوند الملا محمد كاظم الخراساني حلّ بكربلاء من اليوم العاشر لأداء المراسم.. وكان يدرّس في الأُسبوعين اللذين كان حاضرا ـ فيهما ـ في كربلاء؛ والطلّاب النجفيون كانوا يغتنمون هذه الفرصة فيحضرون درسه».

ثمّ يضيف قائلاً: «وكان الآخوند في تلك الآونة أُستاذ الكلّ في الكل حتى أنه اشتهر في أوساط المجتهدين والفضلاء، ولم يرَ الإسلام مدرّسا مثله حتى الآن»[١].

آثاره العلمية:

لم يمنع شيخنا الآخوند اشتغاله بالتدريس، وتحمّله لاعباء المرجعية، واهتمامه بأُمور المسلمين في تلك الفترة العصيبة من تاريخنا المعاصر، من اتحاف المكتبة الاسلامية الأُصولية والفقهية بنفائس الكتب والرسائل في الفقه والأُصول والفلسفة.

ومن أهم ما خلفه من تراث علمي هو كتاب «كفاية الأُصول» وهو من ابرز الكتب الأُصولية، حيث استوعب فيه البحوث الأُصولية، وابرز الآراء المطروحة فيها، مع مناقشتها واعطاء الرأي فيها بعبارة وجيزة وبدقة متناهية، وظهرت فيه ابداعاته وابتكاراته الجديدة التي جعلت منه صاحب منهج متكامل في علم الأُصول.

واصبح هذا الكتاب منذ صدوره مدار بحث العلماء في الحوزات العلمية، وكان في علم الأُصول خاتمة مرحلة السطوح، كما انه من اعمدة بحوث الخارج ومحور رحاها[٢].

---

(١) القوچاني النجفي، السياحة الشرقية: ١٩٥، ترجمة: ناصر الربيعي.

(٢) كفاية الأُصول مع حاشية المشكيني: ١ / ٢٥ المقدمة التحقيقية بقلم الشيخ سامي الخفاجي.

يقول الشيخ الطهراني:

«كفاية الأُصول متن جامع في أُصول الفقه، لشيخنا الآخوند المولى «محمد كاظم الهروي الخراساني» وقد ادخل المسائل الفلسفية في الأُصول أكثر ممن قبله من مؤلّفي الرسائل والفصول والقوانين، وهو المتداول تدريسها إلى اليوم في جوامع النجف، ولهذا فقد كثرت الحواشي عليه من تلاميذ المصنف»[1].

ومن آثاره العلمية الأُخرى:

١ ـ تعليقته على الرسائل لاستاذه الأنصاري.

٢ ـ تعليقته على المكاسب لاستاذه الأنصاري.

٣ ـ مجموعة من المقالات والرسائل الفقهية في شتى ابواب الفقه[2].

وفاته:

توفي في (٢٠ / ذي الحجة / ١٣٢٩ هـ) بعد ان عاش عمرا حافلاً بالمآثر العلمية والجهادية فقد كان ليلة وفاته عازما على الرحيل إلى ايران ليردّ عادية الأعداء عنها، ويحارب الإستعمارين الشرقي والغربي اللذين تكالبا عليها، تغمده اللّه برحمته الواسعة.

وأما عن سبب وفاته فإن السيّد الأمين في أعيانه يقول: «توفي فجأة فجر الثلاثاء»، ولم يشر إلى سبب معين لوفاته، كذلك يقول الشيخ الطهراني، إلّا أن الدكتور علي الوردي ينقل عن مجلة العلم النجفية في عددها السابع للسنة الثانية (ص ١٢٤): «انه بعد وفاة الشيخ كاظم الخراساني استدعي إليه طبيب الحكومة، وقد قرر هذا بعد

---

(١) الذريعة: ٦ / ١٣٥.

(٢) انظر: مجلة فقه اهل البيت: العدد ١٧ / ١٨٥.

فحصه انه مات بالسكتة القلبية. ولكن الناس لم يصدقوا ذلك وأخذت الاشاعات تروج بينهم في أنه مات مسموما بأيدي الجواسيس، وانتشرت بينهم قصّة مفادها أن رجلاً كان قد اهدى إليه قبيل وفاته تفاحة صفراء وهي التي جرت عليه البلاء»[1]

(١) أُنظر: الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٩ / ٥، والطهراني، طبقات أعلام الشيعة نقباء البشر: ٥ / ٦٦، والدكتور علي الوردي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث: ٣ / ١٢٤.

المبحث السادس: تلامذة الشيخ الآخوند ودورهم في حوزة النجف

١ ـ آية اللّه الشيخ محمد حسين الاصفهاني المعروف بـ (الكمپاني / ١٢٩٦ ـ ١٣٦١ هـ).

ويعتبر الشيخ الاصفهاني من ابرز علماء هذه الدورة ومن اوتادها العلمية وجهابذتها، تتلمذ على الشيخ الآخوند الخراساني واختص به، وامتدت صحبته له لفترة قاربت ثلاثة عشر عاما، كما انه حضر دروس الفلسفة عند العلامة الشيخ محمد باقر الاصطبهاناتي والذي كان يعد من كبار الفلاسفة في عصره.

منزلته العلمية:

يصف لنا الشيخ المظفر منزلة استاذه الاصفهاني العلمية بقوله:

«كان من زمرة النوابغ القلائل الذين يضنُّ بهم الزمان الا في الفترات المتقطعة، ومن اولئك المجددين للمذهب الذين يبعث اللّه تعالى واحدا منهم في كل قرن، ومن تلك الشخصيات اللامعة في تاريخ قرون علمي الفقه والأُصول»[١].

وقد كان الشيخ الاصفهاني محط إكبار العظماء في عصره كما يظهر من كلمة السيّد الصدر في اجازته له[٢]، وقد جمع هذا الشيخ الجليل من المواهب الكريمة المتعددة ما قل نظيره في اقرانه واحتمل مكانة مرموقة ومنزلة عظيمة، فكان نابغة الدهر وفيلسوف الزمن وفقيه الأُمة، بالاضافة إلى صلاته بالادب العربي والفارسي، حيث

---

(١) الاصفهاني ـ نهاية الدراية، المقدمة التحقيقية لمؤسسة آل البيت: ١١، قم.

(٢) المصدر نفسه.

ابقى لنا آثارا دلّت على تمكنه من هذه الصناعة[1].

آثاره العلمية:

ومما لا شك فيه ولا ترديد ان الشيخ الاصفهاني‏ كان متخصصا ومتبحرا في أكثر من علم سواء في التفسير او الفقه او الأُصول او الحكمة والعرفان والكلام والتاريخ والأدب والشعر... مما يقل نظيره بين العلماء[2].

اعتلى كرسي التدريس والافادة بعد وفاة استاذه الآخوند، واستطاع ان يشيد مباني أُصولية محكمة وبعبارات دقيقة وخلف من الآثار العلمية والمباحث العالية، جملة متعددة من الكتب القيمة الدالة على علو منزلته العلمية، من اهمها:

١ ـ «نهاية الدراية في شرح الكفاية» وهو شرح وحاشية على كتاباستاذه الآخوند كفاية الأُصول ويعتبر كتاب النهاية من اهم كتب الشيخ الاصفهاني العلمية ويشتمل على تحقيقات أُصولية عميقة.

٢ ـ تعليقة على كتاب «المكاسب» للشيخ الأنصاري.

٣ ـ جملة من البحوث العلمية الفقهية في مباحث الاجتهاد والتقليد والعدالة وغيرها.

توفي‏ في فجر اليوم الخامس عشر من ذي الحجة عام (١٣٦١ م) تغمده اللّه برحمته[3].

---

(١) للتوسع انظر موسوعة شعراء الغري ـ للخاقاني: ٨ / ١٨٦ ـ ١٨٩، ط. افست مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٨ هـ.

(٢) الجناتي ـ ادوار فقه: ٤٠١، بالفارسية.

(٣) للتوسع انظر: ترجمة المصنف في مقدمة تعليقته على المكاسب بقلم الشيخ المظفر.

٢ـ آية الله الشيخ ضياء الدين العراقي (ت ١٣٦١ هـ)

يعتبر الشيخ آقا ضياء العراقي، من علماء هذه الدورة المبرزين، وامتدادا لطريقة الشيخ الأنصاري وخاصة في البحث الأُصولي عن العناصر المشتركة، في عملية الاستنباط الفقهي.

هاجر ﵀ إلى النجف الأشرف لإكمال دراسته الفقهية والأُصولية، بعد ان اكمل المقدمات عند والده والسطوح عند جملة من علماء اصفهان... فحضر فيها على كبار شيوخها وفقهائها واساتذتها، فحضر بحث السيّد محمد الفشاركي الاصفهاني، ثم حضر درس الميرزا حسين الخليلي، والآخوند الخراساني، والسيّد اليزدي، وشيخ الشريعة الاصفهاني.

ولقد لمع اسمه في فضلاء عصره في بحث المحقق الخراساني.

يقول الشيخ آقا بزرگ الطهراني ـ وهو من زملائه يومئذ في درس الآخوند: ـ «ولا أزال اتذكر جيدا أنه كان من اجلاء تلامذة شيخنا الخراساني وكبارهم، ومن مدرسي السطوح المعروفين»[(١)].

وتصدى لتدريس السطوح العليا وخارج الفقه والأُصول ستين سنة، واشتغل في التدريس على منبر الدراسات العليا (بحث الخارج) اكثر من ثلاثين سنة بعد وفاة استاذه الشيخ محمد كاظم الخراساني ـ المعروف بالآخوند ـ (ت ١٣٢٩ هـ).

وكان مجلس درسه حافلاً بفضلاء عصره، لما به من دقّة الرأي، وعمق النظر، وسداد التفكير، وسلاسة الذوق الفقهي، والإحاطة بكلمات الفقهاء، والفهم والمنهجية

---

(١) الطهراني آقا بزرك، نقباء البشر: ٩٥٧، نقلاً عن مقدمة «مقالات الأُصول» بقلم الشيخ الآصفي: ١٩.

في البحث[1].

تخرّج على يده أَكثر من ثلاثة آلاف من الفقهاء والمجتهدين ومراهقي الاجتهاد والفضلاء.. ومن أبرز تلاميذه الذين تخرجوا من مجلس درسه وبرزوا في الاوساط الدينية والسياسية والفقهية والتدريس والتأليف والتحقيق:

السيّد عبد الهادي الشيرازي، والسيّد محسن الحكيم، والسيّد ابو القاسم الخوئي، والشيخ محمد تقي الآملي، والشيخ محمد تقي البروجردي، والشيخ حسين الحلي، والسيّد ميرزا حسين البجنوردي... وغيرهم من فقهاء العصر، وقد تولّى جمع منهم مرجعّية الطائفة وزعامتها في عصره.

درّس الأُصول عدة دورات، ودرّس الفقه دورة كاملة تقريبا، وقليل من الفقهاء من تمكّن من تدريس الفقه دورة كاملة.

كان من مراجع عصره ورجع إليه جمع من المؤمنين في تقليدهم، وقد علّق على رسالة الشيخ عبد اللّه المازندرانيالعلمية، ولكنه بقي بعيدا عن أجواء الزعامة الدينية، وآثر ان يتفرغ للعلم والتحقيق، وقد آتاه اللّه ما يريد وفتح عليه فتوحا جليلة في الفقه والأُصول واستمر في التدريس إلى آخر عمره الشريف تغمده اللّه برحمته[2].

آثاره العلمية:

ضاع ـ مع الأسف ـ جملة من آثار المحقق العراقي، وأهم ما بقي منها في أيدينا[3]:

---

(١) العراقي ـ ضياء الدين، مقالات الأُصول ـ المقدمة: ١٩، تحقيق: محسن العراقي، ومنذر الحكيم، ط. مجمع الفكر الاسلامي، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨ هـ.

(٢) المصدر نفسه: ١٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣.

كتاب «مقالات الأُصول في جزئين»، وهو الكتاب الذي يجمع آخر ما توصّلت إليه المدرسة العراقية (النجفية) في التفكير الأُصولي، ويعدّ من أهم مصادر الفكر الأُصولي المعاصر...»[1].

---

(١) العراقي ـ ضياء الدين، مقالات الأُصول ـ المقدمة: ١٢.

المبحث السابع: آية الله العظمى الشيخ محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ) ودوره في حوزة النجف الأشرف

يعتبر الشيخ النائيني (رضوان اللّه عليه) من أبرز اعلام هذه الدورة المباركة، ومن أساطينها العظماء، وهو مجتهد خالد الذكر ومن أعاظم علماء الشيعة وأكابر المحققين.

هاجر إلى العراق بعد أن أكمل المراحل الأولية والسطوح في مسقط رأسه نائين وإصفهان سنة (١٣٠٣ هـ) وحل في مدينة سامراء، حيث كانت مهد العلم والعلماء في زمن المجدد الشيرازي، وحضر دروس السيّد إسماعيل الصدر، والسيّد محمد الفشاركي، ثم اخذ بالحضور في بحث المجدد الشيرازي، وبقي ملازما لبحثه إلى أن توفي المجدد الشيرازي في (١٣١٢ هـ). ثمّ لازم السيّد إسماعيل الصدر إلى أن انتقل إلى كربلاء سنة (١٣١٤ هـ) بصحبة السيّد الصدر، وبقي معه عدة سنين ثم غادرها وتحول إلى النجف.

وكان الشيخ محمد كاظم الخراساني (الآخوند) قد استقل بالتدريس على عهد السيّد المجدد الشيرازي ولما توفي ـ المجدد الشيرازي ـ زادت طلبة الآخوند وعظم شأنه، وأصبحت بين المحقق النائيني والآخوند رابطة أكيدة واختصاص وثيق، حتى صار من اعوانه وانصاره في مهماته الدينية والسياسية، كما صار من أعضاء مجلس الفتيا الذي كان يعقده في داره مع بعض خواص اصحابه للمذاكرة في المسائل المشكلة.

ولم يحضر المحقق النائيني درس الشيخ الآخوند العام لانه كان غنيا عنه وشأنه

ارفع من حضّاره.

واتفق أن حدث أمر نهضة (المشروطة) وتبديل حكومة ايران الاستبدادية إلى الدستورية، وكان زعيم هذه النهضة الشيخ الآخوند الخراساني فوقف النائيني معه والف بالفارسية كتابه الموسوم «تنبيه الامة وتنزيه الملة» وقرضه كل من الخراساني، والشيخ عبد اللّه المازندراني.

ولما توفي الآخوند سنة (١٣٢٩ هـ) حف به جمع من الطلاب، وكان بحثه من الأبحاث الآهلة برجال الفضل، وبعد وفاة شيخ الشريعة الاصفهاني، ارتفع ذكر الشيخ النائيني ورجع إليه الكثير من أهل البلاد البعيدة.

وكان المحقق النائيني (رض)، متورعا تقيا صالحا غير متهالك على حطام الدنيا ولا متفان في الحصول على الرياسة، وكان إذا وقف للصلاة ارتعدت فرائصه وابتلت لحيته من دموع عينيه، وكان له تضلع وبراعة في الآداب اللغوية الفارسية والعربية، ورسوخ في الكلام والفلسفة وتوحّد في الفقه.

اما في علم الأُصول، فأمره عظيم لانه احاط بكلياته، ودققه تدقيقا مدهشا، وأتقنه، إتقانا غريبا، وقد رن الفضاء باقواله ونظرياته العميقة، كما انطبعت افكار أكثر المعاصرين بطابع خاص من آرائه، حتى عدّ مجددا في هذا العلم كما عدت نظرياته مماثلة لنظريات الشيخ الخراساني صاحب الكفاية[1].

وكان لبحثه ميزة خاصة لدقة مسلكه وغموض تحقيقاته، فلا يحضره إلّا ذوو الكفاءة من اهل النظر والتحقيق، ولذلك كان تلامذته المختصون به هم الذين تعلق عليهم الآمال، وهكذا كان، فقد برز فيهم افذاذا أصبحوا فيما بعد قادة الحركة العلمية

---

(١) الطهراني آقا بزرك، نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ٥٩٣ ـ ٥٩٥ بتصرف وتلخيص.

والفكرية، والمدرسين المشاهير ناهيك بمثل السيّد ابي القاسم الخوني، والشيخ حسين الحلي، والسيّد حسن البجنوردي، والميرزا باقر الزنجاني وآخرين ممن اصبحوا فيما بعد من أعمدة واساطين الحوزة العلمية[1].

تراثه العلمي:

ترك الشيخ النائيني تراثا علميا اما بقلمه الشريف كرسالة «حكم اللباس المشكوك» او بقلم تلامذته، فان اكثر افكاره في الفقه والأُصول دوّنت بقلم لفيف منهم ومن اهم تلك الآثار:

١ ـ فوائد الأُصول بقلم الشيخ محمد علي الكاظمي (ت ١٣٦٥ هـ) في اربعة اجزاء.

٢ ـ اجود التقريرات بقلم المرجع الديني الاعلى السيّد الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) في جزءين.

ونشرت مؤخرا موسوعة في علم الأُصول تتضمن حواشي أُصولية على الكتابين بقلم الشيخ حسين الحلي.

---

(١) السبحاني ـ جعفر، موسوعة طبقات الفقهاء: ٤٤٥.

المبحث الثامن: تلامذة الميرزا النائيني ودورهم في حوزة النجف الأشرف

١ ـ السيّد محسن الحكيم الطباطبائي (ت ١٣٩٠ هـ / ١٩٧٠ م)

كان المرجع الديني الكبير لتقليد الشيعة الامامية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري، اشتغل بالتدريس واهتم بالتأليف والتصدي لشؤون الفتيا على نطاق واسع، وذاع صيته واشتهر اسمه في ارجاء العالم الاسلامي لأكثر من عقدين من الزمن.

ولد في النجف الأشرف سنة (١٣٠٦ هـ)، وبعد وفاة والده تولى تربيته العلمية ونشأته الدينية اخوه الاكبر السيّد محمود الحكيم، وقد درس عند اخيه مقدمات العلوم الاسلامية والفقه والأُصول حتى كتاب «القوانين» للميرزا القمي، ثم تلقى بقية دروسه في المراحل العالية عند مشايخ واساتذة الحوزة العلمية في النجف. وفي مرحلة درس الخارج ـ البحوث العلمية العالية ـ حضر دروس وابحاث المولى محمد كاظم الخراساني ـ الآخوند ـ والشيخ ضياء الدين العراقي، والميرزا النائيني.

له مواقف جهادية مشهودة إلى جانب السيّد محمد سعيد الحبوبي، ضد الاحتلال البريطاني، وبعد وفاة السيّد أبي الحسن الاصفهاني والسيّد البروجردي، اصبح المرجع الديني الأعلى للطائفة الشيعية.

آثاره العلمية:

ترك لنا السيّد الحكيم ﷺ آثارا علمية قيمة أهمها:

١ ـ مستمسك العروة الوثقى: وهو من افضل واشهر الشروح الفقهية على كتاب

«العروة الوثقى» للسيد اليزدي، ويتألف من أربعة عشر مجلّدا، وطبع عدة مرات.

٢ ـ كتاب «حقائق الأُصول» وهو تعليقة وشرح مزجي على كتاب كفاية الأُصول.

٣ ـ تعليقات فقهية على ملحقات «العروة الوثقى» وعلى مكاسب الشيخ الأنصاري. كذلك له تعليقة على مناسك الشيخ الأنصاري بعنوان «دليل الناسك».

٤ ـ كتاب «منهاج الناسكين في اعمال الحج».

٥ ـ رسالة منهاج الصالحين وهي رسالته العلمية الفتوائية في جزئين.

وفاته:

توفي في بغداد في يوم الثلاثاء (٢٧ / ربيع الاول / ١٣٩٠ هـ). وكان قد نقل اليها للعلاج، وحمل جثمانه إلى النجف الاشرف، بعد ان شيع تشييعا مهيبا حافلاً، ودفن في مقبرته الخاصة بجنب مكتبته العامة في الجامع الهندي، وهو أكبر جوامع النجف، وأقيمت مجالس الفاتحة في ارجاء العالم الاسلامي على روحه الطاهرة[١].

٢ ـ السيّد ابو القاسم الخوئي

هو السيّد الفقيه الكبير والأُصولي البارع، السيّد ابو القاسم ابن السيّد علي أكبر ابن هاشم الموسوي الخوئي. ولد في مدينة (خوي) إحدى المدن الإيرانية، هاجر والده إلى النجف الأشرف سنة (١٣٢٨ هـ) والتحق به سنة (١٣٣٠ هـ)، فقرأ المقدمات والسطوح العالية عند اساتذة الفن حتى حضر بحث الشيخ المحقق شيخ الشريعة الاصفهاني عام (١٣٣٨ هـ). ولما التحق شيخ الشريعة بربه عام (١٣٣٩ هـ) اختص بشيخيه الجليلين:

---

(١) الشاهرودي ـ نور الدين، المرجعية الدينية: ١٤٥.

١ـ الشيخ محمد حسين النائيني.

٢ـ الشيخ محمد حسين الإصفهاني.

فقد عكف على دروسهما، وكتب شيئا كثيرا منهما، حتى اصبح أُستاذا بارزا يشار إليه بالبنان في الفقه والأُصول، واكتظت دروسه برواد العلم والمعرفة، واصبح مرجعا دينيا وزعيما دينيا للطائفة الشيعية بعد رحيل السيّد محسن الحكيم.

آثاره العلمية:

لقد كان السيّد الخوئي صاحب مدرسة في الفقه والأُصول، وقد انتشرت عنه تقريرات ومحاضرات كثيرة لم ينشر عن احد قبله، وهذا ان دل على شيء فانما يدل على انه كان أُستاذا مربيا للجيل حنونا، عطوفا على التلاميذ يرعاهم ويرشدهم إلى معالم العلم، ويذاكرهم ولا يمل من ذلك.

ومن أهم ما نشر بقلمه الشريف:

١ ـ أجود التقريرات في جزئين. دورة أُصولية تقريرا لمحاضرات استاذه النائيني.

٢ ـ رسالة في اللباس المشكوك نشر (١٣٦١ هـ) وهي مفعمة بالتحقيق العلمي الدقيق.

٣ ـ البيان في تفسير القرآن وهو يشتمل على مقدمة في علوم القرآن، مع تفسير الفاتحة، ويعد هذا الكتاب من اهم مصادر البحث في علوم القرآن الكريم.

٤ ـ مُعجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرُّواة.

اما ما نشر من آثار علمية للسيد الخوئي بقلم تلامذته فأهمها:

١ ـ التنقيح في شرح العروة الوثقى في أكثر من سبعة اجزاء بقلم الميرزا الغروي.

٢ ـ المستند والمعتمد في شرح العروة الوثقى في اكثر من عشرين جزءً بقلم

الشيخ مرتضى البروجردي والسيّد محمد رضا الخلخالي، وغيرهم.

٣ ـ مصباح الفقاهة شرح على مكاسب الشيخ الأنصاري بقلم الشيخ التوحيدي.

٤ ـ الواضح في شرح العروة الوثقى، أضواء وآراء على بحوث سيّد الطائفة السيّد الخوئي، تأليف الشيخ محمد الجواهري.

٥ ـ مصباح الأُصول بقلم السيّد محمد سرور الواعظ، والمحاضرات في أُصول الفقه بقلم الشيخ محمد إسحاق الفياض... وغيرهما[١].

توفي عام (١٤١٣ هـ) ودفن في مقبرة قريبة على مدخل جامع الخضراء من الصحن الحيدري في مدينة النجف الأشرف رضوان اللّه تعالى عليه[٢].

---

(١) تجد سيرة السيّد الخوئي بقلمه في كتابه: معجم رجال الحديث: ٢٣ / ٢٠ ـ ٢٥ برقم ١٤٧٢٧ مع قائمة مفصلة باسماء كتبه الفقهيه والأُصولية وغيرها.

(٢) الغروي ـ محمد، مع علماء النجف الأشرف: ٢ / ٥٧١.

المبحث التاسع: تلامذة السيّد الخوئي

يعتبر السيّد الخوئي أُستاذ العلماء والفقهاء بلا منازع، وظاهرة علمية فريدة في تاريخ الحوزة العلمية في النجف الأشرف، بل في تاريخ الحوزات العلمية الشيعية على امتداد العالم الإسلامي.

حيث مارس التدريس العالي لأكثر من نصف قرن من الزمن، وتسنَّم زعامة المرجعية الدينية العليا قرابة ربع قرن من الزمن، وتخرّج من محفل درسه آلاف العلماء والفضلاء، برز من بينهم كَثرة من المجتهدين والمراجع.

وتلامذة السيّد الخوئي من الكثرة بمكان يتجاوز حد الاحصاء والتعداد، فهم أجيال متعاقبة ممن امتد بهم الزمن وتعذر فيهم الاحصاء.

يقول آية اللّه السيّد علي السيستاني ـ والذي يعدُّ من أبرز تلامذة السيّد الخوئي، وممن تسنّم زمام المرجعية من بعده ـ عن أُستاذه السيّد الخوئي: «... وقد نذر نفسه لخدمة العلم وكان همّه التحقيق والتدقيق والبحث والتدريس، وقد رافقه التوفيق وأعانته المشيئة الإلهية، فربّى أجيالاً من العلماء والفضلاء الذين التفوا حول منبره الشريف، ونهلوا من عذب فراته طوال عقود من الزمن»[1].

ويقول باحث آخر: «... لم يصادف في تاريخ مذهب أهل البيت على مرّ العصور، أن كان مثل هذا العدد الوافر من المرشدين يخرج من مرجع ديني واحد غير شيخ الطائفة أبي جعفر الطوسي، وزعيم الحوزة العلمية أبي القاسم الموسوي الخوئي قدّس سرهما»[2].

---

(١) الصغير، محمد حسين، أساطين المرجعية: ٢٩٤ وانظر مجلة الموسم / العدد ١٧ لسنة ١٤١٤ هـ.

(٢) المرجع نفسه: ٢٩٤ و ٣٣١ ـ ٣٣٥.

ومما يؤسف له أن كثيرا من تلامذة السيّد الخوئي «ممن لا يعرفهم الجيل المعاصر، وهنالك المئات ممّن لا يعرف أسماءهم أحد.. يقول أحد العلماء: في أواخر الستينات من القرن العشرين أ نّه أحصى ألفي إمام جماعة في العالم الإسلامي من تلامذة الإمام الخوئي، ومعنى هذا أنّ طلّاب السيّد الخوئي آنذاك قد تجاوزوا هذا العدد أضعافا مضاعفة...»[1].

وبعد وفاة السيّد الخوئي أصدر أحد الباحثين معجم ببيلوغرافي لتلامذة السيّد الخوئي أحصاهم فيه بـ (٦١٧) تلميذا مما تمكن من ذكره ونشره، وهنالك جملة من الملاحظات على هذا المعجم سجلها الدكتور محمد حسين الصغير ومن أهمها اغفال الباحث لأسماء بعض تلامذة السيّد من الفضلاء والمراجع والمجتهدين، مما استدعى أن يستدرك عليه بأسماء جملة من الأعلام ممن فاته ذكرهم...[2].

من أبرز تلامذة السيّد الخوئي المراجع:

لا يمكن لنا أن نتوقف عند كلّ تلامذة السيّد الخوئي، ولا عند النابغين منهم، بل ولا عند كل من بلغ درجة الاجتهاد والمرجعية لتعذر ذلك كما أسلفنا، إلّا أننا نشير إشارة عابرة إلى عدد من المجتهدين المراجع من تلامذته ممّن تسنّموا منصب المرجعية العليا في حياته أو من بعد وفاته، منهم:

١ ـ آية اللّه السيّد علي الحسيني السيستاني.

٢ ـ آية اللّه الشيخ محمد إسحاق الفياض.

٣ ـ آية اللّه الشيخ بشير حسين النجفي.

---

(١) الصغير، محمد حسين، أساطين المرجعية: ٢٩٢.

(٢) المرجع نفسه: ٢٩٢ و٣٣١ ـ ٣٣٥.

وهؤلاء الثلاثة حفظهم اللّه من أهم مراجع الدين في النجف الأشرف في الوقت الحاضر؛ وخاصة السيّد السيستاني حفظه اللّه الذي ألقت له المرجعية العليا أزمتها فتسنّمها بجدارة وقوة وبصيرة ودراية عالية، رغم كل الظروف الصعبة التي مرت على العراق والحوزة العلمية.

٤ ـ آية اللّه السيّد محمد باقر الصدر﵀ (استشهد سنة ١٩٨٠ م ـ ١٤٠٠ هـ).

ويعتبر السيّد الشهيد السعيد آية اللّه محمد باقر الصدر﵀ من أبرز تلامذة السيّد الخوئي ومن نوابغ الحوزة العلمية، بل من عباقرة العالم الإسلامي، ومن المفكرين النوادر في دنيا البشرية.

تسنَّم زمام المرجعية في حياة أُستاذه السيّد الخوئي وامتدت مرجعيته لتشمل رقعة واسعة من العالم الإسلامي، ورجع إليه جمع كثير من المؤمنين ينهلون من علمه وفكره وفقهه.

ولئن تعذر علينا الوقوف عند تلامذة السيّد الخوئي وخاصة المراجع الأحياء منهم، فلابد لنا من وقفة قصيرة عند البعد العلمي في شخصية الشهيد محمد باقر الصدر﵀ وفاءً لهذا العلم الذي أرخص نفسه للّه سبحانه، فتوّجه إلى اللّه بتاج الشهادة وبقي ذكره في الخالدين.

البعد العلمي في شخصية الشهيد محمد باقر الصدر:

لقد امتاز السيّد الشهيد الصدر في شخصيته العلمية الفذة بتنوع موسوعي في جميع حقول المعرفة التي خاض غمارها وأبدع فيها، إلى جانب توازن الشخصية والتواضع العلمي واللغة العلمية الموضوعية التي كانت من السمات البارزة في شخصيته وفي كلّ نتاجه العلمي الذي تركه للأُمة من بعده.

والسمة الموضوعية والعلمية والابداعية في فكر الشهيد الصدر نجدها شاخصة في كلّ نتاجه الفقهي والأُصولي والتفسيري والفكري، بل وحتى التاريخي الذي خاض غماره في مقتبل عمره من خلال كتابه (فدك في التاريخ).

وعندما نعود إلى تراثه الفقهي المتمثل في تعليقته على رسالة منهاج الصالحين وشرحه على كتاب العروة الوثقى، ورسالته العملية في قسمها الأول «الفتاوى الواضحة» وبعض الأبحاث الفقهية الأُخرى التي كتبها في محضر درسه بعض النابغين من تلامذته....

نلاحظ الدقة والاحاطة والشمولية والمنهج العلمي على مستوى المضمون والشكل، وهذه من السمات البارزة في كلّ تراث السيّد الشهيد العلمي، حيث كان يشير إلى منهجه في بداية كتابه ثمّ يسير على هذا المنهج ولا يغفل عنه في ثنايا البحث.

وأهم ما يميز منهج السيّد الشهيد في المجال الفقهي هو العمق العلمي الفقهي من جهة، مع الوفاء لروح المعاصرة ومعالجة الاشكاليات الحديثة من جهة ثانية، بالاضافة إلى مفردات اللغة وتركيبها والأُسلوب الأدبي الذي ينسجم مع لغة العصر ويلبي حاجة الجمهور المتدين من جهة ثالثة، وهذا ما نلاحظه بوضوح من خلال كتابه الفقهي الفتواني الموسوم بـ «الفتاوى الواضحة» الذي اشتمل على خلاصة آرائه الفقهية، حيث نجد تطورا كبيرا في المنهج على مستوى الشكل والمضمون مقارنة بالرسائل العملية التي انتشرت في القرون الهجرية الأخيرة وبشكل واسع وملحوظ[1].

ولم تقتصر هذه الخصائص العلمية على التراث الفقهي للشهيد الصدر وإنما

---

(١) الحسيني، محمد: المنهج الفقهي عند الشهيد الصدر: ١١٦ ـ ١٢٠.

يشمل كل نتاجه الفكري.

ولا يخفى الدور الريادي للسيّد الشهيد الصدر في الاجابة على تحديات العصر، وما تواجهه الأُمة الإسلامية من اشكاليات حديثة، فتأتي مؤلفاته القيّمة «اقتصادنا، والبنك اللاربوي في الإسلام، والإسلام يقود الحياة، والأُسس المنطقية للاستقراء، وفلسفتنا...» لتعالج تلك المشاكل، ولتجيب على تلك الاشكالات وغيرها وبروح علمية موضوعية فذّة.

أما في مجال علم الأُصول فيقول أحد تلامذته: «نستطيع أن نعتبر المرحلة التي وصل إليها مستوى البحث الأُصولي على يد الأُستاذ، عصرا رابعا من أعصر العلم وتطوراته التي مرّ بها على يد أُستاذنا الشهيد بعصر جديد، فلو أضفنا إلى الأعصر التي قسم إليها فترات العلم في المعالم الجديدة لكان هذا العصر عصرا رابعا هو عصر ذروة الكمال، ترى فيه من الأبحاث القيّمة والجواهر الثمينة والدرر المضيئة ما يبهر العقول، وهي تشتمل على مباحث فريدة في نوعها، وفيها ما تكون تارة جديدة على الفكر الأُصولي تماما، أي: أنها لم تبحث من قبل، وأُخرى تكون مغيّرة لما اختاره الأصحاب في أبحاثهم السابقة ببرهان قاطع وأُسلوب فائق، وثالثة تكون معدّلة لنفس ما اختاره الأصحاب ومصلحة له ببيان لم يسبق له نظير»[1]. ثمّ ذكر شواهد لذلك مما لا يسع المجال لذكرها.

هذا وقد ترك لنا السيّد الشهيد من تراثه الأُصولي كتابه التدريسي (دروس في علم الأُصول) والذي يعرف بـ (الحلقات) وهو متن دراسي لطلّاب السطوح العالية في علم

---

(١) الحائري، كاظم، مباحث الأُصول الجزء الأول من القسم الثاني، المقدمة: ٥٨ ـ ٥٩، وللتوسع في معالم وخصائص المنهج عند السيّد الشهيد الصدر، انظر: مقدمة السيّد الهاشمي للطبعة الثانية لكتاب بحوث في علم الأُصول.

الأُصول، بالاضافة إلى كتاب (نهاية الفكر) و (المعالم الجديدة للأُصول) ودوّن بعض طلّابه النابغين تقريرات درسه الأُصولية، وبين أيدينا ثلاث دورات أُصولية، بالاضافة إلى بعض المباحث الأُصولية التي دونها بعض تلامذته الآخرين.

وهنالك أبحاث أُخرى للسيّد الشهيد تناولت مجال التفسير، والتاريخ، والأخلاق... «وجميع أبحاثه ـ رضوان اللّه عليه ـ ترى فيها إضافة إلى الدقّة والعمق مع السعة والشمول، منهجيّة فنية رائعة في طريقة العرض»[1].

أما الجهاد السياسي في حياة السيّد الشهيد الصدر والذي توجّه بالشهادة في سبيل اللّه، بعد مقارعته اعتى الظالمين في عصره، فهذا مما لا يمكن الخوض في عبابه ولا نستطيع أن نعطيه حقّه اللازم من خلال أسطر أو صفحات بل وحتى من خلال مؤلف مستقل.

فسلام اللّه عليه يوم ولد ويوم استشهد ويوم يبعث حيا.

---

(١) الحائري، كاظم، مباحث الأُصول الجزء الأول من القسم الثاني، المقدمة: ٦٦ وانظر قائمة بمؤلفات السيّد الشهيد في المرجع نفسه: ٧٠ وما بعدها. كذلك مقدّمة الحلقة الأُولى من طبعة مؤسسة الفكر الإسلامي بقلم: علي أكبر الحائري.

الخاتمة: من معطيات حوزة النجف الأشرف وأدوارها الثلاثة

لقد كان لحوزة النجف الأشرف في أدوارها المتعددة جملة من المعطيات والنتائج المهمة سواءا على مستوى الهيئة العلمية العليا، أو على مستوى العلوم والمعارف التي تعمقت وتوسعت بشكل واضح، أو على المستوى النظام المالي ورواتب الطلّاب، بالاضافة إلى ظهور أماكن للتعليم جديدة عرفت بالمدارس الدينية، ومناهج وطرق للتعليم تعرف بالمراحل الثلاث.

ولم تكن هذه الحوزة بعيدة عن الحياة السياسية وقضايا الأُمة الإسلامية الكبرى والتي ظهرت بشكل واضح خلال حقب زمانية متعددة وتحت مسميات متعددة، إذ نلاحظ أن الحوزة العلمية ومن خلال رموزها الشاخصة قد تفاعلت معها، وكان لها مواقفها الواضحة منها.

بالاضافة إلى هذا كلّه نلاحظ ظهور حركة اصلاحية في داخل الحوزة له أعلامها وروادها في الوسط الحوزوي، تدعو إلى التغيير والإصلاح في المناهج وطرق التعليم...

كلّ هذه الأُمور، وغيرها تشكل منظومة معطيات لهذه الحوزة المباركة، لابد من التوقف عند بعض مفرداتها، وباختصار شديد:

١ ـ ظهور المرجعية الدينية

لم تكن ظاهرة وجود المرجعية الدينية من الظواهر الطارئة على الفكر الشيعي الإمامي، كما أنها لم تكن من ابتكارات حوزة النجف الأشرف، وإنما هي ظاهرة لها جذورها التاريخية التي تعود إلى أواخر عصر الغيبة الصغرى، إذ أرشد الإمام عليه السلام إلى

مرجعية الفقهاء ـ وضمن مواصفات معينة عرفها بنفسه ـ لهذه الأُمة، وطلب من الأُمة الرجوع إليهم والأخذ منهم لأنهم يمثلون النيابة العامة للإمام في عصر غيبته.

ولهذا نجد لاتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام مرجعيتهم الدينية التي تتجسد في العالم والمجتهد الذي تتوفر فيه مواصفات المرجعية الدينية.

ومن خلال استعراضنا لتاريخ مدرسة أهل البيت العلمية، تعرفنا على الكثير من أُولئك المراجع العظام، وخاصة في الحقبة الأخيرة من تاريخ حوزة بغداد العلمية حيث تجلت بوضوح مرجعية الأقطاب والأعلام الثلاثة المفيد، والمرتضى، والطوسي (رضوان اللّه عليهم).

إلّا أنّ حوزة النجف الأشرف قد شهدت فيها حركة المرجعية الدينية شكلاً آخر؛ أكثر وضوحا، وأدق تنظيما، وأوسع امتدادا في الأُمة، وأكثر تفاعلاً مع الأحداث والمنعطفات المهمة في العالم الإسلامي.

وقد تجلت أهمية النجف الأشرف في العالم الإسلامي من خلال ما يلي:

أولاً: وجود مرقد الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تربتها الطاهرة.

ثانيا: وجود جامعتها الإسلامية الكبرى التي تسهم وبقسط وافر في حفظ التراث الإسلامي ونقله إلى الأجيال المسلمة، وفي مدها المسلمين في مختلف بقاع العالم بالمبلغين والمرشدين.

ثالثا: وجود المرجعية الدينية التي تمثل زعامة المسلمين وقيادتهم والدفاع عن مقدساتهم وحقوقهم.

رابعا: وجود مركزها الثقافي الذي يمثل في مختلف نتاجها العلمي والأدبي...

خامسا: مواقفها السياسية ضد انحراف الحكام والمسؤولين السياسيين، وفي وجه

الاستعمار بمختلف أشكاله..»[1].

وقد تجلت هذه المرجعية بأروع مصاديقها في رجالات العلم والفقاهة في النجف الأشرف، بدءا من أبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، الشهير بـ (شيخ الطائفة)، والذي عُرف بأنه مؤسس جامعة النجف الدينية؛ وسارت هذه المرجعية مرورا برموزها الكبار من الكركي إلى الأردبيلي، إلى السّيد بحر العلوم، وجعفر كاشف الغطاء، إلى صاحب الجواهر ثمّ الأنصاري، فالمجدد الشيرازي، ثمّ الآخوند الخراساني، والسيّد محمد كاظم اليزدي، والشيخ النائيني، والسيّد أبي الحسن الإصفهاني، ووصولاً إلى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والشيخ حسين الحلي، والسيّد عبد الهادي الشيرازي والسيّد محمود الشاهرودي، ثمّ تتوجت هذه المرجعية بالسيّدين العلمين الحكيم السيّد محسن، والخوئي أبي القاسم، ومن بعدهما ـ ولفترة وجيزة ـ جاءت مرجعية السيّد عبد الأعلى السبزواري، ومرجعية السيّد محمد محمد صادق الصدر الشهيد.

وقد أشرنا إلى مرجعية السيّد محمد باقر الصدر، ضمن حديثنا عن تلامذة السيّد أبي القاسم الخوئي.

ويشير أحد الباحثين إلى أن مصطلح المرجع الديني الأعلى، قد استعمل مؤخرا وفي الدور الثالث من أدوار حوزة النجف[2].

وأما أشهر مراجع التقليد الحاليين في حوزة النجف الأشرف فهم:

١ ـ آية اللّه العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظله).

---

(١) الفضلي، دليل النجف: ١٠ ـ ١١.

(٢) شمس الدين ـ محمد مهدي، الاجتهاد والتجديد: ١٤٥.

٢ ـ آية اللّه العظمى السيّد محمد سعيد الحكيم (دام ظله).

٣ ـ آية اللّه العظمى الشيخ إسحاق الفياض (دام ظله).

٤ ـ آية اللّه العظمى الشيخ بشير النجفي (دام ظله).

فأُولئك هم أبرز رموز المرجعية الدينية في النجف الأشرف، وهنالك مراجع دين كبار ممن درسوا في حوزة النجف الأشرف وأصبحوا مراجع في بلدانهم عند عودتهم إليها من أمثال:

١ ـ الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (ت ١٣٥٥ هـ) مؤسس الحوزة العلمية في قم.

٢ ـ والسيّد حسين الطباطبائي البروجردي (ت ١٣٨٠ هـ).

٣ ـ والسيّد شهاب الدين المرعشي النجفي (ت ١٤١١ هـ).

٤ ـ والميرزا جواد التبريزي (ت ١٤٢٧ هـ).

وخلاصة الأمر، إنّ حوزة النجف الأشرف وبفضل أُولئك الأفذاذ من علمائها ومراجعها قد احتلت القمة كجامعة علمية، ومقر المرجعية الدينية العليا، وموقع القيادة الإسلامية الموجهة[1].

٢ ـ بروز ظاهرة الرسائل العملية للفقهاء المراجع

ومع ظهور المرجعية وتوسع نطاقها بشكل ملحوظ برزت الرسائل العملية للفقهاء المراجع ليرجع إليها المسلمون في أعمالهم الدينية والدنيوية، حيث تحتوي الرسالة العملية على الأنظار الفقهية للمرجع الديني، وبصورة مختصرة دون التطرق إلى الوجوه الاستدلالية للمسائل.

---

(١) الفضلي، دليل النجف: ٤٤.

والرسائل العملية تمثل حلقة الوصل بين المرجع وبين مقلديه الذين لا يتمكنون من الوصول إليه وأخذ الحكم الشرعي منه مباشرة.

واتسع نطاق ظهور هذه الرسائل في الدور الثالث من أدوار الحوزة العلمية في النجف بعد اتساع نطاق المرجعية الدينية فيها، وأخذت هذه الرسائل مسميات متعددة مثل: منهاج الصالحين، والمسائل المنتخبة، ووسيلة النجاة، وهي على نمط واحد من حيث الصياغة والمحتوى وإن اختلفت في بعض جزئيات المسائل.

ولعل رسالة السيّد الشهيد محمد باقر الصدر﵁ (الفتاوى الواضحة) من أحدث هذه الرسائل من حيث التسمية والتبويب والوضوح والمحتوى.

٣ ـ العلوم والمعارف التي تعمقت وتوسعت في حوزة النجف الأشرف

تعتبر حوزة النجف الأشرف وفي أدوارها الثلاثة الوريث العلمي لحوزة بغداد العلمية حيث نقل إليها الشيخ الطوسي المؤسس «نتائج خبرته التي أفادها من معاصرته لزعامة شيخه المفيد، وزعامة سيّده المرتضى، ومن تجارب زعامته في بغداد»[١].

لقد كان الشيخ الطوسي موسوعيا في علومه ومعارفة، فنقل إلى النجف تجربته في علم التفسير، وعلم الفقه، وعلم أُصول الفقه، وعلم الحديث، والرجال.. وختمها في صحن أمير المؤمنين علي﵇ بكتاب الأمالي.

ثمّ ورثت النجف تراث مدرسة الحلة ونتاج علمائها، كذلك نتاج امتداد مدرسة الحلة في جبل عامل.

وفي مرحلتها الثالثة ورثت النَجف ـ وبشكل واسع ـ كل نتاج المدارس الفقهية

---

(١) الفضلي، دليل النجف: ١٢٨.

والأُصولية والتفسيرية والكلامية والفلسفية... وأخذت تتوسع وتتعمق في موضوعاتها وأبحاثها.

ولا يمكننا أن نستوعب بالبحث أوجه التوسعة والعمق في هذه العلوم والمعارف بعد أن حوتها مجلدات كثيرة من كتب التراجم والطبقات وعلى رأسها كتاب البحاثة الفذ الشيخ محسن الطهراني الشهير بـ (آقا بزرك) وهما: «الذريعة إلى تصانيف الشيعة» في (٢٦ مجلدا) و «طبقات علماء الشيعة» في (١٥ مجلدا).

ومن العلوم التي اتسعت وتعمقت بشكل ملحوظ في الدور الثالث من أدوار حوزة النجف:

أولاً: علم الفقه:

في حقل الفقه؛ نرى أنه تطور في هذا الدور تطورا محسوسا لما دخله من عنصري البحث والنقد، ولما تحلى به من قابلية النقض والابرام، والتعمق والتحليل،.. فالتجربة العلمية التي عاشتها جامعة النجف في دورها الثالث في حقل الفقه كان لها الأثر الكبير في ابراز عطاء ناضج يدل على سعة في الأُفق، ووفرة في الاطلاع، ولذا وصف ـ هذا الدور ـ بـ (دور التكامل والنضج)[1]، ولا اعتقد أنا بحاجة إلى ذكر نماذج لهذه السعة والشمولية والعمق والدقة في الأبحاث الفقهية إذ بين أيدينا جامع المقاصد للكركي، ومجمع الفائدة والبرهان للأردبيلي، ومفتاح الكرامة لجواد العاملي، وجواهر الكلام لمحمد حسن النجفي، وغيرها الكثير مما هو مطبوع ومنشور.

---

(١) أُنظر كتابنا: تطور حركة الاجتهاد عند الشيعة الإمامية: ٣٦٣ وما بعدها.

ثانيا: علم أُصول الفقه:

وفي هذا المجال وصل هذا العلم إلى أرقى مراحله على يد أساطين هذا العلم والذي تمثل بالشيخ الوحيد البهبهاني وامتداد مدرسته، وتتوج بالفكر العلمي للشيخ الأنصاري، ثمّ بكفاية الآخوند الخراساني، ثمّ اتسع وتعمق ببنان أقطاب هذا العلم من النائيني، وإلى الإصفهاني والعراقي ثمّ السيّد الخوئي والسيّد الصدر.. وبين أيدينا تراث أُصولي ضخم يتسم بسعة المباحث العلمية وعمقها وشمولها.

ثالثا: التفسير وعلوم القرآن:

حيث نجد أن الجهود التفسيرية التي بذلها الشيخ الطوسي في كتابه التفسيري الرائد «التبيان»، قد تواصلت من خلال جهابذة علماء حوزته في النجف الأشرف، فدونت كتب قيمة في مفردات كلمات القرآن وفقه القرآن، وآيات الأحكام، إذ ألف في الأول الشيخ الطريحي كتابه «مجمع البحرين»، وفي الثاني أ لّف الشيخ الجزائري كتابه «آيات الأحكام»، وفي مجال التفسير أ لّف الشيخ أبو الحسن الفتوني النجفي كتابا اسمه «مرآة الأنوار»[1]، كذلك كتب الشيخ البلاغي «آلاء الرحمن» في التفسير.

ومن المراجع العلماء المعاصرين، كتب السيّد أبو القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) كتابه القيِّم «البيان» الذي تضمن مباحث في علوم القرآن وتفسير سورة الفاتحة، وكذلك كتب المرجع السيّد عبد الأعلى السبزواري (ت ١٤١٤ هـ) موسوعته في التفسير «مواهب الرحمن»، بالاضافة إلى المحاولة الرائدة والمبتكرة للسيّد الشهيد محمد باقر الصدر ﷺ في مجال التفسير الموضوعي للقرآن، والذي لم يتم أبحاثه فيه بعد أن عاجله الطغاة فذهب إلى ربه شهيدا.

---

(١) بحر العلوم ـ محمد، الدراسة وتاريخها، موسوعة العتبات: ٧ / ٦٣.

رابعا: علم الرجال والدراية:

فقد توسع هذا العلم في مدرسة النجف الأشرف وتعمقت أبحاثه بشكل ملحوظ، فنجد كتابات الشيخ المامقاني (ت ١٣٥١ هـ) الموسوعية، في (مقباس الهداية في علم الدراية)، وتوّج هذا النتاج بالسيّد أبي القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ) وكتابه الموسوعي (معجم رجال الحديث). بالاضافة إلى ما كتبه شيخنا وأُستاذنا المعاصر باقر الإيرواني (حفظه اللّه) في علم الدراية والرجال كمختصرات ومتون دراسية، لمرحلة السطوح وطلّابها.

خامسا: في العقائد والفلسفة والحكمة..:

وفي مجال المباحث العقائدية وخاصة مبحث الإمامة منها، فقد كتب الشيخ الفتوني العاملي النجفي (ت ١١٣٨ هـ) كتابه الموسوعي (ضياء العالمين) «يقع في ثلاثة أجزاء ضخام، لم يكتب أوسع منه في هذا البحث، توجد نسخة بخطه الكريم في مكتبة آل الجواهري، لا زال مخطوطا»[(١)]. وكتب الشيخ آل ياسين، كتابه في مباحث الإمامة ورد الشبهات عنها والذي سماه (دلائل الصدق) كذلك كتب الشيخ محمد رضا المظفر، كتابيه (أصل الشيعة وأُصولها للشيخ محمد حسن كاشف الغطاء) و (عقائد الإمامية)، بالاضافة إلى ما كتبه الشهيد محمد باقر الصدر في بحث الرسول والمرسل والرسالة، والذي اعتمد فيه على منهج الاستقراء في مباحثه.

وأما في مجال الفلسفة والحكمة، فالنجف الأشرف وحوزتها العلمية لها قدم السبق في هذا المجال، وكان للدرس الفلسفي، حضور فاعل في أَروقة النجف

---

(١) بحر العلوم، الدراسة وتاريخها: ٧ / ٦٣، وقد طبع قسم من الكتاب بعد تحقيقه من قبل مؤسسة آل البيت ـ قم.

ومحافل درسها، وقد أشرنا فيما سبق إلى مدرسة حيدر الآملي في الفلسفة والعرفان، حيث أ لّف ما يصل إلى ثلاثين مؤلفا فيها. ويكفي مدرسة النجف فخرا أن يكون الفيلسوف المتأله السيّد محمد حسين الطباطبائي من خريجي حوزتها. بالاضافة إلى وجود أسماء لامعة في كتب التراجم ممن عاش في النجف ودرس ودرّس في حوزتها الفلسفة والحكمة الإلهية والعرفان من أمثال البادكوبي وغيره[١].

وننوه أيضا إلى كتابات السيّد محمد باقر الصدر الفلسفية والتي منها كتاب الأُسس المنطقية للإستقراء.

وكتاب فلسفتنا «والبحوث الفلسفية المقارنة بين الفلسفة القديمة والفلسفة الجديدة»[٢].

سادسا: ردّ الشبهات وحوار الأديان والمذاهب:

لقد حرصت حوزة النجف الأشرف على حماية حوزة الدين وتعاليم الشريعة الإسلامية، ولهذا كانت ترصد الساحة الفكرية والعقائدية، وما يصدر فيها من نظريات مادية تحاول أن تشوه الدين الإسلامي وتعاليمه، وتبث الشبهات والتشكيكات بين أتباعه. يقول الشيخ محبوبة: «النجف أَخذت على عاتقها القيام بكل عبءٍ.. وأما نظريات الماديين التي أقامت أُوربا وأقعدتها، وكدرت صفو عيشها، فالنجف درستها وأماطت عن غامضها الحجاب، فألفت في نقدها وتاريخها وموافقتها للدين ومخالفتها له عشرات الكتب العربية والفارسية، وقد برز من المؤلفات الحديثة في هذا الشأن كتاب (نقد فلسفة داروين)، للعلّامة الشيخ آقا رضا الإصفهاني (المتوفى في

---

(١) للتوسع أُنظر: الرفاعي ـ عبد الجبار، الدرس الفلسفي في حوزة النجف.

(٢) الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف: ٥٦٤.

إصفهان سنة ١٣٦١ هـ) وهو أحد خريجي تلك الكلية و (الرحلة المدرسية أو المدرسة السيارة) و (الهدى إلى دين المصطفى) و (أنوار الهدى) وغيرها من مؤلفات العلّامة الخبير الشيخ محمد جواد البلاغيﷺ، الذي هو أحد أقطاب تلك العاصمة الكبرى، وقد راجت مؤلفاته في سائر الأقطار، وترجمت جملة منها إلى اللغات الأجنبية، وبعض مؤلفات العلّامة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء، الذي هو أحد زعماء تلك الجامعة العلمية، وفي النجف اليوم كثير من هذه الكتب لم تطبع حتى الآن مثل كتاب الأُستاذ العلّامة الشهير، الكاتب الشيخ عبد الحسين الحلي الذي سماه (دين الفطرة) فإنه من أنفس الكتب تأليفا، وأغزرها مادة، يقع في جزئين، أحدهما في مبادئ الأديان، والآخر في محاسن الشريعة الإسلامية»[1].

كذلك تصدى علماء ومراجع النجف للفرق والأحزاب (البابية) أو البهائية، والشيوعية والبعثية «فقد رفض علماء النجف سنة (١٢٦٠ هـ) استقبال ممثّل البابية محمد بن شبل، والمرأة قُرة العين، ومرافقيه البالغ عددهم نحو خمسين أو ستين رجلاً.. وأصدر بعض العلماء كتبا في الرد عليهم، ككتاب «نصائح الهدى والدين إلى من كان مسلما وصار بابيا» للعلّامة الشيخ محمد جواد البلاغي، حاول فيه إثبات أنّ البابية خرجوا عن كونهم شيعة، وأصدر المرجع الديني الأعلى السيّد محسن الحكيم فتواه الخالدة بأن الشيوعية كفر والحاد»[2]. كذلك أصدر الشهيد الصدر فتواه المعروفة والتي حرّم فيها الانتماء لحزب البعث العفلقي.

---

(١) آل محبوبة ـ جعفر، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ٣٧٨، طبعة دار الأضواء ـ بيروت.

(٢) حرز الدين ـ محمد حسين، تاريخ النجف الأشرف: ١ / ١٠٨ ـ ١٠٩، تحقيق: عبد الرزاق حرز الدين، طبعة الأُولى، قم، ١٤٢٧ هـ

سابعا: الأدب والشعر:

وأما ميدان الشعر والأدب فمجاله أوسع بكثير من العلوم الأُخرى في حوزة النجف الأشرف، ولا يسعنا حتى الاشارة إلى رموزه وأعلامه ويكفي الباحث أن يلقي نظرة على موسوعة الأُستاذ علي الخاقاني الموسوم بـ (شعراء الغري) في (١٢) مجلدا، بالاضافة إلى مستدركاتها، أو موسوعة معجم رجال الفكر والأدب في النجف خلال ألف عام للشيخ هادي الأميني، أو موسوعة (أدب الطف) في (١٠) مجلدات للسيّد جواد شبر، وغيرها من كتب التراجم حيث يجد الكثير من فطاحل الشعر والأدب ومن سكنة هذه المدينة أو من خريجي حوزتها العلمية. «وقد أَحصى المرحوم محمد رضا الشبيبي في عصر السيّد بحر العلوم وحده (ت ١٢١٢ هـ) ما لا يقل عن مائتي شاعر في مدينة صغيرة كالنجف،... ـ وهي ـ ظاهرة ملفتة للنظر، وإذا كان للفصحى هذا العدد من الشعراء، فللغة الدارجة ما يماثله أيضا»[1].

٤ ـ المراحل الدراسية، ومناهجها وطرق التدريس في حوزة النجف الأشرف

قد لا نستطيع أن نحدد وبشكل واضح معالم؛ طرق التعليم في حوزة النجف الأشرف في مرحلتيها الأُولى والثانية، إذ لا تسعفنا المصادر التاريخية بذلك.

إلّا أنّ المرحلة الثالثة من عمر هذه الحوزة المباركة قد تبلور فيها طرق للتعليم ومناهج للدراسة المرحلية، على الطالب أن يجتازها بنجاح وتفوق، للوصول إلى الدرجة العلمية المنشودة، وهي بلوغ درجة الاجتهاد.

---

(١) جمال الدين ـ مصطفى، الديوان، المقدمة: ١٦ ـ ١٧، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، الطبعة الأولى، (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م).

وما بين أيدينا من مصادر مراجع علمية لا تنص على من وضع هذه المناهج الدراسية، ولا الأُسس التي استند إليها في هذا التقسيم المرحلي، ولا توجد كذلك اشارة إلى تاريخ هذا التقسيم المرحلي للدراسة، إلّا أنّ من المسلم به، أن هذا التقسيم ظهر في المرحلة الثالثة من مراحل الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وتأثرت بها الحوزات العلمية الأُخرى اللاحقة لها فأخذت بهذا المنهج، وطبقته على التقسيم المرحلي المتبع في حوزة النجف الأشرف، وبعض الحوزات الحديثة قد أجرت تعديلات كثيرة عليه كما سوف يأتينا لاحقا.

ومهما يكن من أمر، فإنّ الدراسة في حوزة النجف الأشرف تمرُّ بمراحل ثلاث هي:

أولاً: الدراسات التمهيدية، وتعرف بمرحلة (المقدمات).

ثانيا: الدراسات الوسطى، وتعرف بمرحلة (السطوح).

ثالثا: الدراسات العليا، وتعرف بمرحلة (بحث الخارج).

والذي يبدو من بعض الباحثين، أن هذه المصطلحات (المقدمات، السطوح، الخارج) «من مصطلحات الجامعة النجفية، ويراد ـ بالمقدمات ـ الدروس الأولية للجامعة النجفية كالنحو والصرف والبلاغة، والمنطق، ويقصد بمصطلح السطوح: الدراسة التي تشمل متن الكتب الاستدلالية الفقهية والأُصولية. كما أن المقصود من مصطلح (الخارج) الدروس التي يتلقاها الطلّاب في المرحلة الثالثة، وأنها خارج نطاق الكتب، يحضر فيها الأُستاذ، ويستمع الطالب دون كتاب»[1].

«وللمرحلتين الأُولى والثانية كتبها المعتمدة، وطريقة التدريس فيهما متشابهة، وأما مرحلة البحث الخارج فإن طريقة التدريس فيها تعتمد على محاضرات الأُستاذ حيث يملي بحثه على طلّابه، وينهيه بالاجابة على أسئلتهم ان وجدت»[2].

---

(١) بحر العلوم ـ محمد، الدراسة وتاريخها في النجف، موسوعة العتبات: ٧ / ٩٢.

(٢) الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف: ٨٨.

*** الكتب والمتون الدراسية المعتمدة:**

أ ـ مرحلة المقدّمات:

يدرس الطالب المبتديء عادة الكتب التي تحتوي على العلوم المساعدة لتخصصه مستقبلاً في مجالي الفقه والأُصول، كالصرف، والنحو، والبلاغة، والمنطق، وبعض المتون الفقهية المجردة عن الاستدلال.

أولاً: النحو والصرف والبلاغة:

والكتب المقررة في مادة النحو والصرف فهي:

١ ـ الآجرومية، لابن آجروم، عبد اللّه بن يوسف.

٢ ـ قطر الندى، لابن هشام الأنصاري.

٣ ـ شروح ألفية ابن مالك، لابن الناظم، أو ابن عقيل، أو شرح السيوطي، أو الأشموني.

٤ ـ جامع المقدمات، وهو كتاب يشتمل على مجموعة من الكتب في النحو والصرف والمنطق، وآداب المتعلمين، و (يعتمده الطلّاب الإيرانيون ـ في حوزة النجف ـ بالاضافة إلى كتاب صرف مير، ولغاية التوسع يتّبعون كتاب السيوطي في العربية وشرح الرضي، والجامي)[1].

٥ ـ مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري.

وأما الكتب المقررة في مادة الصرف فيدرس الطالب المبتدىء كتابا أو كتابين من الكتب التالية:

---

(١) بحر العلوم ـ محمد، الدراسة وتاريخها موسوعة النجف: ٧ / ٩٣.

١ ـ جامع المقدمات.

٢ ـ مراح الأرواح الشهير بـ (المراح) لمحمد بن علي بن مسعود.

٣ ـ شروح شافية ابن الحاجب، (شرح النظام، شرح الرضي، شرح الجابردي)[1].

وأما في البلاغة: وتشمل المعاني والبيان، فكتبها:

١ ـ مختصر المعاني، لمسعود التفتازاني.

٢ ـ المطول، له أيضا.

٣ ـ جواهر البلاغة للسيّد أحمد الهاشمي.

ثانيا: المنطق:

والكتب المتعارف دراستها في حوزة النجف الأشرف هي:

١ ـ الكبرى للجرجاني في المنطق (ويقع ضمن مجموعة كتاب جامع المقدمات).

٢ ـ حاشية الملا عبد اللّه اليزدي على التهذيب.

٣ ـ تحرير القواعد المنطقية في شرح الرسالة الشمسية، لقطب الدين الرازي.

٤ ـ شرح الشمسية للقزويني.

٥ ـ منظومة السبزواري، قسم المنطق.

٦ ـ مطالع الأنوار للقاضي الأرموي.

٧ ـ كتاب المنطق للشيخ محمد رضا المظفر.

٨ ـ خلاصة المنطق للشيخ عبد الهادي الفضلي.

هذه هي الكتب المنطقية المتعارف دراستها في حوزة النجف الأشرف، إلّا أنّ هذا لا يعني أن الطالب يمرّ بكل هذه الكتب، فالمتعارف الآن في حوزة النجف الأشرف

---

(١) الفضلي ـ عبد الهادي، دليل النجف: ٥٨ ـ ٥٩.

هو الاكتفاء بدراسة كتاب (المنطق) للمظفر، من دون الحاجة إلى المزيد بدراسة غيره، وإن كان قسم من الطلبة يثنّي بدراسة كتاب (حاشية الملا عبد اللّه)[1].

وكلا العِلمين (النحو وعلوم العربية، والمنطق) من الضروري لطالب المقدمات، دراستهما واتقانهما، إذ يساعده الأول على فهم النصوص الشرعية اللفظية، والثاني على فهم المصطلحات الأُصولية والكلامية والفلسفية. وطرق الاستدلال والبرهان ومناهج البحث العلمي...

ثالثا: علم الكلام والعقائد:

ويدرس طالب المقدّمات بعض هذه الكتب:

١ ـ شرح الباب الحادي عشر للمقداد السيوري.

٢ ـ كشف المراد في تجريد الاعتقاد للعلّامة الحلّي.

٣ ـ عقائد الإمامية للشيخ المظفر.

رابعا: المتون الفقهية:

كذلك يدرس الطالب في هذه المرحلة بعض المتون الفقهية غير الاستدلالية منها:

١ ـ كتاب تبصرة المتعلمين للعلّامة الحلّي.

٢ ـ المختصر النافع للمحقق الحلّي.

٣ ـ شرائع الإسلام للمحقق الحلّي.

٤ ـ بعض الرسائل العملية لأحد المراجع.

والذي يبدو أن طالب المقدّمات في السنوات السابقة لم يكن يلزم بدراسة المتون الفقهية.

---

(١) الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف: ٩١.

يقول الشيخ الفضلي: «ودراسة المتون الفقهية هنا ـ أي في مرحلة المقدّمات ـ غير الزامية، وإنما ليتزود الطالب بشيءٍ من المعلومات العامة التي تمهد له الطريق عند دراسة الفقه في المرحلة الثانية»[1].

إلّا أن المتعارف الآن في حوزة النجف الأشرف دراسة بعض أبواب الرسالة العملية لأحد المراجع ثمّ دراسة كتاب شرائع الإسلام للمحقق الحلّي.

خامسا: أُصول الفقه:

لم يكن الطالب سابقا يدرس أُصول الفقه في مرحلة المقدمات لأنه يتوقف على بعض المقدمات اللازمة من المنطق وعلوم اللغة، وكانت دراسة أُصول الفقه تبدأ من مرحلة السطوح. إلّا أ نّه في الوقت الحاضر تدرس بعض الكتب الأُصولية لطالب المقدمات بعد أن يجتاز بدراسته كتاب المنطق أو خلاصته، وبعض الكتب النحوية والصرفية.

والكتب التي تُدرس في مجال أُصول الفقه هي:

١ ـ كتاب معالم الدين للشيخ حسن نجل الشهيد الثاني.

٢ ـ أُصول المظفر الجزءان الأولان منه.

٣ ـ أُصول الاستنباط للسيّد علي نقي الحيدري.

٤ ـ الحلقة الأُولى من دروس في علم الأُصول للسيّد الشهيد الصدر.

هذه هي أهم المتون الدراسية التي تدرس في مرحلة المقدّمات، «وربما ينضم إلى هذا كلّه دراسة علم الكلام، والعلوم الرياضية، وبعض العلوم الأدبية، كعلوم العروض، والقافية، والبديع، والنصوص الأدبية، وهذا كلّه حسب رغبة الطالب، واستعداده في

---

(١) الفضلي ـ عبد الهادي، دليل النجف: ٦٤ ـ ٦٥.

المشاركة بهذه المعارف..»[1].

وأما مدّة الدراسة في مرحلة المقدّمات، فليس لها سقف زمني محدد، وإنما يعود تحديدها إلى الطالب ومدى همته ونشاطه فيها، فقد تطول أو تقصر تبعا لذلك، إلّا أنّ بعضهم حدَّدها بمدة زمنية تتراوح ما بين ثلاث إلى خمس سنوات[2].

ب ـ مرحلة السطوح:

ويدرس الطالب في هذه المرحلة: المتون الفقهية الاستدلالية، ومتون أُصول الفقه، التي تتضمن عرض الآراء العلمية في المسألة ومناقشتها ومحاكمتها والاستدلال على الرأي الذي يختاره أو يتوصل إليه المؤلف[3].

وأهم الكتب المقررة لهذه المرحلة هي:

أولاً: الفقه:

١ ـ كتاب (اللمعة الدمشقية) مع شرحها (الروضة البهية) للشهيدين العامليين، محمد بن مكي، وزين الدين الجبعي.

٢ ـ كتاب المكاسب، للشيخ مرتضى الأنصاري، وقد قسم كتابه إلى أقسام ثلاثة: المكاسب المحرمة، والبيع، والخيارات.

٣ ـ كتب فقهية استدلالية أُخرى، قد يعمد الطالب المجدّ لدراستها زيادة في التوسع ككتاب مسالك الأفهام للشهيد الثاني، أو كتاب رياض المسائل للسيّد علي الطباطبائي، أو التحرير والقواعد للعلّامة الحلّي، وغيرها من الكتب الاستدلالية، إلّا

---

(١) بحر العلوم ـ محمد، الدراسة وتاريخها موسوعة النجف: ٧ / ٩٥.

(٢) المرجع نفسه: ٧ / ٩٥.

(٣) الفضلي، دليل النجف: ٦٥.

أنّ دراسة هذه الكتب غير لازمة، وإنما للتمهيد لمرحلة البحث الخارج[1].

ثانيا: أُصول الفقه:

ويدرس الطالب في هذه المرحلة الكتب التالية أو بعضها وهي:

١ ـ كتاب معالم الدين، لمن لم يدرسه في المرحلة السابقة.

٢ ـ كتاب أُصول الفقه للشيخ المظفر.

٣ ـ كتاب فرائد الأُصول، المعروف بـ (الرسائل) للشيخ مرتضى الأنصاري.

٤ ـ دروس في علم الأُصول المعروف بـ (الحلقات) للشهيد محمد باقر الصدر.

٥ ـ كفاية الأُصول، للآخوند محمد كاظم الخراساني.

٦ ـ كتب أُصولية أُخرى، كانت تُدَرّس سابقا في حوزة النجف الأشرف، وانحسرت دراستها في الوقت الحاضر، ككتاب (قوانين الأُصول) لأبي القاسم الجيلاني، وكتاب (الفصول في الأُصول) للشيخ الحائري.

وتختلف طريقة بعض طلّاب السطوح عن البعض الآخر في ترتيب دراسة هذه الكتب إذ قد يقدِّم بعضهم دراسة بعضها على البعض الآخر، أو يستغني عن بعضها، والمتعارف الآن في حوزة النجف الأشرف دراسة الكتب الأُصولية، الثلاثة: أُصول الفقه، والحلقات، والكفاية. وقليل منهم يدرس المعالم.

ثالثا: علوم أُخرى:

وفي هذه المرحلة قد يدرس الطالب بعض العلوم والمعارف الأُخرى، كالفلسفة الإلهية، وعلم الكلام في بعض كتبها المقروءة، وقد يدرس: التفسير وأُصوله، والحديث وأُصوله، والرجال وأُصوله، إلّا أنّ دراسة الجميع غير الزامية، إلّا لمن يريد

---

(١) الفضلي، دليل النجف: ٦٥، وبحر العلوم: ٧ / ٩٥ ـ ٩٦، والحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف: ٩٧.

التخصص بأحدهما»[1].

وينبغي الاشارة إلى: «أنّ كتب السطوح كلها استدلالية، فإنّ دراستها والاستفادة منها توسع ذهن الطالب، وتمنحه مقدرة خاصة لإقامة الدليل، أو رد البراهين والدعاوى»[2].

إلّا أنّ السقف الزمني لهذه المرحلة لم يحدد بدقة، فقد تكون «مدّة مرحلة السطوح عادة من ثلاث إلى ست سنوات، وقد تزيد احيانا عن ذلك»[3].

أقول: وقد يقضي الكثير من الطلّاب مدّة طويلة في هذه المرحلة يراوح في مكانه، أو أنه يقفز عليها ويحرق المراحل ومن دون أن يستوعب مطالبها!

ج ـ مرحلة بحث الخارج:

وهي المرحلة التي يحضر فيها الطالب دروس كبار العلماء المجتهدين في الفقه والأُصول، وهي آخر مراحل الدراسة التي قد يوفق فيها إلى بلوغ درجة الاجتهاد، وهي أعلى درجة، وبها امتياز هذه الجامعة الإسلامية في أُسلوب التدريس وفي حرية المناقشة والرأي، وفي درجتها العلمية العالية[4].

* طرق التدريس في هذه المراحل الثلاث:

يقول أحد الباحثين في شؤون التعليم الديني واصفا الدراسة في النجف: «أما دراسة جامعة النجف فهي لا تختلف في مناهجها وطابعها العام ومختلف أنماطها عن

---

(١) الفضلي ـ عبد الهادي: ٦٥.

(٢) بحر العلوم، الدراسة وتاريخها موسوعة النجف الأشرف: ٧ / ٩٦.

(٣) المرجع نفسه: ٧ / ٩٦.

(٤) المرجع نفسه: ٧ / ٩٧.

الدراسات الدينية القديمة إلّا بما تتميز به من حيث اختصاصها وملابساتها الخاصة»[1] وصاحب هذا النص من خريجي جامعة النجف وكتب كلماته هذه قبل ما يقارب النصف قرن من الزمن. فهل تغيرت طرق التدريس ومناهجه بعد كتابة هذه الكلمات؟

الواقع أن طرق التدريس ومناهجه لا زالت كما وصفها هذا الباحث على حالها الأول ولم يتغير منها شيء أساسي سوى بعض الشكليات التي لم تطل الهيكل العام للمنهج وطرق التدريس.

وقد تبين لنا من خلال استعراض المواد الدراسية والكتب المقررة للتدريس أنها كتب قديمة قد مضى على تأليف بعضها قرون من الزمن.

وأما طرق التدريس في هذه المراحل الثلاث فهي أيضا بدورها لم يطالها التغيير لا شكلاً ولا مضمونا، «والطابع العام للدراسة في هذه المراحل هي (الحلقية) حيث يجلس الطلّاب متحلقون حول الأُستاذ جالسين على الأرض، يستمعون لدرسه منصتين في حلقة تكبر أو تصغر..»[2]. فلا توجد رَحلات أو كراسي لجلوس الطلّاب، ولا سبورة ولا وسائل ايضاح يستعين بها الأُستاذ لتفهيم طلّابه.

ويصف أحد المعاصرين لحوزة النجف، ومن المتخرجين منها، طريقة التدريس فيها فيقول: «أما طريقة الدراسة في هذه المراحل الثلاث المتقدمة فكما يأتي:

أ ـ في مرحلتي المقدّمات والسطوح: تتبع في هاتين المرحلتين تدريسا ومباحثة: طريقة شرح العبارة والمشاركة؛ شرح العبارة من الأُستاذ والمشاركة من الطالب.

---

(١) الفضلي، دليل النجف: ٥٣.

(٢) الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف: ١٠٢.

يقوم الطالب بنفسه أو من يساعده على ذلك باختيار المدرس ثم يتفقان على تعيين مكان الدراسة وزمانها.

وعندما يأتي الطالب في الزمان المعين والمكان المعين المتفق عليهما، يبدأ المدرس بقراءة عبارات الكتاب فقراتٍ فقراتٍ ثمّ يشرحها ويعلق عليها، ويعود يقرأ الفقرات الأُخرى من حيث انتهى فيشرحها ويعلق عليها، وهكذا حتى ينتهي.

أو يبدأ المدرس باعطاء موجز الدرس خارج الكتاب ثمّ يقوم بعده بتطبيقه مفصلاً على عبارة الكتاب، يقرأ ويشرح ويعلق حتى ينتهي.

ويقوم الطالب بدوره بمشاركة أُستاذه الدرس في الاستفهام والمناقشة وما إليهما بتمام الحرية وكاملها من قبل الطرفين.

والكثير من الطلّاب ـ هنا ـ يكتب درس أُستاذه، ثمّ يعرضه عليه ليلاحظه ويصححه، وتسمى هذه الكتابة بـ (التقريرات).

وفي هاتين المرحلتين، يتفق طالبان أو أكثر على المراجعة والمذاكرة في الدروس التي يتلقونها، فيتفقون على زمان معين ومكان معين يلتقون فيهما، فيقوم كل مرة طالب معين منهم حسب الاتفاق بينهم باعادة الدرس وتقريره على الآخرين، ويقوم الآخرون بمشاركته في الشرح والتعليق والمناقشة وبحرية تامة من الطرفين وتسمى هذه المذاكرة بـ (البحث) أو (المباحثة).

وينهي الطالب الدراسة في هاتين المرحلتين بانهائه دراسة الكتب المقررة.

والطابع العام للدراسة في هاتين المرحلتين هي (الفَردية) وبخاصة في مرحلة المقدمات، فالذي يغلب عليها أن ينفرد طالب أو افراد قلائل من الطلاب بمدرس.

أما في مرحلة السطوح، فالفردية فيها أقل منها في مرحلة المقدمات، إذ ربما اشترك عشرات الطلاب بمدرس يشكلون حوله حلقة دراسية.

ب ـ وفي مرحلة بحث الخارج: تتبع طريقة المحاضرة والمشاركة، المحاضرة من الأُستاذ، والمشاركة من الطالب.

يقوم الأُستاذ بتحضير الموضوع من مختلف مصادره المعتبرة وعندما يأتي إلى مكان الدرس وفي زمانه المعين، يلقي الموضوع خارج الكتاب، أي عن ظهر قلب، ويبدأ بتحرير المسألة ثمّ يعرض آراء العلماء فيها وأدلتهم، ثمّ يقوم بمناقشة الأدلة ومحاكمتها حتى ينتهي إلى عرض رأيه الخاص في المسألة وعرض دليله على رأيه.

والطالب ـ هنا ـ يشارك الأُستاذ في الأشكال والاعتراض على مناقشاته ومحاكماته أدلة العلماء الآخرين، وفي مناقشة دليله الخاص وبحرية كاملة من الطرفين.

وعندما ينتهي الدرس يتجمع الكثير من الطلّاب جماعات جماعات، ويقوم فرد من كل جماعة باعادة محاضرة الأُستاذ، ويسمى الطالب المعيد بـ (المقرر).

والكثير من الطلاب يكتبون محاضرات الأُستاذ متسلسلة، وتسمى هذه الكتابة بـ (التقريرات) أيضا.

وقد يعرض بعضها على الأُستاذ ليلاحظه ويصححه.

وقد يطبع بعضها بعد الملاحظة والتصحيح، مصدرا ـ غالبا ـ ببيان المدرس وتقريظه»[1].

وهذه الطريقة في التدريس، وعلى مستوى هذه المراحل الدراسية في حوزة النجف الأشرف، والدراسة الحوزوية بشكل عام «لو أمعنا النظر فيها لوجدناها تتردد بين الطريقتين اليونانيتين:

الأُولى: طريقة التحليل.

---

(١) الفضلي ـ عبد الهادي، دليل النجف: ٦٦ ـ ٦٨.

الثانية: طريقة التفسير والشرح.

أما الأُولى: فهي أن يتناول الأُستاذ الموضوع ويجزئه إلى أقسام، ثمّ يتناول كل قسم على حدة ويجزئه إلى أجزاء، وهكذا يقسّم ويحلل حتى يصل إلى أدق الأقسام فيتناولها، ويبحث في العلل والعلاقات والمعاني والألفاظ...

وأما [الثانية]: طريقة التفسير والشرح: فهي أن يضع الباحث نص القضية فيدرسها ويأخذ بتفسيرها من جميع الوجوه الممكنة ويختار الوجه الذي يستنسبه، والتفسير الذي يتذوقه. ويغلب على الأُسلوب العلمي النجفي في التحرير والتقرير أُسلوب محاورات سقراط المعروفة التي يسمونها اليوم طريقة السؤال والجواب..»[1].

وإلى جانب التدريس من الأُستاذ الذي له أهميتهُ الكبرى، هنالك جانب المتابعة والمباحثة ومراجعة المصادر.. من قبل الطالب. إذ على الطالب أن يتابع درسه من خلال اعادة شرح الدرس مع بعض زملاء درسه والتي تسمى (بالمباحثة)، وهي مهمة جدا، ولا تقل أهمية عن درس الأُستاذ، بل قد تكون المباحثة والمتابعة والإعادة أهم من درس الأُستاذ من جوانب متعددة؛ منها:

١ ـ ان الطالب يحرز من خلالها أنه قد استوعب شرح الأُستاذ وتفهم مطالبه.

٢ ـ انها ترسخ المادة العلمية في ذهن الطلّاب المتباحثين.

٣ ـ انها تمرِّن الطالب على التدريس والاجابة على الأسئلة والاستفسارات[2].

٥ ـ أماكن التعليم والمدارس الدينية في حوزة النجف الأشرف

تختلف حوزة النجف الأشرف في ظروف تأسيسها، وفي الأوضاع والأجواء

---

(١) الشرقي ـ علي، الأحلام: ٤٦ وعنه الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف: ١٠٤.

(٢) المرجع نفسه: ١٠٣.

المذهبية التي تحفها عن حوزة بغداد وأجوائها المذهبية. فحوزة بغداد الإمامية الشيعية لم تكن تتمتع بالحرية الكاملة في مجال التعليم واختيار أماكنه، فلم يتح للشيعة الإمامية في بغداد أن تتخذ من المساجد العامة أمكنة للتعليم، «ويعود ذلك إلى عدم توفر الحرية التامة للإمامية، في معظم فترات تاريخهم، لأن يُعلِّموا علوم آل البيت في المساجد العامة، خاصة تلك التي تشتد عليها الرقابة من أهل السنة»[١].

بل ان تدريس الإمامية في مساجدهم الخاصة لم يسلم بدوره من اعتداءات مذهبية من قبل اتباع بعض المذاهب السنية، أو بعض المتعصبين والغوغاء، كما حصل لمسجد (براثا) الذي تحتفظ حافظة تاريخه بسلسلة طويلة من الاعتداءات عليه وعلى رواده، حتى وصل الأمر إلى أن قام المقتدر العباسي في سنة (٣١٣ هـ) بهدم هذا المسجد لأنّ الشيعة تجتمع فيه[٢].

إلّا أنّ الأمر قد اختلف في حوزة النجف الأشرف، إذ شعر علماء الإمامية بالأمان وبالحرية الكاملة في التعليم بجوار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، وفي المساجد والمدارس التي انشأت بعد ذلك، حول الحرم الشريف والمناطق المحيطة به. وهكذا الأمر في الحوزات التي انبثقت في الأماكن والبلدان الشيعية الأُخرى كمدينة قم، والحلة، فقد شعر الإمامية بحريتهم الكاملة في تعليم علومهم فيها من دون أن يزاحمهم فيها أحد.

---

(١) الفياض ـ عبد الله، تاريخ التربية: ٧٥ وأُنظر للتوسع: الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١ / ٣٠.

(٢) أُنظر الحموي، معجم البلدان: المجلد الأول، الجزء الثاني: ٢٨٧، مادة براثا، وابن الجوزي، المنتظم: ٦ / ١٩٥.

وتتوزع أماكن الدراسة في حوزة النجف الأشرف على الأماكن التالية:

أولاً: الصحن الحيدري العلوي الشريف:

ويعتبر الصحن الشريف للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث مرقده الشريف من أهم المراكز التعليمية عند الشيعة الإمامية ومن أقدمها، وهذا ما ينص عليه الباحثون في تاريخ التربية عند الإمامية. يقول الدكتور الفياض: «إنّ الشيعة الإمامية ان فقدوا الحرية الكاملة في تعليم علومهم بالمساجد التي للسلطان أو لعلماء أهل السنة نوع من الرقابة عليها؛ فإنهم تمتعوا بحرية نسبية في تعليم علومهم بمساجد عُرفت بالعتبات الشريفة، كانت خاصة بهم، لأنّ فيها مراقد أئمتهم.. وأهم تلك المساجد مرقد الإمام علي بن أبي طالب في النجف...»[1].

والذي يبدو ان الصحن الشريف قد اتُخذ مكانا للتدريس وللقاء العلماء والمحدثين قبل هجرة الشيخ الطوسي للنجف عام (٤٤٨ هـ)، إذ نجد في بعض الروايات اشارات تُنْبِيء عن ذلك.

يقول النجاشي: «الحسين بن أحمد... البوشنجي... له كتاب عمل السلطان، أجازنا بروايته أبو عبد اللّه بن الخُمْرِيّ الشيخ الصالح، في مشهد مولانا أمير المؤمنين سنة أربعمائة، عنه»[2].

وفي رواية ابن طاووس في فرحة الغري وهو يتحدث عن رحلة عضد الدولة البويهي للنجف الأشرف سنة (٣٨١ هـ) قال: «.. وتوجه إلى المشهد الشريف الغروي.. وزار الحرم الشريف وطرح في الصندوق دراهم،.. وفرّق على المجاورين

---

(١) الفياض ـ عبد اللّه، تاريخ التربية عند الإمامية: ٧٨.

(٢) المرجع نفسه: ٨٠، وأُنظر: النجاشي، الرجال: ٦٨ برقم ١٦٥.

وغيرهم خمسة آلاف درهم.. وعلى الفقراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم»[1]. ومن المحتمل ان ابن طاووس قصد بالفقراء الطلبة، ولذا عاملهم عضد الدولة معاملة الفقهاء، إذ إن كلمة فقير ـ كما يبدو من بعض النصوص ـ كانت تطلق احيانا على طالب العلوم. كما يمكن أن تتخذ من وجود الفقهاء.. دليلاً على وجود جماعة كانت تشتغل حينئذاك بدرس علوم آل البيت وتدريسها، ومما يعزز هذا الفرض ان كلمة فقهاء كانت تطلق على طلبة العلوم أحيانا..»[2].

ومهما يكن من أمر، فإنّ الصحن الشريف وغرفه وأواوينه الأربعة والأربعين كان ولا زال مَدْرَسا لطلّاب العلم والمعرفة؛ حيث أملى شيخ الطائفة الطوسي أماليه فيه، وتبعه في ذلك أساطين العلماء والفقهاء والمدرسين جيلاً بعد جيل، مما لا يسع المجال لذكرهم، رضوان اللّه تعالى عليهم.

ثانيا: المساجد:

وهي المساجد المجاورة للحرم والمنتشرة في محلّات النجف القديمة والتي تجاوزت في عددها ثمانية وسبعين مسجدا وجامعا[3].

ومن أهم هذه المساجد مسجد (عمران بن شاهين) والذي يعود تاريخ بنائه إلى أواسط القرن الرابع الهجري، وفي بنائه قصة تذكر[4]، وقد تجدد بناؤهُ مؤخرا. وكان المرجع الأعلى في وقته السيّد محسن الحكيم (ت ١٩٧٠ م) يلقي فيه أبحاثه العليا.

---

(١) ابن طاووس، فرحة الغري: ٣٩٣.

(٢) الفياض، تاريخ التربية: ٨٠.

(٣) الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف: ٢٢٢، وأُنظر، محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ٩٨.

(٤) أُنظر: محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٠٠ ـ ١٠١.

ومن الجوامع المهمة جامع (الخضراء) الملاصق للحرم الشريف، وقد اتخذه المرجع الأعلى السيّد أبو القاسم الخوئي مَدرسا لأبحاثه العليا حتى وفاته، ثمّ استمر من بعده المرجع الأعلى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظله) يحاضر فيه حتى أغلقته سلطات العهد السابق.

ومن الجوامع الشهيرة في النجف جامع (الشيخ الطوسي) وكانت دارا لشيخ الطائفة الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) ثمّ دفن فيها واتخذت مسجدا بوصية منه، وقد ألقى فيه الشيخ الآخوند الخراساني بحوثه الأُصولية، حيث يصف الشيخ الطهراني عدد حضار درسه بقوله: «فقد عُدّ تلاميذه عند الشروع في «مباحث الألفاظ» في الدورة الأخيرة ليلاً، فبلغت عدّتهم ألفا ومائتين أو أكثر،.. ويقرب من ذلك بحثه الفقهي في الصبح، وله أيضا بحث آخر في الفقه ليلاً في بيته بعد الفراغ من بحثه في مسجد شيخ الطائفة الطوسي»[1].

كذلك اتخذ الشهيد السعيد السيّد محمد باقر الصدر من مسجد الطوسي مكانا لدروسه العالية في الفقه والأُصول.

ومن الجوامع المعروفة بكثرة ارتياد الطلّاب لها جامع (الشيخ الأنصاري)، والذي أسسه الشيخ الأعظم مرتضى الأنصاري، واتخذه محلاً للدرس والتدريس. وفي أيام العالم الكبير السيّد محمد كاظم اليزدي كان يلقي بعض دروسه فيه[2].

واتخذ السيّد الإمام الخمينيﷺ من هذا المسجد مكانا لإلقاء أبحاثه ومحاضراته وخطبه أيام إقامته في النجف الأشرف.

---

(١) الطهراني، آقا بزرك، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ١٧ / ٦٥.

(٢) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١١٥.

ولعل من أكثر المساجد ازدحاما بطلّاب العلم والمعرفة في الوقت الحاضر هو (جامع الهندي) والذي يعد من أشهر جوامع النجف الأشرف، «وهو من المساجد الجليلة في النجف.. وهو جامع البلد لم يفرغ من العبادة ليلاً ونهارا، وهو مُعْتَكَف النجفيين ومحل عبادتهم، وهو أجل مكان عندهم بعد الحرم العلوي»[1].

وهنالك مساجد كثيرة أُخرى ذكرها الشيخ محبوبة في كتابه القيّم (ماضي النجف وحاضرها) لا يسع المجال لذكرها هنا[2].

ثالثا: الحسينيات:

وإلى جانب المساجد اتخذت بعض الحسينيات أماكن للدراسة الحوزوية، مثل (الحسينية الشوشترية) التي هدمت أيام النظام البائد. يقول أحد الباحثين المعاصرين: «وكنت أُشاهد فيها المرجع الشهيد السيّد محمد باقر الصدر ﷺ يلقي فيه أبحاثه ودروسه»[3].

وعرفت هذه الحسينية بمكتبتها العامرة، وكانت محل انتفاع أهل العلم وغيرهم من الأُدباء[4].

رابعا: الدور وبيوت العلماء:

وقد تُتَّخذُ دار الأُستاذ، أو دار الطالب مكانا للدرس أو المناقشات العلمية، وبعض الأساتذة الكبار لهم بحوثهم الخاصة مع بعض النابهين النابغين من تلامذتهم،

---

(١) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١١٧ ـ ١١٨.

(٢) أُنظر، المرجع نفسه: ١ / ٩٨ ـ ١٢٤.

(٣) الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف: ٢٢٣.

(٤) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٧٠.

وخواص طلّابهم، يقول الطهراني في ترجمة الشيخ الآخوند الخراساني: «وله بحث آخر في الفقه ليلاً في بيته، وكان يحضر هذا البحث خواصّ أصحابه الأجلّاء مثل: الميرزا النائيني، والسيّد أبو الحسن الإصفهاني، وآقا ضياء الدين العراقي، والشيخ مهدي المازندراني.. ومبدأ هذا البحث كان من لدن وفاة آية اللّه المجدّد ورجوع الناس إليه، وكان الغرض منه استحضار الفروع العمليّة، وتكرار النظر فيها ثانيا وثالثا حتى يثبت رأيه الشريف في حواشي الرسائل العملية وغيرها لعمل المقلّدين»[1].

خامسا: المدارس الدينية:

وقبل الحديث عن المدارس الدينية في النجف الأشرف لابد من التوقف عند بعض الملاحظات التي تلامس بحث المدارس، وضمن نقاط محددة ومختصرة وهي:

أولاً: اختلف المؤرخون لتاريخ التربية في توثيق تاريخ نشوء المدارس عند المسلمين، فاعتبرها بعضهم من المؤسسات التعليميّة التي سبقت القرن الخامس الهجري، بينما اعتبرها بعضٌ آخر من مستحدثات نظام الملك السلجوقي، الذي بنى المدارس النظامية في أواسط القرن الخامس الهجري، والمدارس النظامية أُنشئت لغرض مقاومة الدعوة الشيعية، وتدخل ضمن الهجمات التي شنها السلاجقة على التشيع على الصعيدين الفكري والسياسي معا..»[2].

ثانيا: لا توجد لدينا أدلة قطعية تدل على وجود مدارس عند الإمامية قبل وفاة الشيخ الطوسي سنة (٤٦٠ هـ)، وما بين أيدينا من نصوص مبعثرة لا يمكن الركون

---

(١) الطهراني، طبقات أعلام الشيعة، نقباء البشر في القرن الرابع عشر: ١٧/ ٦٥ ـ ٦٦.

(٢) أنظر، الفياض، تاريخ التربية: ١٠٥ ـ ١٠٦، ١١١.

إليها بنحو قاطع لأنّ الكثير منها يكتنفها الغموض ولا يمكن اتخاذها دليلاً قاطعا على وجود المدرسة عند الإمامية قبل وفاة الطوسي[1]. نعم كان للشيعة في حوزة بغداد دور للعلم ومكتبات تقوم مقام المدرسة وتؤدي دورها كما مرّ بنا سابقا.

ثالثا: إنّ مصطلح (المدرسة) وجمعها (مدارس) قد عَرفها علماء اللغة بأنه: «الموضع الذي يُدرّس فيه»[2].

ولم يشر علماء اللغة القدماء إلى المعنى الاصطلاحي الحديث لكلمة المدرسة، وإنما نجد ذلك في القواميس اللغوية الحديثة، يقول البستاني في مادة (درس) من كتابه اللغوي «محيط المحيط»: «.. والمدرسة: الموضع، يُدرّس فيه القرآن وغيره، وتتعلم فيه الطلبة، سميت به لكثرة الدروس فيها وجمعها مدارس»[3].

رابعا: لقد أصبحت النجف الأشرف ومنذ أن حلّ فيها الشيخ الطوسي﵀ وإلى يومنا هذا، قبلة لطلّاب العلم والمعرفة حيث يتوافد إليها الشيعة من سائر الأقطار الإسلامية الشيعية وبجموع غفيرة، فصارت ـ وبمرور الزمن ـ «مركزا من مراكز العلم الشهيرة، وأنشأت فيها سلاطين الشيعة ووزراؤهم والعلماء أنفسهم كثيرا من المدارس، ولا سيما في عصر الجلاريين والاليخانيين حتى الصفويين، ولكنها ضاعت حتى اسمها إلّا ما نقف على ذكره صدفة ان اتفقت..»[4].

خامسا: تؤدي المدارس الدينية في النجف الأشرف، وكذلك الحوزات العلمية القائمة في بعض البلدان الشيعية وظيفة مزدوجة لطالب العلم الذي يفد إليها، فهي

---

(١) أُنظر، الفياض، تاريخ التربية: ١٠٩.

(٢) أُنظر، الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة درس، وابن منظور، لسان العرب، مادة (درس).

(٣) الفياض ـ تاريخ التربية: ١١٠ الهامش رقم ٢٠١.

(٤) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٢٥.

بمثابة أقسام داخلية لسكن الطلّاب العزاب الوافدين للدراسة الحوزوية، وفي نفس الوقت هي مَدْرس ومحل الدراسة والمطالعة وكتابة البحوث والدراسات.

ونجد في أغلب المدارس غرفا صغيرة لسكن الطالب وحده أو مع من يشاركه، وإلى جانب ذلك نجد فيها قاعة مخصصة للدراسة يصطلح عليها بـ (المَدْرَس).

إلّا أن الصفة الغالبة على هذه المدارس أنها مأوى ومسكن للطلّاب، وأما محل الدراسة فهي المساجد والحسينيات وغرف وأواوين الحرم.. وغيرها.

يقول أحد الباحثين: «والمدارس في جامعة النجف هي محلات سكنى للطلّاب وبمثابة أقسام داخلية» ويقول الشيخ علي الشرقي: «إنّ كل المدارس في النجف للمطالعة والسكنى، اما محلات الدراسة فهي الجوامع»[1].

سادسا: لقد أُنشِئت مؤخرا في النجف الأشرف وفي بعض الأقطار الإسلامية الشيعية الأُخرى مدارس علمية، تؤدي الوظيفة الاصطلاحية للمدرسة، ومخصصة للتدريس فقط، حيث يجتمع الطلّاب مع أساتذتهم وضمن جدول زمني محدد، ومنهج دراسي مقرر، وفي صفوف دراسية منظمة، وباشراف من قبل إدارة المدرسة مباشرة. وبعد سنوات تطول أو تقصر بحسب النظام الداخلي للمدرسة يتخرج منها الطالب وقد أنهى دراسته في مرحلتي المقدمات، أو المقدمات والسطوح، ليتشرف بالحضور في البحوث العالية (البحث الخارج) عند أساطين العلماء والمجتهدين.

*** مدارس النجف الأشرف قديمها وحديثها:**

والمدارس التي شيدت في النجف الأشرف قديما وحديثا كثيرة جدا، قد اندثر بعضها؛ فلا تجد لها عينا ولا أثرا سوى اسمها في ذاكرة التاريخ. يقول علي الشرقي في

---

(١) الفضلي، دليل النجف: ٧٠، والشرقي، الأحلام: ٤٩.

الأحلام: «وكان في النجف ما يربو على الثمانين مدرسة، أقدمها المدرسة المعروفة بمدرسة الصحن.. والنجفيون يعرفون بعض المدارس القديمة التي درست ونهضت بمكانها عمارة أُخرى»[1].

وبقي البعض الآخر يؤدي وظيفته لطلّاب العلم، كما أن بعض المدارس قد جُدد بناؤها، وبعض المدارس الأُخرى لها بنايات مستأجرة.

إلّا أن بعض المعاصرين للشيخ الشرقي ومن الدارسين في حوزة النجف الأشرف. يقول السيّد القوجاني النجفي في مذكراته الشهيرة بالسياحة الشرقية: «دخلت النجف عام (١٣١٨ بعد الهجرة).. وسكنت في حجرة مدرسة الصحن.. وعندما دخلت النجف لم يكن فيها إلّا ثلاث أو أربع مدارس محقّرة، وأكثر الطلّاب والعزّاب الذين يجب أن يكونوا في المدرسة كانوا ساكنين في المنازل الاستيجارية، أما الفقراء منهم، أي أُولئك الذين لا قدرة لهم على استيجار المنازل كانوا في مأزقٍ من حيث الاسكان..»[2].

ويعقب السيّد عبد الهادي الحكيم في دراسته عن حوزة النجف الأشرف على قول السيّد القوچاني فيقول: «إنّ الرقم الذي ذكره السيّد القوچاني لمدارس النجف الأشرف في عصره لم يكن دقيقا، وإن دراستنا هذه دليل على ذلك»[3].

ومهما يكن من أمر، فقد أحصى بعض الباحثين مدارس الحوزة العلمية في

---

(١) الشرقي، الأحلام: ٤٦.

(٢) القوچاني، السياحة الشرقية: ٢٠٦ ـ ٢٢٤.

(٣) الحكيم، المفصل: ١٦ / ٦٤ ـ ٦٥.

النجف الأشرف فبلغ في إحصائه إلى (٥٣) مدرسة حوزوية[١]. والذي يبدو أنَّ العدد يفوق ذلك باضافة المدارس التي أُنشِئت حديثا.

وفيما يلي عرض موجز لمدارس النجف الدينية الحوزوية بحسب تسلسلها التاريخي، معتمدين في ذلك على قائمة السّيد محمد الغروي في كتابه حول الحوزة العلمية في النجف الأشرف؛ لجامعيتها واختصارها، وسوف نختصر منها بعض الزوائد، ونضيف إليها ما فات المؤلف ذكره من مدارس وحوزات أُنشِئت بعد صدور كتابه، وما دونته بعض الكتب المتأخرة عن كتاب السيّد الغروي.

وقد اعتمد السيّد الغروي في عرضه المدارس ومساحتها وعدد غرفها على كتابي ماضي النجف وحاضرها للشيخ باقر آل محبوبة، وبحوث موسوعة العتبات المقدّسة، على ذاكرته النجفية منذ نشوئه فيها وحتى عام (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٤ م) يوم خروجه من العراق[٢].

وفيما يلي قائمة بأسماء المدارس الدينية في النجف الأشرف:

١ ـ المدرسة المرتضوية:

لعلّ من أقدم المدارس الدينية في النجف الأشرف هي «المدرسة المرتضوية» التي أشار إليها حيدر بن علي بن حيدر الآملي الحسني حيث كتب بخطه بعض تصانيف المولى ركن الدين محمد بن علي بن محمد الجرجاني الذي فرغ من تصنيفه سنة (٧٢٠ هـ) وفرغ حيدر بن علي بن حيدر من كتابته (٧٦٢ هـ) في الغري في

---

(١) الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف: ٢٢٥ نقلاً عن موسوعة النجف: ٦ / ١٩١، وأُنظر حسن الحكيم، المفصل في تاريخ النجف: ١٦ / ١١.

(٢) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ٢ / ٢ الهامش.

المدرسة المرتضوية[1] ومن الممكن أنها هي المدرسة التي زارها ابن بطوطة عام (٧٣٧ هـ).

٢ ـ مدرسة المقداد السيوري (السليمية):

بنى هذه المدرسة الشيخ جمال الدين أبو عبد اللّه المقداد بن عبد اللّه بن محمد ابن الحسين بن محمد السيوري الأسدي الحلي النجفي صاحب كتاب كنز العرفان في فقه القرآن وكان من أفاضل العلماء وأكابر الفضلاء وهو أجل تلامذة الشهيد الأول محمد بن مكي‌ﷺ وقد توفي يوم السادس والعشرين من شهر جمادى الآخرة عام (٨٢٨ هـ ـ ١٤٠٧ م).

يقول صاحب كتاب ماضي النجف وحاضرها (إني وقفت على كتاب مصباح المتهجد للشيخ الطوسي‌ﷺ مخطوط، عند الشيخ الإمام العلّامة الميرزا محمد حسين النائيني‌ﷺ وفي آخره ما نصه: (كان الفراغ من نسخه يوم السبت ثاني عشر من جمادى الأُولى سنة (٨٣٢ هـ ـ ١٤١١ م) على يد الفقير إلى رحمة ربه وشفاعته عبد الوهاب بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن السيوري الأسدي عفى عنه بالمشهد الشريف الغروي على ساكنه السلام وذلك في مدرسة المقداد السيوري)[2].

وهذه المدرسة واقعة في سوق الصاغة، مقابل مسجد الصاغة من محلة المشراق وقد تجدد بناؤها في الآونة الأخيرة على نفقة سليم خان الشيرازي عام (١٢٥٠ هـ) فنسبت المدرسة إليه وعرفت بـ (مدرسة السليمية) من ذلك الحين.

ولا تزال هذه المدرسة موجودة إلّا أنها أغلقت لسقوط بعض بنائها، وقد كتب على

---

(١) الطهراني، الطبقات، الحقائق الراهنة في المائة الثامنة: ٦٩.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٢٦.

بابها الخارجي (إنها عمرت بهمة السيّد أبي القاسم في سنة (١٣٤٠ هـ - ١٩١٩ م))[1].

٣ - مدرسة الملا الشيخ عبد اللّه اليزدي:

شيّدها الملّا عبد اللّه بن شهاب الدين اليزدي الشاه آبادي المتوفى في النجف الأشرف عام (٩٨١ هـ) في محلة المشراق. يقول صاحب كتاب ماضي النجف وحاضرها: (ويعين محلها وموقعها بعض المتتبعين للآثار من النجفيين وهي الآن دار لبعض السادة الأشراف من آل كمّونة - ويتابع قائلاً - وقفت على صك مؤرخ سنة (١٢٧٣ هـ - ١٨٥٢ م) فيه بيع دار من دور الملالي والمشتري من آل معلّة ويحدّ الدار بالخربة المعروفة بالمدرسة القديمة. وهذه الخربة اليوم هي دار لبعض الأشراف من السادة). ويبدو أنَّ هذه المدرسة قد اندمجت بالبيوت المجاورة لها عن طريق الاستحواذ[2].

٤ - المدرسة الغروية:

أُسست هذه المدرسة في أوائل القرن الحادي عشر، وينسبها السيّد البراقي إلى الشاه عباس [الصفوي] الأول.. ولعلها هي مدرسة الصحن الشريف التي تقع في الجهة الشمالية منه وبابها في الايوان الثالث من تلك الجهة قريب من الجهة الشرقية.

قال الشيخ جعفر آل محبوبة: (وقفت على كتاب أُصول الكافي مخطوط وفي آخره ما نصه: (تمت كتابة أُصول الكافي على يد الفقير إلى اللّه الغني يوسف بن عبد الحسين النجفي الشهير بالصلنباوي في المدرسة الغروية على مشرفه أفضل الصلاة

---

(١) موسوعة العتبات المقدّسة: ٧ / ١٢٩. للتوسع أُنظر، موسوعة النجف الأشرف: ٦ / ٣٨٦، والمفصل في تاريخ النجف: ١٦ / ٢٠.

(٢) ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٢٦. والحكيم، المفصل: ١٦ / ٢٢.

والسلام يوم الثلاثاء التاسع والعشرين من رجب المرجب سنة (١٠٦٩ هـ ـ ١٦٤٨ م) ـ وأضاف قائلاً ـ والظاهر هي هذه المدرسة)[١].

وفي عام (١٣٥٠ هـ ـ ١٩٢٩ م) قام المحسن السيّد هاشم زيني النجفي باعادة بناء هذه المدرسة من جديد ولكنها أصبحت محلاً للزائرين والقادمين إلى النجف الأشرف من الوافدين لزيارة ضريح إمامنا علي بن أبي طالب عليه السلام.

وقد أرخ المرحوم الخطيب البارع الشيخ محمد علي اليعقوبي هذه العمارة بقوله:

حُـزت يـا هاشـم زينـي رتبـة ... لـم يحزهـا أبـدا مـن قـد سـلف

دارك الخلــد غــدا إذ أرخـوا ... شـدت للـزوار دارا بـالنجف[٢]

٥ ـ مدرسة الصحن الكبرى:

قام الشاه صفي حفيد الشاه عباس الأول الصفوي بزيارة الإمام علي بن أبي طالب عام (١٠٤٢ هـ ـ ١٦٢١ م) ووسع الصحن الشريف وبناه طابقين فخمين حيث بنى في كل ضلع من ضلعي الصحن الشرقي والشمالي خمس عشرة غرفة وفي كل من ضلعي الغربي والجنوبي أربع عشرة غرفة وأمام كل غرفة من الأضلاع الأربعة إيوان ثمّ أقام الطابق الثاني على الطابق الأول بنفس الطراز والنقوش وقد خص هذا الطابق بطلّاب العلوم الدينية وقد سمعت من بعض العلماء بأن المقدّس الأردبيلي كان يعيش في الضلع الغربي من جهة الباب السلطاني (حي العمارة) الغرفة الأخيرة أو ما قبلها من جهة الساباط.

وإنني قد شاهدت أيام (١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٤ م) بعض الطلّاب الأفغانيين

---

(١) ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٢٧.

(٢) موسوعة النجف الأشرف: ٦ / ٣٨٨.

والباكستانيين يسكنون بعض الغرف من الطابق الفوقي. وكنا نسمع من الكبار بأن الطابق الأسفل قد بني لاستضافة الزوار ولكنها تحولت إلى مقابر للأعيان والأشراف والعلماء.

وعلى أي حال فإن الطابق الفوقي يسمى بمدرسة الصحن. يقول الشيخ السماوي:

وفــي الغــري لــذوي العلــوم	مــــدارس معلومـــة الرســـوم
مشــيدة فــي حجــرات وغــرف	من أربع الجهات صفا فوق صف
ومــن ثــلاث واثنتــين وجهــة	أو حجــرات أفــردت للترفهــة
أشهرها (مدرسة الصحن) السني	قــد بنيــت للدارســين أذبنــي[1]

٦ ـ مدرسة الصدر:

شيدها الحاج محمد حسين خان الإصفهاني وزير فتح علي شاه القاجار بعد أن انتهى من بناء سور النجف عام (١٢٢٦ هـ ـ ١٨٠٥ م) وهي واقعة في نهاية السوق الكبير من طرف الشرق. وتطل على شارع الإمام زين العابدين. وتربو مساحة المدرسة على تسعمائة متر مربع وتشتمل على ثلاثين غرفة في طابق واحد وهي عامرة بالطلّاب والأفاضل[2].

٧ ـ مدرسة المعتمد (مدرسة كاشف الغطاء):

قال الشيخ جعفر آل محبوبة (حدثني المعمر الحافظ العالم السيّد عبد الحسين ابن السيّد عبد اللّه الدزفولي عن العلّامة السيّد حسين آل بحر العلوم أن معتمد الدولة

---

(١) موسوعة العتبات المقدّسة: ٧ / ١٣٥. وللتوسع أُنظر، المفصل في تاريخ النجف: ١٦ / ١٤، والسماوي، عنوان الشرف، في وشي النجف: ١ / ٥٨.

(٢) للتوسع أُنظر: موسوعة النجف الأشرف: ٦ / ٣٨٩، والحكيم، المفصل: ١٦ / ٢٣.

بعث أموالاً كثيرة على يد العلّامة الشيخ مهدي بن الشيخ علي آل كاشف الغطاءﷺ ليعمل صندوقا فضيا على القبر الشريف فعمله وزاد من المال شيء فعمل منه هذه المدرسة)[1] وذلك حدود عام (١٢٦٢ هـ ـ ١٨٤١ م). ويكون موقع هذه المدرسة في محلة العمارة على مقربة من قبور العلماء الكبار من أُسرة كاشف الغطاء رضوان اللّه تعالى عليهم.

لقد أوشكت المدرسة على الانهيار والتداعي فسعى آية اللّه العظمى الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء لتجديد البناء وعمارتها ووضع المناهج العلمية لها وتنظيم الدراسة فيها في منتصف القرن الرابع عشر الهجري تقريبا. يقول الشيخ علي الزين: «لذلك لا نكون في عداد المغالين إذا اعتبرنا عمل العلّامة الأكبر الحجة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء بإحياء مدرسة جدّه الأعلى الشيخ جعفر وتأهيلها بكل ما تسمح ظروف النجف وظروفه الخاصة ويوجبه الإخلاص للنهضة العلمية، فإنه دام ظله قد سير الدروس فيها بطريق منظمة، واختار لها الأساتذة اللائقين، وأعد لجانا فاحصة لامتحان الطلّاب في الأوقات المعينة وفرض الرواتب بحسب حالة الأشخاص وقيمة أعمالهم ثمّ تبرع لها بمكتبته الكبرى التي تشتمل على اندر المخطوطات وأنفس الكتب العلمية والأدبية والفلسفية المختلفة؛ بين القديم منها والجديد، ثمّ عين لها موظفين اكفاء ورتبها على أحسن ما تترتب نوادي المطالعة»[2].

وتحتوي هذه المدرسة على ست وعشرين غرفة مع قاعة كبيرة، وفيها كتب قيمة للمراجعة والمطالعة، ويشرف عليها ويقوم بتوليتها مع المكتبة والمسجد، الوجيه شريف كاشف الغطاء ابن الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء.

---

(١) ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٢٨.

(٢) الزين ـ علي، مجلة العرفان: ١ / المجلد ٢٩، سنة ١٣٥٨ هـ مقال: بوادر الاصلاح في النجف الأشرف.

٨ ـ مدرسة الشيخ مهدي:

إنها مدرسة العلّامة الشيخ مهدي بن الشيخ علي آل كاشف الغطاء حيث تولى بناءها عام (١٢٨٤ هـ ـ ١٨٦٣ م) بعد أن وصل إليه مال كثير من إحدى بلاد آذربايجان في إيران.

وتقع هذه المدرسة في محلة المشراق خلف مسجد الشيخ الطوسي من ناحية الغرب وتكون باب المدرسة مقابل باب مسجد الشيخ الطوسي من الخلف. وهي ذات طابق واحد فقط على مساحة تقرب من سبعمائة متر مربع وذات اثنين وعشرين غرفة. وقد جدد بناءها المرجع الكبير السيّد أبو الحسن الإصفهاني عام (١٣٦٥ هـ ـ ١٩٤٤ م)[١].

٩ ـ مدرسة القوام:

بنى هذه المدرسة عام (١٣٠٠ هـ ـ ١٨٧٩ م) قوام الملك فتح علي خان الشيرازي على مساحة تقدر بسبعمائة متر مربع في محلة المشراق على جهة الشمال من مدرسة الشيخ المهدي ومسجد الشيخ الطوسي.

وتحتوي هذه المدرسة على ست وعشرين غرفة في طابق واحد عدا الجهة الشمالية منها حيث كانت تشتمل على طابقين.

وقد جدد بناءها المرحوم الشيخ نصر اللّه الخلخالي بأموال المحسنين على طراز حديث وفي طابقين[٢].

---

(١) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٢٩ ـ ١٣٠، موسوعة النجف: ٦ / ٣٩٠، المفصل في تاريخ النجف: ١٦ / ٣٠ ـ ٣١.

(٢) المفصل: ١٦ / ٢٨ ـ ٢٩.

١٠ ـ مدرسة الإيرواني:

أسس هذه المدرسة الحاج مهدي الإيرواني تحت إشراف الشيخ ملا محمد الإيرواني المعروف بالفاضل الإيرواني (١٣٠٧ هـ ـ ١٨٨٦ م) على مساحة ثلاثمائة متر مربع. وهي مشيدة من طابقين وتشتمل على تسع عشرة غرفة وتكون الأولوية في السكن للطلّاب الأتراك وخاصة من بلدة إيروان.

وتقع هذه المدرسة في محلة العمارة وعلى مقربة من بيت المرجع الكبير الراحل السيّد أبي الحسن الإصفهاني ﷺ[1].

١١ ـ مدرسة القزويني:

أُسست هذه المدرسة عام (١٣٢٤ هـ ـ ١٩٠٩ م) على أرض مساحتها تزيد على ثلاثمائة مترٍ مربَّعٍ على مقربة من الضلع الجنوبي الغربي للصحن الشريف من محلة العمارة وكان الباذل لتكاليف البناء الحاج محمد آقا الأمين القزويني. وكان البناء مؤلفا من طابقين الطابق الأول يحتوي على خمس عشرة غرفة والطابق الثاني على ثماني عشرة غرفة كما أن في المدرسة مكتبة متوسطة.

وقد تبرع محسن كويتي عام (١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٣ م) بنفقات إعادة بناء هذه المدرسة حسب هندسة جديدة فخرجت المدرسة في ثوبها الجديد زاهية ومشرقة على الطرف الجنوبي الغربي للشارع الممتد حول الصحن المبارك.

---

(١) موسوعة النجف: ٦ / ٣٩٢.

١٢ ـ مدرسة البادكوبي:

شيّد الحاج نقي البادكوبي[١] هذه المدرسة عام (١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٤ م) على أرض مساحتها تقارب ثمانمائة متر تقريبا[٢] وفيها ثمان وعشرون غرفة. في طابق واحد. ولكن الحكومة العراقية عام (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٢ م) قد فتحت شارعا موازيا للسوق الكبير باسم (شارع زين العابدين) فتهدم الضلع الشمالي من المدرسة وتهدم حدود نصف المدرسة ولم يبق من غرفها سوى ست عشرة غرفة.

١٣ ـ مدرسة الهندي:

قام بتشييد هذه المدرسة المشتملة على اثنتين وعشرين غرفة المحسن ناصر علي خان أحد أهالي لاهور من الهند عام (١٣٢٨ هـ ـ ١٩٠٧ م) على أرض مساحتها ستمائة مترٍ مربعٍ في محلة المشراق خلف مدرسة القوام حيث يلتصق الضلع الجنوبي من المدرسة بالضلع الشمالي لمدرسة القوام.

يسكن في هذه المدرسة غالبا الطلّاب القادمون من الهند.

١٤ ـ مدرسة الشربياني:

إنها مدرسة صغيرة واقعة في محلة الحويش على امتداد الطريق الواقع فيه مدرسة السيّد كاظم اليزدي الكبرى من جهة سوق القبلة وبموازاة شارع الرسولﷺ وهي ذات طابق واحد.

وقد بناها الشيخ محمد المعروف بالفاضل الشربياني (ت ١٣٢٤ هـ) وهو من

(١) بادكوبة مدينة شيعية من مدن آذربيجان الواقع في الاتحاد السوفياتي سابقا وعاصمة مقاطعة أذربيجان بعد انهيار الاتحاد السوفياتي.

(٢) بحسب تقدير مساحة المدرسة قبل هدم الجانب الجنوبي منها لفتح شارع زين العابدين.

مشاهير علماء النجف الأشرف. بنى هذه المدرسة في حدود عام (١٣٢٠ هـ)[(١)] وعرفت باسمه.

١٥ ـ مدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي الكبيرة:

اشترى العلم الشهير الحاج ميرزا حسين بن الحاج ميرزا خليل الطهراني من السيّد علي قطب قيصرية مساحتها ستمائة مترٍ مربعٍ في محلة العمارة وفي بداية زقاق السلام من جهة سوق العمارة وقد دفع الثمن معتمد السلطنة الحاج محمد حسين خان أمير بنج؛ وكمل تشييدها عام (١٣١٦ هـ ـ ١٨٩٥ م) حيث بنى في جهة الجنوب الشرقي من المدرسة أمير تومان صمصام الملك العراقي، المقبرة الشهيرة باسم مقبرة الخليلي وشيّد الجهات الثلاث الأُخر من المدرسة مجد الدولة جهان گيرخان.

وهذه المدرسة ذات طابقين من جهاتها الأربع وعدد غرفها خمسون غرفة.

١٦ ـ مدرسة الحاج ميرزا حسين الخليلي الصغيرة:

هذه مدرسة صغيرة مشتملة على طابقين فيهما ثماني عشرة غرفة على مساحة قدرها مائتان وثلاثون مترا مربعا.

بنى هذه المدرسة محمد علي خان الگرگاني بأمر الحاج ميرزا حسين الخليلي عام (١٣٢٢ هـ ـ ١٩٠١ م).

تقع هذه المدرسة في محلة العمارة خلف مدرسة السيّد كاظم اليزدي الصغرى من جهة الغرب، وخلف المكتبة الشوشترية من ناحية الشمال[(٢)].

---

(١) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٢) أُنظر، محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٣٤ ـ ١٣٥.

١٧ ـ مدرسة الآخوند الخراساني الكبرى:

أسسها الإمام الآخوند محمد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩ هـ) وكان الباذل لها جان ميرزا من أهالي بخارى وكان وزيرا للسلطان عبد الأحد البخاري على قطعة أرض مساحتها سبعمائة وثلاثون مترا مربعا في محلة الحويش الصغير عام (١٣٢١ هـ ـ ١٩٠٠ م) وقد كتب على أعلى مدخل المدرسة:

مدرســـة الكــاظم قــد أرخــوا أساســها علــى التقــى والرشــاد

وكان فيها طابقان مع سرداب فوقي تحت الجهات الأربع وسردابين عميقين وكان عدد الغرف ثماني وأربعين غرفة مع مكتبة كبيرة من الجهة الشمالية.

وفي حدود عام (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٤ م) تولى مُحْسِنٌ من طهران الإنفاق على تجديد البناء فاشترى بيت المرحوم السيّد كاظم السيّد سلمان الواقع على الزاوية الشمالية الشرقية من المدرسة وضمها إلى المدرسة وبنى بناء محكما ذا طوابق ثلاثة مع مكتبة واسعة[١].

١٨ ـ مدرسة الآخوند الخراساني الوسطى:

هذه هي المدرسة الثانية حيث اشترى الشيخ الخراساني أرضا مساحتها أربعمائة وعشرون مترا مربعا من أموال استان قلي بك وزير السلطان البخاري عبد الأحد. وكان التشييد والبناء في طابقين من نفس المصدر وذلك عام (١٣٢٦ هـ ـ ١٩٠٥ م).

---

(١) للتوسع أُنظر، الحكيم، المفصل: ١٦ / ٤٧ ـ ٤٨.

وكُتِبَ على بابها بالكاشاني بيتان مما أنشده الشيخ إبراهيم أطيمش:

هــــذه مدينـــــة علــــم ... وبــــاب ســـر العــــوالم

للعلـــم شـــيدت فـــأرخ ... (لمعـدن العلـم كـاظم)

وتقع هذه المدرسة في محلّة البراق على امتداد شارع الإمام الصادق عليه السلام عند مدخل طريق يعرف بطريق آل الأعسم.

وقبل عشرين عاما تجدد بناؤها في خارطة جديدة ذات طوابق ثلاثة بعد أن كانت ذات طابقين وذات ست وثلاثين غرفة فقط.

١٩ ـ مدرسة الآخوند الصغرى:

إنها مدرسة صغيرة جدا حيث تكون مساحتها مائتين وعشرة أمتار مربعة وذات طابق واحد وفيها اثنا عشر غرفة.

وتقع هذه المدرسة في محلة البراق أيضا على امتداد طريق (صد توماني) ابتداءً من سوق القبلة وحتى الطرف الثاني من الطريق في امتداد شارع الرسول.

وقام الحاج فيض اللّه البخاري خازندار الوزير جان ميرزا بشراء الأرض وبنائها عام (١٣٢٨ هـ ـ ١٩٠٧ م). وهي من المدارس العامرة بطلبة العلوم الدينية في الوقت الحاضر بعد أن جُدِّد بناؤها من قبل المرجع الكبير آية اللّه السيّد علي السيستاني (حفظه اللّه).

٢٠ ـ مدرسة البخارائي:

تقع هذه المدرسة في محلة الحويش، ملاصقة للضلع الشمالي من مدرسة الآخوند الكبرى وتبلغ مساحتها ثلاثمائة مترٍ مربعٍ، وقد أنشأها محمد يوسف البخاري، وهو من أصحاب الوزير خان ميرزا، على يد الشيخ كاظم البخاري وفرغ من

تشييدها عام (١٣١٩ هـ ـ ١٨٩٨ م).

وكانت المدرسة ذات طابقين ومشيدة على الجهات الثلاثة الشرقية والغربية والشمالية دون الجهة الجنوبية.

وقام ورثة المرحوم الحاج غلام الكويتي الشيرازي بتجديد البناء من ثلث المرحوم حسب وصيته، فأنشأوا مدرسة جديدة ذات طابقين وذات تسع عشرة غرفة عام (١٣٨٠ هـ ـ ١٩٥٩ م).

٢١ ـ مدرسة السيّد كاظم اليزدي الكبرى:

وهي مدرسة فريدة في البناء والسعة والفخامة في مدينة النجف الأشرف أسسها وعمرها بأمر من المرجع الكبير السيّد محمد كاظم اليزدي، الوزير البخاري استان قلي، على أرض مساحتها سبعمائة وخمسون مترا مربعا. وقد ابتدأ بتعميرها عام (١٣٢٥ هـ ـ ١٩٠٤ م) وانتهى من بنائها عام (١٣٢٧ هـ ـ ١٩٠٦ م) وفيها مكتبة عامرة في الزاوية الشمالية الغربية. وهي مشيدة من طابقين وتحتوي على ثمانين غرفة. وفيها سراديب مشيدة على هندسة رائعة وتعتبر من أفخر السراديب المبنية طابقا فوق طابق.

وقال الشيخ علي المازندراني مؤرخا:

أسسـها بحـر العلـوم والتقـى محمـد الكـاظم مـن آل طبـا

و (فـي بيـوت أذن اللّـه أتـى) تاريخها (لكن بحذف ما ابتدا)[1]

أي بحذف الواو التي ابتدأت بها الآية.

---

(١) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٤٢.

٢٢ ـ مدرسة السيّد كاظم اليزدي الثانية:

كانت هذه المدرسة في الأصل مأوىً للقادمين من الزائرين لقبر الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام حيث لم يكن آنذاك في النجف الأشرف بيوت للمسافرين وأماكن عامة لاستقبال الزائرين فبنى السيّد اليزدي هذا المكان لإيواء الزائر وسماه باسم (خان الزائرين) وتحول هذا المكان في فترة من الفترات إلى سكن للفقراء والمعوزين؛ ثمّ تحدث المشرف على هذا المكان من أولاد السيّد اليزدي رحمه الله مع المرجع الكبير السيّد الحكيم رحمه الله لتشييد مدرسة دينية على هذه الأرض فبارك السيّد الحكيم (رضوان الله تعالى عليه) [الفكرة] وأنفق رحمه الله المال الكثير وبنى على تلك الأرض التي مساحتها ستمائة مترٍ مربعٍ مدرسة ذات إحدى وخمسين غرفة من طابقين؛ وتمّ بناء المدرسة عام (١٣٨٤ هـ ـ ١٩٦٣ م).

ويكون موقعها في محلة العمارة قرب المدرسة الكبرى للحاج حسين الخليلي. «وقد أُزيلت هذه المدرسة من الوجود بعد تنفيذ مشروع مدينة الزائرين في طرف العمارة عام (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م)»[1].

٢٣ ـ مدرسة الميرزا حسن الشيرازي:

إنها مدرسةٌ صغيرة ذات طابقين على أرض لا تزيد مساحتها على مائة وعشرين مترا بنيت في الطابق الثاني منها ثماني غرف يسكنها عدد من طلبة العلوم الدينية وفي الطابق الأرضي شيدت مقبرة الإمام الشيرازي.

وقد تولى المرجع الكبير السّيد ميرزا حسن الشيرازي بناءها من أموال أحد أثرياء

---

(١) الحكيم، المفصل في تاريخ النجف: ١٦ / ٤٦.

الهند والمقلدين له.

تقع هذه المدرسة إلى جنب (باب الطوسي) من أبواب الصحن الحيدري الشريف من جهة الشمال وهي متصلة من جهة الجنوب بجدار الصحن. وقد أُلحقت بسياج الصحن من الخارج عام (١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩ م)، وبقيت تحتفظ بموقعها المستقل[١].

٢٤ ـ مدرسة السيّد عبد اللّه الشيرازي:

تقع هذه المدرسة في الشارع الخامس من محلة الجديدة على امتداد الشارع الموازي لشارع الرسولﷺ من جهة الغرب وتحتوي على مساحة قدرها سبعمائة وخمس وعشرون مترا مربعا وتحتوي على أربع وعشرين غرفة وهي ذات طابقين من جهة الجنوب فقط.

شيد السيّد عبد اللّه الشيرازي عام (١٣٧٢ هـ ـ ١٩٥١ م) هذه المدرسة على فترات من مساعدات المحسنين.

٢٥ ـ مدرسة الطاهرية:

هي مدرسة كبيرة ذات مساحة ثلاثة آلاف متر مربع وفيها أربع عشرة غرفة وذلك في الشارع الثالث عشر على امتداد الشارع الموازي لشارع الرسولﷺ من جهة الغرب أيضا.

أسس السيّد عبد اللّه الشيرازي هذه المدرسة عام (١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٦ م) بعد تأسيسه لمدرسته الأُولى[٢].

---

(١) للتوسع أُنظر، الحكيم، المفصل في تاريخ النجف: ١٦ / ٦٤.

(٢) للتوسع أُنظر، المصدر نفسه: ١٦ / ٦٥ ـ ٦٦.

٢٦ ـ مدرسة العاملية أو (المدرسة اللبنانية):

تقع هذه المدرسة في محلة الجُدَيدَة على مقربة من خان المخضّر وقد تصدى بعض العلماء اللبنانيين العامليين عام (١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٦ م) لبناء مدرسة للطلّاب اللبنانيين الوافدين على النجف الأشرف فجمعوا التبرعات واشتروا قطعة أرض مساحتها ألف وخمسمائة مترٍ مربعٍ وبنوا عليها أربعين غرفة على فترات متقاربة يقطن فيها الطلّاب اللبنانيون خاصة[١].

٢٧ ـ مدرسة السيّد البروجردي الكبرى:

أسَّسها المرجع الكبير السيّد حسين البروجردي (ت ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م) على مساحة قدرها سبعمائة مترٍ مربعٍ على مقربة من الجانب الشرقي من الصحن المبارك وهي ذات اثنتين وستين غرفة في طوابق ثلاثة. كما فيها مكتبة كبيرة قيّمة. وذلك عام (١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٢ م).

وقد أرخها السيّد موسى بحر العلوم بقوله:

هـذه مدرسـة شـيدت لمـن	طلـب العلـم ومـن أدى فروضـه
أسسـته يـد أعلـى مرجـع	زاده اللّـه مـن الجـاه عريضـه
للحسـين بـن علـي أجرهـا	جبـر اللّـه بـه الحـق مهيضـه
وعـن الصـادق قـد أرختهـا	(طلب العلم كمـا جـاء فريضـه)

وعند توسيع دورة الصحن الشريف عام (١٩٨٨ م) هُدم قسم كبير من مدرسة البروجردي وأصبح القسم الباقي في وسط منطقة تجارية[٢].

---

(١) الحكيم، المفصل في تاريخ النجف: ١٦ / ٦٣.

(٢) المرجع نفسه: ١٦ / ٤٢.

٢٨ ـ مدرسة البروجردي الصغيرة:

تقع هذه المدرسة على أرض مساحتها ثلاثمائة وخمسون مترا مربعا في منتصف سوق العمارة وفيها عشرون غرفة.

وقد كانت هذه المدرسة دارا اشتراها المحسن الكبير السيّد هاشم البهبهاني بأمر من السيّد البروجردي عام (١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٧ م). ووقفها مدرسةً لطلّاب العلوم الدينية. «وقد هدمت هذه المدرسة وأُزيلت من الوجود عام (١٤٠٩ هـ) عند تنفيذ مشروع مدينة الزائرين في طرف العمارة»[١].

٢٩ ـ المدرسة الشبرية:

تقع هذه المدرسة في محلة البراق على مقربة من مكتبة آل حنّوش على مساحة تقدر في حدود ستمائة مترٍ مربعٍ تقريبا حيث شيّدها المرحوم الحجة السيّد علي شبر عام (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٤ م) وكان من كبار العلماء في الكويت وقد أشرف المؤسس بنفسه على البناء بعد أن جاء من الكويت إلى مدينة النجف الأشرف[٢]، وتتكون المدرسة من طابقين وتحتوي على عدّة غرف.

وقد تم ترميم المدرسة مؤخرا من قبل دائرة الوقف الشيعي.

٣٠ ـ مدرسة البهبهاني:

لقد بنى أحد التجار الكويتيين من أصل بهبهان على امتداد شارع الإمام زين العابدين عليه السلام من جهة الغرب وفي محلة العمارة على الطرف الشمالي من الشارع

---

(١) الحكيم، المفصل في تاريخ النجف: ١٦ / ٤٣.

(٢) المرجع نفسه: ١٦ / ٥٢.

مقبرة لنفسه وأولاده، وشيّد في الطابق الثاني مدرسة صغيرة لاستقبال القادمين من الطلبة إلى النجف الأشرف وكان ذلك حدود عام (١٣٩٠ هـ ـ ١٩٦٩ م) تقريبا.

٣١ ـ جامعة النجف الأشرف:

وهي مدرسة شيّدت على أرض مساحتها خمسة آلاف مترٍ مربعٍ في حي السعد في ضاحية النجف الأشرف على طريق الكوفة ذات طوابق ثلاثة عدا الطابق الأرضي، وفيها مائتان وثماني غرفة ومكتبة كبيرة مع قاعات ثلاث للتدريس.

وقد بذل التكاليف المحسن الحاج محمد تقي إتفاق الطهراني تحت إشراف العلّامة السيّد محمد الموسوي المشهور بـ (كلانتر) واستمر البناء ستة أعوام حيث شرع في البناء (١٣٧٦ هـ ـ ١٩٥٥ م) واستمر العمل حتى سنة (١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦١ م)[1].

وتعتبر هذه المدرسة أضخم وأوسع مدرسة بنيت في تأريخ مدارس النجف الدينية وهي لا تزل مفتوحة لطلبة العلوم الدينية[2].

٣٢ ـ مدرسة عبد العزيز البغدادي الدينية:

أنشأ هذه المدرسة الحاج عبد العزيز البغدادي على مساحة قدرها ألف وتسعمائة مترٍ مربعٍ في طابقين يحتويان على اثنتين وخمسين غرفة في حي السعد على مثلث الطرق: النجف ـ الكوفة ـ كربلاء.

وقد انتهى البناء عام (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٢ م) وافتتحها المرجع الكبير السيّد محسن الحكيم قدّس اللّه نفسه[3].

---

(١) للتوسع أُنظر، موسوعة النجف الأشرف: ٦ / ٤٣٥ ـ ٤٣٧، والمرجع السابق: ١٦ / ٥٧.

(٢) الحساني، المدارس الدينية في النجف: ٥٣.

(٣) موسوعة النجف الأشرف: ٦ / ٤٣٧.

٣٣ ـ مدرسة الأفغانيين (أمير المؤمنين):

هي مدرسة أُقيمت على أرض مساحتها أربعمائة مترٍ مربعٍ في محلة الجُدَيدة خلف حديقة الغازي حيث أوقف الشيخ حسن الأفغاني الأرض وجمع المحسنون الأموال وشيدوا فيها سبع غرف على أساس تكميلها مدرسة دينية.

٣٤ ـ مدرسة الحكيم (جامعة الحكمة):

شيد الإمام الحكيم قدّس اللّه نفسه على قطعة أرض مساحتها سبعمائة وأربعة عشر مترا مربعا في ساحة المشراق مدرسة ذات طوابق ثلاثة على هندسة فريدة من نوعها في النجف الأشرف حيث يكون الممر من خلف الغرف على خلاف معظم المدارس المشيدة حيث يكون الممر فيها من الجهة الأمامية لساحة المدرسة. وقد انتهى البناء أيام حياة المرجع السيّد الحكيم رضوان اللّه تعالى عليه وهي في حدود مائة وخمسين غرفة. وقد أقدم النظام الصدامي على تفجيرها بعد اخفاق الانتفاضة الشعبانية عام (١٩٩١ م).. وبعد سقوط النظام السابق عام (٢٠٠٣ م) عُوضت بمكان واسع كبير، يقع في الشارع الرابط بين النجف والكوفة، وكان مؤسسة حكومية قبل سقوط النظام..[١] ولا زال البناء فيها مستمرا.

٣٥ ـ مدرسة السيّد الخوئي:

بنى المرجع الكبير السيّد الخوئيﷺ مدرسة على الجهة الغربية من شارع دورة الصحن الشريف بين شارعي الإمام زين العابدين والإمام الصادقعليهما السلام ذات طوابق ثلاثة وكان البناء مستمرا عام (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٤ م).

---

(١) الحكيم، المفصل: ١٦ / ٥٢.

إلّا أن الحكومة البعثية الصدامية قد أزالت كل الأبنية والمحلّات والمدارس الواقعة بين امتداد شارعي الإمام الصادق والإمام زين العابدينعليهما السلام من الصحن الشريف إلى جهة الغرب حتى نهاية (الشوافع). ويجري العمل الآن لإعادة بناء هذه المدرسة في نفس مكانها السابق.

٣٦ـ مدرسة الكلباسي:

اشترى المرحوم الحجة الشيخ محمد علي الكلباسي دارا مساحتها مائة وسبعة وأربعون مترا على الجانب الغربي من مدرسة البروجردي الصغرى وقد أسست هذه المدرسة عام (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٤ م)[١].

٣٧ـ مدرسة الجوهرجي:

أسس الحاج محمد صالح الجوهرجي في محلة المناخة في شارع المدينة في النجف الأشرف مسجدا واسعا وبنى إلى جنب المسجد حسينية كبيرة ثمّ بنى على الشارع العام من ساحة الحسينية محلّات وحماما عاما للرجال باسم حمام الكوثر ثمّ هدم الحمام وأدخل ساحة الحمام في المسجد والحسينية وبنى محلّات جديدة ثمّ بنى على الطابق العلوي مدرسة لطلّاب العلوم الدينية ذات اثنتين وخمسين غرفة وذلك عام (١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦١ م)[٢].

٣٨ـ مدرسة الرحباوي:

شيّد الحاج عباس محسن ناجي الرحباوي النجفي عام (١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٧ م)

---

(١) أُنظر، موسوعة النجف الأشرف: ٦ / ٤٤٠.

(٢) المرجع نفسه: ٦ / ٤٣٤.

على رقعة أرض مساحتها مائتا متر مربع في طابق واحد حسينية صغيرة مع بناء اثنتي عشرة غرفة في الجانب الشرقي والغربي لإسكان طلّاب العلوم الدينية.

٣٩ ـ مدرسة الهنود:

اشترى السيّد محسن الحكيم أرضا على شارع أبي صخير وبنى عليها مدرسة لطلّاب العلوم الدينية القادمين من الهند وذلك قبل عام (١٩٧٠ م).

٤٠ ـ المدرسة الأزرية:

تولّى المرحوم الحاج عبد الأمير الأزري شراء قطعة أرض في محلّة الجديدة على مقربة من خان المخضر والمدرسة العاملية فجعل قسما منها مدرسة دينية والقسم الآخر مقبرة لنفسه وأولاده[١].

هدم بعض المدارس أو انقراضها:

ثمّ إنّ مدرسة الحكمة للسيّد الحكيم قد تفجّرت وتهدمت عام (١٤١٢ هـ) وأن المدارس التالية: مدرسة السيّد الخوئي، ومدرسة السيّد كاظم اليزدي الثانية، ومدرسة الحاج ميرزا الخليلي الكبرى، ومدرسة الحاج ميرزا الخليلي الصغرى، ومدرسة السيّد كاظم اليزدي الثانية قد تهدمت عام (١٩٨٩ م) نتيجة هدم المدارس والمساجد والمكتبات والمحلّات والبيوت و... بين شارع الإمام الصادق وشارع الإمام زين العابدين عليه‌السلام[٢].

هذا ما ذكره السيّد الغروي في قائمته عن مدارس النجف الأشرف، ولابد لنا من الاستدراك لما فاته ذكرها من مدارس، أو لم يواكب فترة انشاءها، وسوف نساير

(١) للتوسع أُنظر، الحساني، المدارس الدينية في النجف: ٥٦.

(٢) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ٢١٢ ـ ٢٢٨ بتلخيص.

التسلسل العددي الذي ذكره السيّد الغروي.

٤١ ـ مدرسة السلطان محمد خدابنده:

شيّد السلطان المغولي محمد خدابنده وابنه السلطان أبو سعيد، في العهد المغولي الأليخاني، مدرسة وخانقاه (تكية) للصوفية البكتاشية، ويعود تاريخ بناءها إلى القرن السابع الهجري، وخربت سنة (١٤١٠ هـ) بطريقة تعسفية مؤسفة[١].

٤٢ ـ مدرسة الوندي (القاسمية):

قال الشيخ محبوبة: «وورد ذكر لمدرسة تنسب للشيخ قاسم الوندي وهي مجهولة المحل». يقول الحكيم: «تنسب هذه المدرسة للشيخ قاسم بن الشيخ محمد جواد الوندي، المتوفى عام (١١٠٥ هـ) وتسمى أيضا بالقاسمية، ولم يعرف موقع المدرسة من أطراف مدينة النجف الأربعة حيث إنها تعد من المدارس المنقرضة، وقد ورد ذكرها في بعض النصوص باسم المدرسة القاسمية»[٢].

٤٣ ـ مدرسة باب القبلة:

وتقع مدرسة باب القبلة في طرف الحويش، وقد انقرضت وتحولت إلى عمارة ذات حوانيت ومخازن[٣]. وقد أشار الشيخ علي الشرقي في أحلامه إلى هذه المدارس المنقرضة[٤].

---

(١) أُنظر، محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ٤٦، والشرقي، الأحلام: ٦٨، والحكيم، المفصل: ١٦ / ١٩.

(٢) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٤٢ والحكيم، المفصل: ١٦ / ٣٦.

(٣) المرجع نفسه: ١٦ / ٦٧.

(٤) الأحلام: ٤٦.

٤٤ ـ مدرسة غديريان:

ذكرها الشيخ محبوبة ولم يسمها فقال: «مدرسة صغيرة في محلة العمارة في الشارع المار إلى جبل (شرفشاه) خلف شارع آل الخمايسي، وهي كبعض الدور يسكنها بعض الطلّاب مع عيالاتهم».

وعرفها بهذا الاسم الشيخ الفضلي، وقال: «إنها دار صغيرة لسكنى الطلبة مع عوائلهم وتقع في محلة العمارة».

وقد أُزيلت هذه المدرسة بعد تنفيذ مشروع مدينة الزائرين في طرف العمارة[١].

٤٥ ـ مدرسة الهمداني:

تقع مدرسة الهمداني في طرف الحويش، وتجاور دور السادة آل الحبوبي، وقد درس فيها السيّد جمال الدين الأفغاني، ثمّ أُزيلت هذه المدرسة أو هدمت، وأعتقد أنها كانت لأُسرته المعروفة بآل الحسيني الهمداني[٢].

٤٦ ـ مدرسة العلوم الإسلامية:

تأسست هذه المدرسة سنة (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٦٣ م) برعاية مرجع المسلمين الشيعة آنذاك، السيّد محسن الحكيم، وكانت تعبيرا عن نزعة اصلاحية في الحوزة العلمية في النجف، وكان الهدف من تأسيسها تحقيق أمرين مهمين هما:

الأول: تجديد في مناهج التدريس في الحوزة، وتطويرها بما ينسجم مع متطلبات العصر...

---

(١) محبوبة، ماضي النجف وحاضرها: ١ / ١٤٢، والفضلي، دليل النجف: ٧٤، والحكيم، المفصل: ١٦ / ٦٩.

(٢) الحكيم، المفصل: ١٦ / ٧٠.

الثاني: خلق جيل من العلماء الشباب الواعين، الذين يتحملون مسؤولية التبليغ ويساهمون في التحرك السياسي والذي تقوده المرجعية.

ويكاد يجمع أكثر من كتبوا عن هذه المدرسة على أنها من مقترحات السيّد محمد باقر الصدر، فهو الذي أقنع الإمام الحكيم بضرورة تنظيم الدراسة بهذا الشكل، وكان له دور في ادارتها، فمعظم أساتذتها هم من تلامذة السيّد الصدر، وأغلب مناهجها الفكرية والثقافية من كتبه كـ (المدرسة الإسلامية) و (فلسفتنا) و (اقتصادنا).

وكان المدير الإداري لهذه المدرسة هو السيّد علي الباقري، وهو من أوائل خريجي كلية الفقه من طلّاب الحوزة.

وواجهت هذه المدرسة مشاكل متعددة، وخاصة بعد رحيل السيّد الحكيم (١٣٨٣ هـ ـ ١٩٧٠ م)، فأقدم النظام الحاكم على أغلاقها في حدود سنة (١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٧ م)[1].

٤٧ ـ مدرسة الإمام المهدي (آل مرزة):

تأسست من قبل الحاج مهدي ناصر مرزه في منطقة الجُدَيدة الأُولى وعلى الشارع العام الذي يربط النجف بأبي صخير على مساحة تبلغ ٨٠٠ متر مربع عام (١٣٩٣ هـ) من طابقين، وتحتوي على (٤٦) غرفة اضافة إلى مكتبة وقاعة للدرس ومسجد.. وقد أغلقت المدرسة في فترة النظام السابق ثمّ استغلت كجمعية استهلاكية، وفي عام (١٤١٧ هـ) تمّ ترميمها وتأهيلها من جديد، وقد اتخذها المرجع الديني السيّد محمد محمد صادق الصدر مقرا لجامعته وقد حملت اسم «جامعة

---

(١) البهادلي ـ علي، الحوزة العلمية في النجف: ٣٤٢ وما بعدها، والحكيم، حسن، المفصل: ١٦ / ٧٣.

النجف الدينية»، وبعد سقوط النظام البائد استلم بنايتها الشيخ الشهيد مهدي العطار، متخذا منها مقرا لمدرسة أهل البيتعليهم السلام، ثمّ انتقل منها إلى مكان آخر.

ويتولى وقفية المدرسة في الوقت الحاضر الشيخ علي ميرزه، وقد جدد ديوان الوقف الشيعي بناية المدرسة، وأُضيفت إليها مباني أُخرى عام (٢٠٠٩ م)[1]، وفي الوقت الحاضر يستفاد منها كمدرسة دينية، وتستثمر لأغراض أُخرى لا تمت إلى الدراسة الحوزوية.

٤٨ ـ مدرسة الحكيم الثانية (الباكستانية):

تمَّ بناء وتأسيس هذه المدرسة على يد مجموعة من التجار الباكستانيين ثمّ سلمت تولية أمرها للمرجع الديني آنذاك السيّد محسن الحكيم وكانت وقفيتها وتوليتها عائدة له، وتحتوي على ٦٨ غرفة تقريبا في بناية تتألف من طابقين موزعة بشكل مستطيل وعلى جوانبها الأربعة.

وفي وسطها حديقة كبيرة، كما تحتوي على مسجد لإقامة الصلاة ويستخدم أيضا قاعة لإعطاء الدروس والمحاضرات، وفيها سرداب بعمق ٧ أمتار، وللمدرسة بابان، الأول على شارع نجف ـ أبوصخير مقابل مديرية بلدية النجف، والباب الثاني الخلفي يطل على منطقة الجُدَيدة الأُولى (خان المخضر). أخذت المدرسة فترة من التعطيل ثمّ أُعيد بناؤها وترميمها من قبل المرجع الديني السّيد محمد سعيد الحكيم، ثمّ بعد ذلك بدأت الدراسة فيها ثانية...

---

(١) الحكيم، المفصل: ١٦ / ٧٦، والحساني، المدارس الدينية في النجف: ٥٦ ـ ٥٧.

٤٩ ـ مدرسة الأحمدية:

تأسست عام (١٩٧٣م) من قبل الأفغاني (جمن أخلاقي نور محمد) وهي أشبه بالدار، استغلت لإسكان طلبة العلوم الدينية في تلك الفترة؛ وتقع في محلة الجُدَيدة الرابعة، ألا أنها أهملت وتركت وهجرها طلبتها وحاليا مهدمة وغير صالحة للسكن.

٥٠ ـ مدرسة الإمام الحسن:

تقع في محلة الجُدَيدة الرابعة وهي شبه دار استغلت لإسكان طلبة الحوزة العلمية، وقد تأسست عام (١٩٣٩م) من قبل الأفغاني السيّد عوض، ونتيجة الإهمال أغلقت[1].

٥١ ـ مدرسة دار الابرار:

وهي عبارة عن دار اشتراها الحاج عبد الشهيد محمد النجار، وهو تاجر من بغداد في منطقة الحويش مساحتها ٦٠٠ متر مربع، اقتطع منها ٢٠٠ متر مربع وجعلها مدرسة دينية، أما الباقي فجعلها دار استراحة لعائلته اثناء الزيارات.

وفي عام (١٤١٧هـ) تمَّ جعل المدرسة تحت تصرف المرجع الديني الشيخ بشير النجفي. يتألف بناؤها من ثلاثة طوابق وعدد غرفها ١٤ غرفة مع سردابين. وهي مفتوحة لطلبة العلوم الدينية لحد الآن.

٥٢ ـ مدرسة دار المتقين:

تقع في محلة الحويش، وقد أُنشئت عام (١٤١٩هـ) وهي باسم نجاة الجيلاوي حيث قامت باقتطاع قسم منها بمساحة ٥٠ مترا مربعا وجعلتها مقبرة لها ولعائلتها،

---

(١) الحساني، المدارس الدينية: ٥٤ ـ ٥٥.

والقسم المتبقي البالغ ٨٠ مترا مربعا جعلته مدرسة دينية تحت تصرف المرجع الديني الشيخ بشير النجفي، والمدرسة تحتوي على ١١ غرفة بطابقين مع سرداب، وهي مفتوحة لحد الآن لطلبة العلوم الدينية[١].

٥٣ ـ مدرسة الحاج مخيف:

أسس الحاج مخيف (ت ١٣٦٢ هـ ـ ١٩٤٣ م) هذه المدرسة، وهي في الأصل كانت دارا أوقفها في حياته، ثمّ حولها إلى مدرسة دينية، وقد دفن فيها عند وفاته، وتقع في طرف العمارة قرب السوق، وقد أُزيلت عند تنفيذ مشروع مدينة الزائرين[٢].

هذه أهم المدارس القديمة التي يمكن أن نشير إليها في هذا الاستقراء، «ومما لا شك فيه ـ اجمالاً ـ ان عددا ـ آخر ـ من المدارس كان قد شيّد في النجف ثمّ اندثر باندثار البيوت ولم يصلنا من أخبار هذه المدارس إلّا ذكرها عرضا وفي أثناء الرحلات، كما ورد في رحلة ابن بطوطة»[٣].

* المدارس الجديدة في حوزة النجف الأشرف:

بعد حقبة زمنية قاسية حكم فيها النظام البعثي الصدامي ولأكثر من ثلاثة عقود من الزمن، انقشع ليل الظلام، ليسفر وجه الصباح عن ازالة هذا النظام عن الحكم، إلّا أنّ تبعات وآثار جرائمه البشعة لم تزل باقية، والتي طالت كل شيء، وكل المدن العراقية، وخاصة المدن المقدّسة منها، وعلى رأسها حاضرة العلم والمعرفة، وبلد الحوزة العلمية، والمرجعية العليا للشيعة الإمامية النجف الأشرف، وقبل هذا وذاك هي مدينة

---

(١) الحساني، المدارس الدينية: ٥٥ ـ ٥٦.

(٢) الحكيم، المفصل: ١٦ / ٧٢.

(٣) الخليلي ـ محمد، مدارس النجف القديمة والحديثة، موسوعة النجف الأشرف: ٦ / ٤٠٥.

علي ومحل مثواه عليه السلام حيث كان لها من آثار جرائم النظام النصيب الأكبر.

إلّا أنّ الحوزة العلمية قد نهضت من جديد، ونفضت عن نفسها تراكم غبار السنين الكالحة، لينطلق العلم من عقاله، ولتعود إلى مساجد النجف ومدارسها، وحسينياتها حركتها العلمية، ولتتقاطر على مدينة باب علم رسول اللّه صلى الله عليه وآله عشرات المهاجرين من أنحاء العراق المختلفة طلبا للعلم والمعرفة، في مدينة العلم والمعرفة النجف الأشرف.

وشهدت الحوزة العلمية في النجف الأشرف وطوال هذه السنوات نشاطا علميا كبيرا، وعلى مختلف الأصعدة والتي منها (انشاء المدارس العلمية الجديدة) لاستيعاب الطلّاب الوافدين إلى هذه المدينة، وتسهيل سكنهم، وتوفير الأجواء العلمية لهم.

ومن أهم المدارس التي أُنشئت في هذه الفترة هي:

١ ـ مدرسة الإمام الكاظم عليه السلام:

أُنشئت هذه المدرسة سنة (١٤١٥ هـ) في مدينة قم المقدسة..، وحققت نجاحا كبيرا في الوسط العراقي المهجر من بلده.. وبعد سقوط النظام انتقلت هذه المدرسة إلى مدينة النجف الأشرف، وبنفس الرؤية والأهداف والمناهج وشروط القبول...

وتعتبر مدرسة الإمام الكاظم في النجف الأشرف اليوم احدى المدارس الحوزوية المهمة، وتشرف عليها لجنة مؤلفة من ثلاثة أشخاص يرأسهم سماحة السيّد حسين نجل الشهيد السعيد السيّد علاء الدين الحكيم. وللمدرسة شرائط للقبول، ونظام تعليمي، ومنهج دراسي متميز؛ يجمع بين المنهج المألوف في الحوزات العلمية مع بعض الدروس الاضافية، والتي تعرف في الوسط الحوزوي بالدروس الجانبية، إلّا أنها

باتت أساسية في الوقت الحاضر، مثل علوم القرآن والعقيدة..[١].

٢ ـ مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية في النجف الأشرف:

أشرنا سابقا إلى مدرسة دار الحكمة التي أسسها السيّد محسن الحكيم في النجف الأشرف عا (١٣٨٢ هـ ـ ١٩٦٨ م)، والتي فجر بنايتها النظام البعثي بالديناميت وذلك بعد الانتفاضة الشعبانية عام (١٤١١ هـ ـ ١٩٩١ م)، وقد بادر السيّد الشهيد محمد باقر الحكيم (رحمة اللّه عليه) إلى فتح مدرسة في مدينة قم تحمل نفس الإسم عام (١٤١٢ هـ ـ ١٩٩١ م).

وبعد زوال النظام البائد فتحت هذه المدرسة في مدينة النجف الأشرف، وأعادت نشاطها من جديد عام (١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٣ م). وقد عوضت الدولة بنايتها المدمرة سابقا ببناية واسعة من بنايات الدولة على طريق النجف الكوفة وقرب ساحة الصدرين، فحلت فيها لتواصل مشوارها العلمي في تربية طلبة العلوم الدينية. وأنشئت في باحة هذه البناية بناية أُخرى كبيرة ومن طوابق متعددة تحمل اسم مدرسة (دار الحكمة) ولا زال العمل جاريا فيها.

وتشرف على هذه المدرسة لجنة من أبناء وأحفاد آل الحكيم، وعلى رأسهم السيّد عمار الحكيم، وللمدرسة منهجها الدراسي الذي لا يشذ عن المنهج المتعارف في حوزة النجف الأشرف مع اضافة بعض المتون الدراسية الحديثة[٢].

٣ ـ مدرسة أهل البيت للعلوم الإسلامية:

تعتبر مدرسة أهل البيت للعلوم الإسلامية من المدارس المهمة في النجف

---

(١) الحكيم ـ السيّد هادي، حوزة النجف الأشرف: ٤٥٥ وما بعدها.

(٢) أُنظر، المرجع نفسه: ٤٦٧.

الأشرف ولها مكانتها المتميزة من بين مدارس الحوزة العلمية في حوزة النجف الأشرف العلمية.

وهي ثمرة يانعة من ثمار دار الهجرة، إذ تأسست هذه المدرسة من قبل الشهيد السعيد الشيخ مهدي العطارﷺ في مدينة قم المقدّسة سنة (١٤١٢ هـ)، واستقطبت مجاميع كبيرة من الجالية العراقية المهاجرة إلى الجمهورية الإسلامية، وخاصة من الساكنين في مدينة قم وطهران، إذ انتسب الكثير منهم لهذه المدرسة وتخرج منها، وبعضهم ارتقى إلى درجة الأُستاذية في حوزة النجف الأشرف.

وبعد سقوط النظام البائد في العراق، انتقلت المدرسة إلى مدينة النجف الأشرف وواصل الشيخ العطارﷺ اشرافه عليها إلى حين استشهاده.

مدة الدراسة فيها (٧) سنوات لمرحلتي المقدّمات والسطوح، ثمّ يتخرج الطالب منها ليكمل دراسته في مرحلة السطوح العالية والبحث الخارج عند أساتذة الفقه والأُصول خارج المدرسة.

وقد تخرّج من المدرسة خلال السنوات الثلاث الأخيرة أكثر من (٥٠) طالبا ممن أكملوا دراسة المقدّمات والسطوح، ليحل محلهم طلّاب جدد، للمراحل الدراسية التمهيدية والأُولى. وتوفر المدرسة لطلابها القسم الداخلي للطلّاب العزاب منهم، مع وجبات الطعام، والكتب الدراسية، والأساتذة الأكفاء.. وتوجد في بناية المدرسة مكتبة جيدة لمطالعة الطلّاب.

والمدرسة ملتزمة بمنهجها الدراسي، منهج الحوزة العلمية في النجف الأشرف مع اضافة بعض الدروس الأُخرى في علوم القرآن، والفلسفة، والعقائد، والقواعد الفقهية والأخلاق والخطابة.

٤ ـ مدرسة الإمام الخميني ﷺ للعلوم الإسلامية:

تأسست مدرسة الإمام الخميني ﷺ للعلوم الإسلامية في سنة (١٤٣٠ هـ)، من قبل بعض فضلاء الحوزة العلمية، ومن محبي ومريدي الإمام الخميني ﷺ.

ولاقت هذه المدرسة ومنذ افتتاحها في بناية مستأجرة في محله الجديدة الثانية من محلات النجف القديمة، اقبالاً منقطع النظير، فأقبل للانتساب إليها الكثير من طلّاب العلوم الإسلامية، ففاق عدد طلّابها، عدد طلّاب المدارس الأُخرى، إذ بلغ عددهم أكثر من (١٢٠) طالبا ولا زال العدد في تزايد مستمر.

ونجحت المدرسة ومن خلال هيئة الاشراف عليها، ومن خلال جهود مديرها العام التنفيذي نجاحا كبيرا وعلى مختلف الأصعدة.

ففي مجال المنهج الدراسي، تميز منهجها بالمزاوجة بين المنهج المألوف والمتعارف في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وبين العلوم الأُخرى التي يحتاجها الطالب في مجال التبليغ والتغيير الاجتماعي.

وفي مجال الخدمات، فالمدرسة تقدم أفضل الخدمات للطالب من المكان المناسب، والأُستاذ الكفوء، والكتب الدراسية اللازمة، وبعض المساعدات المالية، بالاضافة إلى السكن اللائق في بناية مجهزة بوسائل الراحة الكاملة ومستقلة عن بناية المدرسة، مع وجبة طعام مجانية، وسفرة ترفيهية سنوية، وبعض الخدمات الأُخرى.

مدّة الدراسة المقررة في المدرسة (٩) سنوات يدرس الطالب خلالها مرحلة المقدمات والسطوح، والسطوح العليا، بالاضافة إلى بعض الدورات التخصصية التي يجتازها الطالب في المدرسة خلال هذه الفترة.

وتبقى هذه المدرسة خطوة رائدة، لاحياء علوم أهل البيت ﷺ، وباسم عالم رباني

فذ، قدم للإسلام والمسلمين وللمذهب الكثير الكثير فاستحق أن يخلد اسمه مع الخالدين والعلماء الربانيين رضوان اللّه تعالى عليهم أجمعين.

٥ ـ مدرسة الشهيد الصدر (السيّد محمد باقرﷺ):

تعتبر مدرسة الشهيد الصدرﷺ من أوائل المدارس العلمية التي تأسست في مدينة قم المقدّسة، ويعود تاريخ تأسيسها إلى عام (١٤٠١ ـ ١٤٠٢ هـ)، وعلى يد نخبة من تلامذة السيّد الشهيد الصدر، مثلوا هيئتها التعليمية وإدارتها، وتوليتها وعلى رأس أُولئك سماحة آية اللّه السيّد كاظم الحائري (حفظه اللّه).

وقد انتسب لهذه المدرسة عدد كبير من المهاجرين إلى الجمهورية الإسلامية، وتخرج منها نخبة من العلماء الفضلاء ممن يُشار إليهم بالعلم والفضل كأساتذة وكتّاب وخطباء.. بالاضافة إلى جملة من الشهداء الأبرار والتي تتزين قاعة إدارة المدرسة بصورهم.

افتتحت هذه المدرسة فرعا لها في مدينة النجف الأشرف يحمل نفس الاسم واتخذت من بناية المدرسة الأُزرية مقرا لها، فيما بقي فرعها الرئيسي في مدينة قم لتتحول إلى كلية للشريعة الإسلامية تابعة لجامعة المصطفى العالمية.

٦ ـ مدارس وحوزات علمية أُخرى:

هناك مجموعة من المدراس العلمية الدينية تأسست في النجف الأشرف بعد سقوط النظام؛ وتؤدي رسالتها التربوية والعلمية ضمن اطار الحوزة العلمية في النجف الأشرف، لا يسع المجال للتوغل في ذكر تفاصيل عنها، وإنما نكتفي بالاشارة إليها:

١ ـ مدرسة (جامعة) الإمام المهديعليه السلام ويشرف عليها السيّد صدر الدين القبانچي.

٢ ـ مدرسة علي بن أبي طالب (أمير المؤمنين عليه السلام) باشراف الشيخ يوسف الناصري.

٣ ـ مدرسة الإمام الحسن عليه السلام باشراف السيّد عمار أبو رغيف.

٤ ـ مدرسة الإمام الحسين عليه السلام للخطابة والتبليغ باشراف الشيخ محمد مهدي الآصفي.

٥ ـ مدرسة الإمام المنتظر (المهدي) باشراف السيّد علاء الدين الموسوي.

٦ ـ مدرسة الرسول صلى الله عليه وآله باشراف السيّد حسن النوري، وبإدارة السيّد علي النوري.

٧ ـ مدرسة الشيخ المفيد، بادارة الشيخ عارف الأسدي.

٨ ـ مدرسة الولاية الكبرى بادارة الشيخ علي العبودي.

٩ ـ مَدْرس دار العلم، باشراف السيّد صادق التبريزي ونخبة من أساتذة المقدّمات والسطوح.

هذه أهم المدارس والحوزات العلمية القديمة والحديثة في حوزة النجف العلمية، بالاضافة إلى مدارس أُخرى افتتحت وسرعان ما أغلقت لعدم تمكن المؤسسين لها من الاستمرار فيها، لضيق اليد وعدم القدرة على توفير نفقاتها، كما أن هنالك مدارس أُخرى قيد الانشاء والتأسيس.

*** مدارس وحوزات علمية خاصة (بالنساء):**

مع هذا التطور الكمي والكيفي الذي شهدته حركة تأسيس المدارس العلمية في اطار الحوزة العلمية في النجف الأشرف، لم نجد ـ وللأسف الشديد ـ أي مدرسة علمية من المدارس ـ وإلى فترة متأخرة من زماننا هذا ـ قد خُصِصت لتدريس النساء! «فبقيت الأوساط النسائية الإسلامية محرومة حتى فترة متأخرة من وجود عالمات

ومبلغات وخطيبات ومدرسات ومربيات اسلاميات يمارسن دورهن في التربية وإعداد الوسط النساني، وتوجيه هذا الوسط إلى الثقافة الإسلامية، إلى أن قام لفيف من العلماء والموجّهين العراقيين من داخل الحوزة العلمية ـ في مدينة قم المقدّسة ـ بفتح حوزة خاصّة بتربية وإعداد العالمات والمبلّغات، وهكذا تأسست حوزة الشهيدة بنت الهدى للدراسات الإسلامية»[1].

وفيما يلي أسماء بعض المدارس والحوزات النسائية سواءً التي أُنشئت في المهجر ثمّ انتقلت إلى مدينة النجف الأشرف بعد سقوط النظام البائد، أو التي أُنشئت جديدا من قبل بعض العلماء الأعلام.

١ ـ مدرسة الشهيدة بنت الهدى (رض):

تأسست هذه المدرسة في مدينة قم سنة (١٤٠٣ هـ) بعد تشخيص الحاجة الملحّة لوجود صرح تعليمي إسلامي، فقام بهذا الأمر سماحة الشيخ محمد مهدي الآصفي، يؤآزه مجموعة من الفضلاء والأساتذة.

وقد أخذت هذه المدرسة الحوزوية على عاتقها تحقيق جملة من الأهداف منها:

١ ـ تربية وتعليم مجموعة من الأخوات في مختلف أبواب الثقافة الإسلامية.

٢ ـ إعداد المبلغات والمرشدات والداعيات إلى اللّه.

٣ ـ إعداد المدرسات الناجحات.

٤ ـ إعداد خطيبات المنبر والمحاضرات.

ووضعت لتحقيق هذه الأهداف منهجا دراسيا متميزا يجمع بين العمق الحوزوي

---

(١) من مقدّمة النظام الداخلي لمدرسة الشهيدة بنت الهدى، والذي كتبناه فترة تولينا إدارة مدرسة بنت الهدى، والذي امتد لأكثر من عشر سنوات، ولفترتين منفصلتين.

ومعطيات الدراسات الحديثة. وضمن مراحل دراسية تستمر لفترة (٦) سنوات دراسية أو أكثر في بعض الأحيان.

وكانت هذه المدرسة الحوزوية أول مدرسة تفتح أبوابها في مدينة قم أمام الطالبات المؤمنات، ولهذا كان الاقبال عليها كبيرا جدا إذ بلغ عدد الطالبات في بعض السنوات (٥٠٠) طالبة.

واستمرت هذه المدرسة في عطائها وتخرجت منها الكثير من الأخوات من العراقيات ومن جنسيات أخرى، ليمارسن عملهن التدريسي والتبليغي، والفكري والثقافي، ونجد من بين تلك الأخوات من وصلت إلى بعض المناصب الرسمية في دولة العراق بعد سقوط النظام.

وحققت هذه المدرسة المباركة انجازات علمية كبيرة، وأصبح لها بناية مستقلة بفضل جهود بعض المحسنين، بالاضافة إلى حسينية كبيرة مجاورة لها، إلّا أنّ مهام تولية هذه المدرسة كانت بيد الشيخ محمد مهدي الآصفي وحده، من دون أن يشاركه أحد في أمرها.

فسلّم الشيخ الآصفي هذه المدرسة للمركز العالمي للعلوم الإسلامية والتي تعرف الآن بـ (جامعة المصطفى العالمية) وسلّم معها جميع ما يتعلق بها من بناية المدرسة وأثاثها، وبناية القسم الداخلي، وبذلك انطوت صفحة هذه المدرسة في مدينة قم، وتحولت إلى كلية من كليات جامعة المصطفى العالمية، وتغيرت كل مناهجها، ولغة التدريس فيها، ووضع لها منهج آخر، وشروط للقبول والتخرّج.. وسوف يأتينا الحديث عن هذه المدرسة لاحقا ضمن الحديث عن مدارس جامعة المصطفى في حوزة قم.

وبعد سقوط النظام البائد، افتتح سماحة الشيخ الآصفي، حوزة نسائية في مدينة النجف الأشرف سماها باسم (مدرسة الشهيدة بنت الهدى)، ولا زالت هذه المدرسة قائمة في أحد أحياء النجف الأشرف.

ولقد وفّقت لإدارة مدرسة بنت الهدى في قم أيام عزها الشامخ ولمدة امتدت أكثر من عشر سنوات، وواكبت سيرها العلمي خلال هذه الفترة، وبذلنا مع بعض الاخوة والأخوات جهودا كبيرة لنجاحها واستمراريتها، رغم الامكانات المالية الضعيفة المتاحة لها. لكن أزيل تاريخ هذه المدرسة القديم، وطُويت صفحة وجودها، لتبقى بعدها مجرد ذكرى في ذاكرة خريجيها وأساتذتها.

٢ ـ مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية في النجف الأشرف ـ القسم النسوي:

تأسست هذه المدرسة في النجف الأشرف بعد سقوط النظام السابق، وقد سارت هذه المدرسة على أُسلوب الحوزات العلمية في مراحلها الدراسية الأولية المعتمدة في مرحلتي المقدمات والسطوح، وضمن مرحلتين دراسيتين ولمدّة تتراوح ما بين (٨ إلى ١٠ سنوات) معتمدةً المناهج المعروفة في الحوزة العلمية مع اضافة بعض المواد الدراسية الإلزامية، كالتفسير، والتلاوة، وعلوم القرآن، والسيرة، والأخلاق.

وتعتبر هذه المدرسة من الواجهات الثقافية والفكرية لمؤسسة شهيد المحراب التابعة للمجلس الأعلى والتي يشرف عليها السادة من آل الحكيم.

٣ ـ مدرسة دار العلم النسائية للعلوم الدينية:

تأسست هذه المدرسة سنة (٢٠٠٣ م) بمبادرة من السيّد أحمد الصافي (حفظه اللّه)، وانتقلت في عدّة أماكن إلى أن استقر مكانها في حي الغدير. وللمدرسة نظام إداري ودراسي محدد، ولا يختلف منهجها الدراسي عن المناهج الدراسية للحوزات الأُخرى وتشمل: الفقه، والعقائد، والمنطق، والنحو والصرف، وعلوم القرآن.. ولكل من هذه العلوم كتبه المقررة. ويبلغ عدد طالبات المدرسة حوالي (١٢٠) طالبة موزعة على أربع مراحل دراسية.

٤ ـ مدرسة أهل البيت عليهم السلام للعلوم الإسلامية (النسائية):

تأسست مدرسة أهل البيت للعلوم الإسلامية (النسائية) في حدود سنة (٢٠٠٥ م) من قبل سماحة الشيخ الشهيد مهدي العطار رحمه الله لتكون فرعا من فروع مدارس أهل البيت عليهم السلام التي كان يطمح الشيخ العطار أن يوسعها لتشمل مناطق العراق ومحافظاته.. إلّا أنّ شهادته ورحيله إلى ربّه قد أثّر في استمرار مدارس أهل البيت بفرعيها الرجالي والنسوي. وللمدرسة نظام إداري ومنهج دراسي متميز ويبلغ عدد طالباتها في حدود (٦٠) طالبة، وفترة الدراسة فيها خمس سنوات ووقت الدراسة مسائي، وعدد مراحلها الدراسية خمس مراحل، تدرس فيها دروس المقدّمات وبعض دروس السطوح، وتقدم المدرسة لطالباتها، الكتب الدراسية، والنقل المجاني، بالاضافة إلى بعض المساعدات المالية.

* المدارس الاصلاحية في النجف ورواد الاصلاح فيها:

لقد سارت الحوزة العلمية في مناهجها، وطرق تدريسها، ومواصفات طلابها، واستقلاليتها المالية والإدارية، وجدارتها العلمية ولقرون من الزمن المتلاحقة، محصنةً نفسها عن الأفكار الوضعية الوافدة على البلدان الإسلامية. ولا زالت ـ وبحمد اللّه ـ محافظة على تميزها بهذه الخصوصيات والمقومات.

إلّا أنه، «ومع إطلالة العقد الثالث من القرن الرابع عشر الهجري (أي بدايات القرن العشرين) بدأت التيارات الحديثة الوافدة من أُوروبا تقتحم البلاد الإسلامية، ومنها تيار (المدرسة) بنظامها المعروف، وهو مختلف بطبيعة الحال عن الأنظمة الحوزوية، لذلك حاول بعض الحوزويين أن يستفيد من هذه النُظُم في تعديل الأُسلوب الدراسي، وظهرت معالم هذا التحرك لدى بعض حوزوي سوريا ولبنان

والعراق، ففتحت مدارس خاصة في هذا الميدان»[1].

وهكذا ظهرت إلى الوجود ما اصطلح عليها بـ (المدارس الاصلاحية) التي تسعى إلى تطوير المناهج الدراسية، واختزال المادة العلمية، وحذف ما لا ضرورة لوجوده، واستبداله بما يواكب حاجات المجتمعات الإسلامية في مجال الفكر والعقيدة... مع المحافظة على الاقتدار الحوزوي في مجال الدراسات العلمية العالية والتي يصطلح عليها بـ (بحوث الخارج).

وتبنى فكرة الاصلاح هذه، فقهاء كبار من داخل الوسط الحوزوي من أمثال السيّد شرف الدين في لبنان، والسيّد الأمين في سوريا، والشيخ المظفر في العراق، بالاضافة إلى أسماء لامعة أُخرى في هذه البلدان وغيرها.

وتأسست لذلك مؤسسات ذات طابع علمي، تحمل مصطلح المدرسة بمعناه الحديث، والذي يعني وجود بناية وصفوف، ووجود منهج دراسي، وأُسلوب معين للتدريس، ونظام داخلي ينظم الحضور والغياب والامتحانات.. وهيئة إدارة مشرفة...

ومن الطبيعي أن تواجه هذه الأصوات الاصلاحية المطالبة بالتغيير بوجهات نظر محافظة تتقاطع معها، أو ترفضها، أو على الأقل تشكك في نواياها.

ولسنا في صدد توثيق مجريات الحركات الاصلاحية ومشاريعها في الوسط الحوزوي، وهو حديث متشعب الأطراف، وذو شجون، في مفرداته وتفاصيله، وإنما نشير إلى أبرز الحركات الاصلاحية ومدارسها العلمية الحوزوية التي تأسست في النجف الأشرف، وكانت تحمل طابعا تجديديا اصلاحيا في المناهج الدراسية، ونظام الدراسة.. ومن أهمها:

---

(١) موسوعة النجف الأشرف: ٩ / ٧.

١ ـ مدرسة النجف الدينية (مدرسة الجزائري):

للعلّامة الشيخ محمد جواد الجزائري (ت ١٣٧٨ هـ ـ ١٩٥٩ م) صفحات مشرقة من الجهاد السياسي والعلمي، وله منجزات كثيرة من أهمها تأسيس «نقابة الإصلاح العلمي» في حدود سنة (١٣٢٣ هـ) حيث كان الشيخ الجزائري في أُوج جهاده العلمي والدراسي.

وكان من أهداف هذه النقابة:

١ ـ تنظيم الدراسة، وسير طالب العلم على أحسن وأقصر الطرق المؤدية إلى غايته المقدّسة.

٢ ـ ضمان معيشة طلّاب العلم، والخروج من الفوضى المعاشية.

٣ ـ ارسال البعثات العلمية إلى المناطق العراقية وغيرها من المناطق الإسلامية[1].

إلّا أن الشيخ الجزائري‏ الذي سعى لتحقيق هذه الأهداف ضمن أهداف أُخرى تضمنها النظام الداخلي للنقابة، لم يتمكن من تحقيقها، رغم جديته في انجاز الاصلاحات التي اقنع بها. «إذ التجارب أثبتت أن العمل بين صفوف اللامنهجيين صعب، ويحتاج إلى جهد وطاقة كبيرة»[2].

وتعتبر فكرة (نقابة الاصلاح العلمي) من الأفكار الريادية في ميدان حركة الاصلاح في حوزة النجف الأشرف.

وقد انعكست الفكرة الاصلاحية على نجل الشخصية المذكورة وهو (الشيخ عز الدين الجزائري)، الذي تحمس بدوره لممارسة الخطوات الاصلاحية في وقت مبكر

---

(١) موسوعة النجف الأشرف: ٩ / ٦٩ ـ ٧٢.

(٢) المرجع نفسه: ٩ / ٧٠.

تزامن مع مؤسسة منتدى النشر.

وقد تجسّد ذلك في مشروعين:

احدهما: مقترح نظري يطالب بتنظيم المؤسسة الحوزوية[1].

والثاني: انشاء مدرسة على صعيد (المقدّمات والسطوح).

وفي المشروع الثاني تمّ تأسيس مدرسة الجزائري، المعروفة بـ (مدرسة النجف الدينية) وكان مؤسسها هو العلّامة الشيخ عز الدين الجزائري. «وكان التأسيس بدوره الأوّلي بتاريخ (١٩٤٣ م ـ ١٣٦٢ هـ) وبدوره التكاملي بتاريخ: (١٤ / ٢ / ١٣٧٧ هـ ـ ٨ / ١٢ / ١٩٥٧ م) وكان مكان إدارة صفوف مدرسة الجزائري في بناية مدرسة الخليلي الصغرى، إلى جانب مدرسة الجزائري الأحمدية، حيث كانت في نفس البناية، ولكن الإدارة والمنهجية متعددة»[2].

واستمرت مدرسة الجزائري في عطائها العلمي وخرَّجت للأُمة الكثير من العلماء والفضلاء، رغم المصاعب التي واجهتها، فكانت منارا للعلم والهدى حتى عام (١٣٨٩ هـ ـ ١٩٧٠ م) حيث توقفت عن الدراسة لأسباب لا يسع المجال لذكرها[3].

٢ ـ جمعية منتدى النشر ومدارسها:

تأسست جمعية منتدى النشر سنة (١٣٥٤ هـ ـ ١٩٣٥ م) بجهد من الشيخ محمد رضا المظفر، وهي ثمرة من ثمرات الجهود الإسلامية الاصلاحية للشيخ المظفر، «والتي لا ينساها له تاريخ النجف؛ فقد ضحّى من أجل حياتها معظم وقته، وسقى

---

(١) للتوسع أُنظر المرجع السابق: ٩ / ٧٦ ـ ٨٠.

(٢) المرجع نفسه: ٩ / ٨٣ ـ ٨٦.

(٣) للتوسع أُنظر كتاب: عبد الكريم الجزائري، حياته وآثاره، طبعة دار العارف ـ بيروت، ٢٠٠٢ م.

بذرها سقيا مقطرا من نفسه الصافية»[1].

ومع أن هدف الجمعية الأساسي هو اصلاح النظام الدراسي الحوزوي، إلّا أنّ اسم (منتدى النشر) اختير غطاءً، حيث لم يكن طرح موضوع الاصلاح مقبولاً[2].

لقد كان الشيخ محمد رضا المظفر يحتل القمة من النشاط الاصلاحي في النجف الأشرف، وساهم في جميع الحركات الاصلاحية التي أدركها، وكان فيها العضو البارز الذي يشار إليه بالبنان.

.. وقدر للشيخ المظفر.. أن تتبلور لديه فكرة الاصلاح وتنظيم الدراسة والدعوة.. والمشكلة ـ التي تواجهها الحوزة ـ فيما يبدو للشيخ ـ المظفر ـ من جهتين:

في مجال الدراسة، وفي مجال الدعوة:

ففي مجال الدراسة: لاحظ ان مرحلة المقدمات والسطوح تعاني من النقص في المادة، وضعف في الأُسلوب، وتحتاج إلى شيء من التوجيه والتنظيم...

وفي مجال الدعوة والتوجيه الديني: «فقد كان الشيخ الفقيد يؤمن بأن الخطابة الحسينية تعتبر من أهم الوسائل الدعائية، ولا تكاد تفي بوضعها الحاضر بمهامها الرسالية..»[3].

وقد عمل الشيخ المظفر﵀ بكلِّ ما أُوتي من ملكات علمية، وبذل كلَّ جهده على كلا الصعيدين، وشمَّر عن ساعد الجد ليخوض ميدان العمل، وهو يدري أن هناك عقبات صعابا تعرقل سيره في هذا الطريق، وأول ما بدا له ايجاد جماعة واعية من

---

(١) الخاقاني ـ علي، شعراء الغري: ٨ / ٤٥٤ وأُنظر أيضا: ٦ / ٤٢٣.

(٢) البهادلي ـ علي، الحوزة العلمية في النجف: ٣١٣.

(٣) الآصفي، الشيخ المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف: ١٠٠ و١٠٨ بتلخيص.

اخوانه فضلاء الحوزة، تفهم ملابسات الحياة النجفية، وتعي واقع الرسالة الفكرية الضخمة التي تحملها النجف.

وكانت محاولات الشيخ المظفر في المجال الأول تتمثل في: «تنظيم الدراسة الحوزوية، وتبسيط الكتب الدراسية، وتوسيع المناهج الدراسية.. فوضع خطة لتأسيس مدرسة عالية للعلوم الدينية، أو كلية للاجتهاد بفتح الصف الأول الذي كان يدرس فيه أربعة علوم: الفقه الاستدلالي، والتفسير، وعلم الأُصول، والفلسفة..»[1].

«وفي سنة (١٣٧٦ هـ) أسس الشيخ المظفر كلية الفقه في النجف الأشرف.. والعلوم التي تدرس فيها هي الفقه الإمامي، والفقه المقارن، وأُصول الفقه، والتفسير وأُصوله، والحديث وأُصوله، والتربية، وعلم النفس، والأدب وتاريخه، وعلم الاجتماع، والتاريخ الإسلامي، والفلسفة الإسلامية والحديثة، والمنطق، والتاريخ.. وإحدى اللغات الأجنبية»[2].

وقام؆ بهذه المهمة بكل اخلاص وتفاني، فكان الأُستاذ الذي يدرس الفلسفة الإسلامية، وكان المؤلف لأهم كتابين في مستوى المقدّمات والسطوح (المنطق) و (أُصول الفقه) وكان يباشر بنفسه مهام الإدارة والعمادة، ويقوم بتدوين سجلات الطلبة ومراجعتها أو طباعة بعض الرسائل بالآلة الطابعة...

وأما في مجال الدعوة والتوجيه، فقد سعى لانشاء «كلية الوعظ والإرشاد، تخول المتخرج أن يعظ باسم الدين، وأن يكون ذاكرا للحسين؈.. وشكل لذلك لجنة علمية برئاسة خطيب العراق الشهير فضيلة الشيخ محمد علي قسام.. وباشرت هذه

---

(١) الآصفي، الشيخ المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف: ١٠٤.

(٢) المرجع نفسه: ١٠٦.

اللجنة أعمالها في فتح صف بمثابة التجربة لعملها لدراسة الفقه، وعلوم العربية وأُصول الدين، وأُصول الحديث..»[1].

وفي كلا المجالين واجه الشيخ المظفر عنتا وعناءً شديدا، «وامتحن امتحانا عسيرا، وكاد أن يقضي ذلك كلّه على حياة المؤسسة التي غذّاها الشيخ بروحه وفكره واخلاصه..»[2].

علما بأن كلية الفقه، قد استمرت في عطائها العلمي في الدراسة الأولية والعليا (الماجستير) حتى الغائها عام (١٩٩١) مع جامعة الكوفة وكافة كلياتها، بعد عمر علمي لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن، تخرّج منها جيل من الأساتذة والفضلاء والكتّاب ممن يشار إليهم بالبنان، وتعاقب على تولي عمادتها نخبة من العلماء الحوزويين والأكاديميين منهم الشيخ محمد رضا المظفر، والسيّد محمد تقي الحكيم[3].

يقول الشيخ عبد الهادي الفضلي ـ وهو من أبرز طلّاب الدورة الأُولى لكلية الفقه ـ في تقييمه لتجربة كلية الفقه: ان كلية الفقه قد: «أسهمت بنظامها الجديد في تطوير الدراسة الدينية في النجف بما يلي:

١ ـ بادخال العلوم الحديثة التي تتطلبها رسالة المرشد الديني ووظيفته في التبليغ، إلى الدراسة الدينية.

---

(١) الآصفي، الشيخ المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف: ١٠٩.

(٢) المرجع نفسه: ١١٠، وللتوسع أُنظر، الحكيم ـ حسن، المفصل: ١٦ / ٨٥، ٣٨٩ وما بعدهما. والخليلي ـ جعفر، هكذا عرفتهم: ١ / ٢٤٥.

(٣) الحكيم، المفصل: ١٦ / ٤٠٢. وللتوسع أُنظر، البهادلي ـ علي، الحوزة العلمية في النجف الأشرف: ٣٦٦ ـ ٤٠٩ الفصل الثالث.

٢ ـ بادخال العلوم الإسلامية ـ وبمناهجها القديمة التي تتميز بأصالتها وعمقها ـ إلى الدراسات الجامعية الحديثة.

٣ ـ بادخال نظام الدراسة الصفية.

٤ ـ بادخال نظام الامتحانات الدورية.

٥ ـ بادخال نظام منح الشهادة الرسميّة التي تؤهل الطالب الديني لدراسة قسم (الماجستير)، والتدريس في المدارس الثانوية والمعاهد العالية»[1].

وإن كان لابد من كلمة ختامية نثمن بها جهود الشيخ المظفر، فنقول: لقد قاد الشيخ المظفر حركة إصلاحية كبيرة، وخلق تيارا للوعي والاصلاح ومهد الطريق أمام الجيل الصاعد الواعي من طلبة الحوزة العلمية لمواصلة الدرب والسعي نحو الاصلاح والتجديد، وسوف يواجه هؤلاء كما واجه سلفهم الصالح من المتشددين والمتخلفين والمتعنتين ألوانا من المواجهة والتعنت والمكابرة، وخاصة أن بيد أُولئك مصادر المال والسلطة الحوزوية.

٣ ـ مشروع نظام لمدرسة دار العلم:

لقد قام السيّد أبو القاسم الخوئي (طاب ثراه) أيام مرجعيته بتأسيس مدرسة كبرى علمية مقابل باب العمارة في النجف الأشرف، وقد عرفت المدرسة بمدرسة (دار العلم) وقد أشرنا إليها سابقا ضمن حديثنا عن مدارس النجف الأشرف.

إلّا أنّ السيّد الخوئي﷫ كان في نيته أن يجعل من هذه المدرسة نموذجا يحتذى بها من بين مدارس النجف الأشرف، وذلك من خلال ابتكار طريقة جديدة في التدريس،

---

(١) الفضلي ـ عبد الهادي، دليل النجف الأشرف: ٧٨، وللتوسع حول البرنامج الاصلاحي لجمعية منتدى النشر. أُنظر: الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف الأشرف: ٣٨٩.

وضمن منهج دراسي مبتكر، ولهذا أراد أن يستعين بذوي الخبرة الطويلة في مجال التربية والتعليم ويستشيرهم في هذا الأمر.

يقول السيّد محمد تقي الحكيم: «وجاء السيّد الخوئي، وجلس في زاوية في هذه الغرفة، ثمّ بدأ ـ السيّد الخوئي ـ بطرح مشروع تطوير الحوزة العلمية بما مختصره: «إني أنوي تجديد المنهج الدراسي، وذلك بأن أُكلف مائة من كبار علماء الحوزة وتلاميذي الذين اثق بهم، واعتمد على قدراتهم العلمية، فيتخصص كل عشرة من هؤلاء بنوع من فروع العلوم الإسلامية، وكان قد قسّم العلوم الإسلامية إلى عشرة فروع، عشرة تختص بالفقه، وعشرة بالأُصول، وعشرة بالتفسير.. الخ، وكل واحد من هؤلاء يشرف على عشرة من خيرة الحوزة العلمية، فنبدأ بألف من طلبة الحوزة العلمية، يدرسون عند هؤلاء المائة. وبهذه الطريقة نبدأ بتطوير الدراسات الحوزوية والحوزات العلمية. ثمّ قال: وأنا عازم على أن أبدأ هذا المشروع في هذه البناية التي بدأت بتأسيسها إلى جانب الحرم.. وأُريد أن استشيرك في هذا المجال باعتبار أن لك ـ أي السيّد محمد تقي الحكيم ـ خبرة طويلة».

إلّا أنّ السيّد الحكيم اقترح عليه أن يبدأ المشروع بعدد قليل من العلماء مع عدد قليل من الطلبة.. وفي بناية صغيرة.. تحسبا من فشل المشروع، ولكي لا يحسب فشله على زعيم الحوزة العلمية... يقول السيّد الحكيم: «وقال السيّد الخوئي: سأفكر في الأمر، وذهب ولا أدري هل اقتنع بهذه الفكرة أو لا»[1].

---

(١) الحكيم ـ عبد الهادي، حوزة النجف الأشرف: ٣٦٥ ـ ٣٦٧ نقلاً عن الشيخ محسن الأراكي شفويا.

٤ ـ جامعة الصدر الدينية:

أسس المرجع الديني السّيد الشهيد محمد محمد صادق الصدر﴿قده﴾ المستشهد سنة (١٤٢٠ هـ) هذه الجامعة في مدينة النجف الأشرف، متخذا من مدرستي البغدادي، والإمام المهدي المتجاورتين مقرا لها، وذلك عام (١٤١٧ هـ)، وقد تولى عمادتها ورعايتها وتدبير أمرها سماحة الشيخ محمد اليعقوبي.

وقسمت الدراسة في هذه الجامعة إلى ثمان مراحل، يدرس خلالها الطالب منهجا دراسيا يجمع بين الدروس الحوزوية المعتمدة في مرحلتي المقدمات والسطوح، بالاضافة إلى الدروس الأكاديمية، كالرياضيات، والفلك واللغات.. ويتأهل الطالب بعدها لحضور الدروس العالية (البحث الخارج) وقد وضعت الجامعة في حساباتها مواكبة التطور العلمي في الجامعات الحديثة، وصنّفت دروسها العلمية على أساس ذلك.

وتتألف الجامعة من ثلاث كليات مرتبة طوليا، وتوذي كل منها إلى الأُخرى، وهي:

١ ـ كلية التوجيه الديني والاصلاح الاجتماعي.

٢ ـ كلية إعداد المدرسين.

٣ ـ كلية الاجتهاد المقيد.

«ووضعت الجامعة الدروس المقررة للمراحل الثمان من الدراسة، وتحديد ساعاتها الدراسية.. ووضعت مواعيد الامتحانات وتوزيع الدرجات، وهي تلتقي مع الأنظمة الجامعية الحديثة..»[١].

---

(١) الحكيم، المفصل: ١٦ / ٧٦ ـ ٧٩، واليعقوبي ـ محمد، كتيب بعنوان: جامعة الصدر الدينية، الهوية والانجازات.

ولا زالت هذه الجامعة مستمرة في عطاءها العلمي ضمن مجموعة المدارس والمعاهد العلمية في النجف الأشرف.

هذه هي أهم ملامح حركة الاصلاح في حوزة النجف الأشرف، وأبرز مدارسها ومؤسساتها التربوية التعليمية؛ والتي حاولت من خلالها المزاوجة بين المنهج الحوزوي وبين المنهج الحديث، وسارت في ذلك سيرا حثيثا، فكان التوفيق حليف بعضها، والفشل والاحباط في البعض الآخر، عوامل كثيرة أشرنا إلى بعضها في ثنايا هذا الاستعراض السريع الذي لم نستوعب فيه كل تفاصيل الحركة.

٦ ـ النظام المالي ونفقات التعليم في حوزة النجف الأشرف

تعتمد الحوزات العلمية للشيعة الإمامية بشكل عام وفي كل البلاد الإسلامية والأقطار الشيعية التي تتواجد فيها؛ على مصادر مالية مستقلة لا ترتبط بالدولة بأي شكل من الأشكال، محافظة على استقلاليتها التامة في هذا المجال.

وقد حافظت حوزة النجف الأشرف على استقلاليتها في جميع الجوانب ولم ترتبط بأي جهة سياسية، مهما كان لونها وشكلها ومسمياتها.

«ومما يؤكد ما ذكرنا من استقلالية الجامعة النجفية عدم اتصالها في الجانب المادي من حياتها بأية جهة رسمية أو مورد سياسي وكان صالح جبر، السياسي العراقي، أيام الحكم الملكي يرى أن يربط النجف بمديرية الأوقاف العراقية لتكون كسائر المدارس والمراكز الإسلامية في العراق، فلم يقتنع السيّد أبو الحسن الإصفهاني ـ المرجع الأعلى في زمانه ـ برأيه، وبقي يَصُر على ضرورة استقلال حوزة النجف في الجانب المادي من حياتها»[1].

---

(١) الآصفي، الحركة الإصلاحية في النجف: ٢٢ ـ ٢٣.

وخلاصة الأمر، ان هنالك روافد ومصادر مالية تمول مشاريع الحوزة العلمية ليست الدولة ولا أموال الوقف الذي بيد الدولة منها.

ومن أهم مصادر التمويل في الحوزة العلمية هي الحقوق الشرعية الواجبة والمستحبة، والتي فرضها اللّه سبحانه كضرائب مالية على المسلمين وبعناوين ومسميات متعددة كالخمس والزكاة والكفارات، والصدقات، بالاضافة إلى مساعدات بعض المؤمنين الخيِّرين من المسلمين الشيعة الذين يقومون بدعم الحوزات العلمية والشؤون الدينية، والمؤسسات الخيرية بطيبة نفس وسخاء واريحية لا نظير لها.

ومن أهم العناوين الشرعية المالية التي تصرف مواردها في شؤون الحوزة العلمية هو (سهم الإمام) و (سهم في سبيل اللّه)، وهما موردان من موارد وجوب صرف أموال الخمس فيهما، فتدفع هذه الأموال من قبل المؤمنين للفقيه المرجع، وهو بدوره: «ينفق هذه الأموال على شؤون الحوزات الدينية العلمية التي تتصدى للرد على أعداء اللّه، كما ينفق على الأيتام والفقراء والمؤسسات الخيرية من المستوصفات والمستشفيات والمدارس التي تعلم وتخرج علماء دين..»[1].

يقول المرجع الديني في زمانه السيّد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م) في رسالته العملية وهو يبين للمؤمنين موارد صرف (سهم الإمام): «ومن أهم مصارفه، في هذا لزمان، الذي قل فيه المرشدون والمسترشدون إقامة دعائم الدين، ورفع أعلامه، وترويج الشرع المقدس، ونشر قواعده وأحكامه، ومؤونة أهل العلم الذين يصرفون أوقاتهم في تحصيل العلوم الدينية، الباذلين أنفسهم في تعليم الجاهلين، وارشاد الضالين، ونصح المؤمنين ووعظهم، واصلاح ذات بينهم، ونحو

(١) الغروي ـ محمد، الحوزة العلمية في النجف: ٢٤٦.

ذلك مما يرجع إلى اصلاح دينهم وتكميل نفوسهم وعلو درجاتهم عند اللّه تعالى جل شأنه»[1].

وفي نص فقهي لفقيه آخر سبق السيّد الحكيم بمرجعيته وهو الشيخ محمد حسن النجفي (١٢٦٦ هـ) صاحب الموسوعة الفقهية الشاملة (جواهر الكلام) نجده يوسع في مناط مصروفات سهم (في سبيل اللّه) ليشمل شؤون الحوزة العلمية وما يتعلق بها، فيقول: «ضرورة شموله ـ أي سهم في سبيل اللّه ـ بجميع القرب؛ من بناء خانات ـ محل نزول المسافرين ـ وتعمير روضة، أو مدرسة، أو مسجد، أو إحداث بنائها، أو وقف أرض أو تعميرها، أو وقف كتب علم ونحوها أو تكرمة علماء أو صلحاء..»[2].

والمبالغ المالية التي كانت ترد على علماء الحوزة وفقهائها عن طرق التبرعات والفرائض المالية ومن مختلف الأقطار والبلدان الإسلامية، كانت مبالغ كبيرة لا يستهان بها، «وقد كان يبلغ وارد السيّد أبي الحسن الإصفهاني في بعض السنوات ستمائة ألف دينار، وهو مبلغ ضخم إذا قيس بتكاليف المعيشة في ذلك الوقت، وكان الملك عبد اللّه، ملك الأُردن في وقته، يقول: إنّ وارد السيّد المذكور يزيد على وارد بعض الدول»[3].

والذي يبدو أن الحوزة العلمية في النجف الأشرف شهدت في عصر مرجعية السيّد أبي الحسن الإصفهاني تحسنا ملحوظا في المستوى المالي والمعيشي للطلبة، وذلك بفضل الجهود والأعمال الجليلة التي قام بها السيّد الإصفهاني. يقول السيّد الأمين ـ

---

(١) الحكيم ـ محسن، منهاج الصالحين: ١ / ٤٨٤.

(٢) النجفي ـ محمد حسن، جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام: ١٥ / ٣٧٠.

(٣) الآصفي، الحركة الإصلاحية في النجف: ٢٢ ـ ٢٣ نقلاً عن كتاب أبي الحسن الإصفهاني: ٦٠.

وهو من المعاصرين للسيّد الإصفهاني ـ: «ومن جليل أعماله جراية الخبز على الطلبة بالنجف وما يعولون، والنفقات المالية، وارسال المرشدين من أهل العلم.. وقيامه بنفقاتهم، وإيصانهم أن لا يقبلوا من أحد شيئا، وتفقده البيوتات والمستورين وبرّه بهم، وعنايته بتطبيب المرضى منهم وارسالهم.. وقيامه بنفقاتهم.. وكان يصرف على طلبة العلوم الدينية مبالغ ضخمة، إذ جبيت إليه الأموال من اقاصي البلاد وأدانيها، ولم يبلغ أحد في عصره ما بلغه من ذلك، حتى بلغت نفقاته في كل شهر من عشرين ألف إلى ثلاثين ألف دينار عراقي ينفقها على طلّاب العلم والفقراء»[1].

وهنالك أرقام كثيرة وكبيرة يذكرها المترجمون لسيرة السيّد الإصفهاني، تناول بعضها مبالغ ما ترد عليه من حقوق شرعية، قدرها بعضهم بين ٥٠٠ ألف و ٦٠٠ ألف دينار[2]، وهذا الرقم يعني بحسابات اليوم مئات الملايين من الدنانير، وفي مقابل ذلك نجد أرقاما كبيرة في حجم ما كان ينفقه هذا السيّد العلم على شؤون الطلبة والحوزة العلمية والتي كانت تتراوح بحسب بعض المراجع ما بين ٣٦ و الـ ٤٠ ألف دينار شهريا.

وهذا يعني في النتيجة أنه في عهد السيّد الإصفهاني كان العلماء والطلبة يعيشون عصرا ذهبيا قلّ نظيره، حيث كان المرجع الأعلى لا يدخر جهدا من أجل توفير كل المتطلبات المعيشية اللائقة بأهل العلم والتعلم[3].

ويذكر الشيخ المرجاني بعض التفاصيل حول الأوضاع المالية للحوزة العلمية في

---

(١) الأمين ـ محسن، أعيان الشيعة: ٢ / ٣٣٢.

(٢) التميمي ـ محمد علي جعفر، مشهد الإمام: ٢ / ٢٦٣.

(٣) اليوسف ـ عبد الله، المرجعية المتميزة، السيّد أبو الحسن الموسوي الإصفهاني: ٨٧ ـ ٨٨، طبعة مؤسسة البلاغ ـ بيروت، ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م.

النجف الأشرف، فيقول: «كما أن المرجع الديني المسؤول الأول والتي تعتمد عليه الحوزة العلمية في مصروفاتها من الحقوق الشرعية.. وقد حدثني الخباز المعروف.. فلان.. وكان من أبرز الخبازين والمعتمد عليه من قبل العلماء وخصوصا السيّد أبو الحسن الموسوي والعلماء قال: كانت تصرف للخبازين عشرون ألف دينار لاعطائهم الخبز لطلّاب العلم في النجف وكربلاء والكاظمين وسامراء».

ويضيف المرجاني: «كما كانت تصرف أيام السيّد أبي الحسن عشرة آلاف دينار للشعائر الدينية واصلاح المدارس ودور الطلبة. وكانت تصرف ألف دينار خاصة لعوائل بعض المحتاجين وتصرف ألف دينار إلى خطباء المنبر الحسيني، وخمسة آلاف دينار تصرف إلى الزواج وبناء البيوت مع إقامة الفواتح والتراحيم»[١].

وسنة اعطاء الخبز لطلّاب العلوم الدينية من قِبل المراجع، من السنن التي ظهرت في المرحلة الثالثة من مراحل الحوزة العلمية في النجف الأشرف، فنجد في سيرة المرجع السيّد كاظم اليزدي، أنه كان يعطي الخبز للطلّاب، كذلك السيّد أبو الحسن الإصفهاني، وفي أيام مرجعية السيّد البروجردي، والذي كان ساكنا في مدينة قم، ويتزعم حوزتها العلمية بعنايته «وهو يبذل المال الوافر على حوزة قم كالسيل المنحدر، وقد بلغ عدد طلّابها زهاء أربعة آلاف طالب علم، كلهم دائبون على التحصيل بفضل أبوته لهم وشمول عطفه عليهم»[٢].

ولم تقتصر نفقات السيّد البروجردي على حوزة قم فقط وإنما كان «يقوم في العراق باعطاء خبز النجف وكربلاء وسامراء، وهو أهم مشروع يقوم به المرجع الأعلى وحده

---

(١) المرجاني ـ حيدر صالح، النجف الأشرف قديما وحديثا: ٤ / ٥٩ ـ ٦٠، طبعة مطبعة القضاء ـ النجف، ١٩٩٤م.

(٢) التميمي ـ محمد علي جعفر، مشهد الإمام أو مدينة النجف: ٢ / ٤٧ ـ ٤٨.

لتأمين القوت اليومي لطالب العلم..»[1].

ولا زلت أتذكر «كوپن» الخبز الذي كان يوزعه السيّد المرعشي النجفي في مدينة قم من بداية دراستنا الحوزوية فيها سنة (١٤٠٢ هـ) واستمرت إلى حين وفاته سنة (١٤١١ هـ).

واستمرت الحوزة العلمية في النجف على هذه الطريقة في صرف الأموال على طلّاب العلوم الدينية وشؤون الحوزة كما أن المصادر المالية للتمويل بقيت كما هي.

وفي أيام مرجعية السيّد الحكيم (ت ١٣٩٠ هـ) حاول أن يدخل بعض الاصلاحات على الوضع المالي للحوزة، يقول السيّد محمد باقر الحكيم: «لقد انتهج الإمام الحكيم سياسة خاصة في توزيع الراتب في أوساط الحوزة واخضاعه لاعتبارات عديدة، منها: المستوى العلمي للطالب، ومقدار حاجته في العرف العام في وسط الحوزة، اضافة إلى سياسة خاصة من شأنها اظهار طالب الحوزة ومدرسها بمظهر العزّة والكرامة، من دون اسراف في الترف أو التقشف»[2].

وخلاصة الأمر، إن المصدر المالي الرئيسي لتمويل الحوزة العلمية وطلّابها ومدارسها هي الحقوق الشرعية والمساعدات، والذي يتولى شؤون الحوزة هو المرجع الأعلى للطائفة، والذي بدوره يستلم الحقوق الشرعية وتبرعات المؤمنين ويصرفها في مواردها المناسبة لها.

وأما أموال الأوقاف العامة، وهي موارد مالية كبيرة جدا تجبى بواسطة الدولة، وليس للمرجعية الدينية أي دور في مباشرة هذه الجباية، ولهذا تتجنب الحوزة وهيأتها

---

(١) التميمي ـ محمد علي جعفر، مشهد الإمام أو مدينة النجف: ٢ / ٤٨.

(٢) البهادلي، الحوزة العلمية في النجف: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

العلمية هذه الأموال.

يبقى هنالك مورد مالي ذكرهُ بعض المؤرخين لحوزة النجف الأشرف، وهو ما يعرف (بخيرية أوده)، وهي تقسيمة مالية على طلّاب حوزة النجف الأشرف كانت تقسم كل ثلاثة أشهر، ومصدرها من أموال تأتي من الخارج من تجبية مالية من أحد راجات الهند.

يقول الشيخ علي الشرقي: «.. وفي النجف توزيعة أُخرى لكل ثلاثة أشهر تسمى تقسيم فلوس الهند، أو (خيرية أوده) وكانت حصتي منها نصف مجيدي شهريا، وفلوس الهند هذه تجبية من أحد راجات الهند.. (راجة أوده) وسببها: إنّ الإنكليز كانوا في ضائقة مالية فعقدوا قرضا بفائض نسبي، واشترى (راجة أُوده) قسما من الاستدانة؛ وبعد أن تحسن الوضع المالي عند الإنكليز أرادوا اطفاء ذلك القرض، ويقول الراجة لمستشاره المالي: إنه لا يريد أن يقبض المبلغ بل يتركه منحة حتى لا يتوهموا أنه بحاجة إليه...

وكان المستشار مؤتمنا فيحول فكرة ذلك السخيف! [هكذا] إلى فكرة أفيد وأعود قائلاً له: «يمكنك أن تشعرهم بعدم حاجتك، وفي نفس الوقت تقوم بمبرة كبيرة؛ إن فائدة القرض الرسمي تبلغ خمسة عشر ألف روبية شهريا، فاجعلها أثلاثا محبسة.. ثلث للصرف على مقبرة العائلة ومن يلوذ بها. وثلث على مجتهدي كربلاء، وثلث على مجتهدي النجف، يصرف شهريا باطلاع الحكومة الإنكليزية بصفتها حكومة الهند».

فيوافق الراجة، وتحرر وثيقة بذلك، وأول عام وصلت فيه هذه المبرة إلى النجف هو عام (١٢٨٠ هجري) وقد لعب الإنكليز أدوارا للدعاوة والتدخل في كربلاء والنجف بواسطة هذه المبرة الجارية. إنها حتى اليوم توزع ولكن بواسطة الحكومة الهندية لا

الإنكليزية»[1].

ولا ندري إلى متى استمرت هذه الخيرية بعد هذا التاريخ؟ ومن الذي كان يشرف على توزيعها؟ وكيف ارتضت حوزة النجف المحافظة على هذه الخيرية؟

هذا ما لا يبينه الشرقي في نقله، إلّا أنّ بعض الباحثين قد سلط الأضواء على هذه القضية وتوسع فيها، وحاول أن يوظفها للطعن في علماء الشيعة وحوزتها العلمية في النجف الأشرف، معتمدا على مراجع أجنبية ووثائق المخابرات البريطانية، مع أن دولة أودة، دولة شيعية ظهرت في شمال القارة الهندية في القرن الثامن عشر (١٧٢٠ ـ ١٨٥٦ م) وخلال هذه الفترة «حوّل حكام أودة ووزراؤها ووجهاؤها أكثر من مليون روبية للأغراض الخيرية والمشاريع الاقتصادية والوظائف الدينية في مدن العتبات المقدّسة»[2]، والذي أوقف الأموال هو ملك أودة في زمانه (غازي الدين حيدر) وقصة هذه الوقفية التي عرفت باسم (خيرية أودة) إنه «في عام (١٨٢٥ م) خلال فترة الضائقة المالية الناجمة عن اندلاع حرب في بورما، وافق الحاكم العام البريطاني في الهند على قبول قرض قدره ١٠ ملايين روبية من غازي الدين حيدر، ملك أودة، وكان طابع القرض أبديا، فالقرض لن يسدد أبدا وأسعار الفائدة التي حددت بنسبة (٥) بالمئة سنويا، تنفقها حكومة الهند بصورة دائمة على مشاريع محددة، وكان من بين المستفيدين من الفوائد أربع نساء.. (زوجات الملك ومحارمه..) ونص الاتفاق على أنه بعد وفاة النساء الأربع يُدفع ثلث مخصصاته لمن يحددنه في وصاياهن مع تسليم الثلثين الباقيين للمجتهدين المقيمين في النجف وكربلاء لتوزيعهما على المستحقين،

---

(١) الشرقي ـ علي، الأحلام: ٨٣.

(٢) النقاش ـ إسحاق، شيعة العراق: ٣٨٥، ترجمة: عبد اللّه النعيمي، طبعة المدى ـ بيروت، ٢٠٠٣ م.

وفي حالة عدم وجود وصية يتسلم المجتهدون المخصصات بأكملها.. وأصبحت الموارد المالية التي توفرت للتوزيع على هذا الأساس في النجف وكربلاء تُعرف باسم خيرية أودة»[1].

هذه هي حقيقة (خيرية أودة)، كما أن الذين استلموا هذه الأموال وقاموا بتوزيعها، هم كبار العلماء ومراجع الدين عند الطائفة الشيعية، من أمثال الشيخ الأعظم الأنصاري، والشيخ محمد حسن النجفي، والسيّد علي بحر العلوم، والسيّد محمد تقي بحر العلوم.. وغيرهم.

كما أن الذي كان يتولى توزيعها في كربلاء هو الميرزا أبو القاسم الطباطبائي. ولا يشك أحد في استقامة وعدالة ونزاهة أُولئك الأعلام المجتهدين.

إلّا أنّ ألسِنَة الناس لا ترحم وخاصة في الموارد المالية التي هي دائما محل شبهة، ووسيلة للتسقيط والتشهير، يقول الشيخ حرز الدين في المعارف، عند ترجمة السيّد محمد بحر العلوم: «.. قبض الخيرية الهندية، وكان خيرا ممن قبضها من بعده، ومع هذا طالت عليه الألسن بسبب هذه الخيرية، لأنّ من حُرم منها شكى الحرمان، ومن أُعطي طلب الزيادة وشكى القلة سيما أولاد الوجوه و...»[2].

ومن الطبيعي أن يختلف موقف علماء النجف الأشرف من هذه الخيرية، بحسب اختلاف اجتهاد بعضهم، فنجد من العلماء من رفضها رفضا قاطعا، كالشيخ محمد طه نجف، كما أن الميرزا حسين الخليلي كان مترددا في قبولها، فوجه سؤالاً للشيخ محمد حرز الدين الذين كان حاضرا في مجلسه، ما نصه: «ما تقول أيها الشيخ؟

---

(١) النقاش ـ إسحاق، شيعة العراق: ٣٨٦، وقارن بما كتبه السيّد حسن الحكيم في المفصل: ٢٠ / ٩ وما بعدها.

(٢) حرز الدين ـ محمد، معارف الرجال: ٢ / ٣٨٢، طبعة مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٥ هـ

فأجابه الشيخ حرز الدين: ان سرت سيرة الشيخ الأنصاري باعطاء كل ذي حق حقه يجب عليك قبولها، وإلّا لا يحسن منك أخذها..»[1].

وقد ساهمت التقارير السرية التي كتبها بعض المسؤولين البريطانيين في تشويه صورة القائمين على توزيع خيرية أوده، وصورتهم وكونهم سراق لهذه الأموال! أو على الأقل كانت تشكك في نزاهتهم، مع أن أُولئك الموزعين «كانت لديهم اجتهاداتهم في التوزيع، وفي معرفة طبقات المجتمع»[2].

ومهما يكن من أمر، فإن خيرية أودة قد أوقفت بصورة تدريجية منذ عام (١٩٥٣ م)[3].

وفي ختام بحثنا عن المدارس الدينية في النجف الأشرف، ونظامها المالي ندرج أدناه تقريرا مفصلاً عن حوزة النجف الأشرف كتبه الباحث والسياسي العراقي الدكتور فاضل الجمالي[4]، ونشره في بعض الدوريات الأجنبية، في ستينيات القرن الماضي، وقام بترجمته من اللغة الإنكليزية زميلنا الدكتور جودت القزويني والمقال بعنوان: (جامعة النجف الدينية).

يقول الدكتور الجمالي: «مدينة (النجف) المقدّسة هي مكان ضريح الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام ـ الخليفة الرابع للمسلمين، والإمام الأول للمذهب الشيعي ـ ومن

---

(١) حرز الدين ـ محمد، معارف الرجال: ٢ / ١٠٨.

(٢) الحكيم ـ حسن، المفصل: ٢٠ / ١٨.

(٣) النقاش، إسحاق: شيعة العراق: ٤٠٨ ص.

(٤) رئيس وزراء عراقي أسبق، ومن الشخصيات المثقفة بالثقافتين الشرقية والغربية. المقال بعنوان: Theological Colleges Of Najaf نُشر في مجلة: (The World Muslim) العدد (٥٠)، والسنة (١٩٦٠م) من صفحة (١٥ ـ ٢٢). عن: مجلة الموسم الهولندية، ع ١٨ لسنة (١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م)، ص ١١٧ ـ ١٢٥، ومجلة آفاق نجفية، العدد ٢، لسنة (٢٠٠٦ م).

الأماكن الإسلامية التي تأتي بالمرتبة الرابعة بعد (مكة، المدينة، القدس).

ويتوافد الزائرون إليها من جميع أماكن العالم الشيعي، وفيها يدفنون أمواتهم أيضا.

أما مدينة (الكوفة)، موقع مسجد الإمام علي عليه السلام، فهي تبعد عن (النجف) مسافة ثلاثة أميال تقريبا. وكانت هذه الحاضرة العاصمة الإسلامية الأُولى في العراق، والتي عرفت مدرستها اللغوية كمنافس لمدرسة (البصرة).

والنجف بحد ذاتها مركز دراسي شيعي كبير على غرار جامعة (الأزهر) في مصر، و (الزيتونة) في تونس، إلّا أنّ الدراسة العلمية المتقدمة للمذهب الشيعي لها خاصتها المميزة عن بقية المذاهب الإسلامية بسبب استمرار مبدأ (الاجتهاد) والذي يعني التوصل إلى درجة علمية عالية تُمكن (المجتهد) من استنباط الأحكام الشرعية من القرآن، السنة (الحديث)، ومن أقوال الرسول صلى الله عليه وآله، وأفعاله أيضا. وعلى ذلك فإن رأي (المجتهد)، واستنباطه قد يُلائم كثيرا التطورات الحاصلة تبعا لتغير الزمن.

وقد أُلزم الشيعة اتباع آراء (المجتهد) الحي، وعند موته فإنها ستفقد حيويتها وجدتها. أما في جانب المذاهب السنية فإنها اعتادت على اتّباع تعاليم الأئمة الأربعة العظام، والقادة المتكلمين الذين عاشوا في العصور الوسطى وهم: (أبو حنيفة، الشافعي، ابن حنبل، مالك). ولم تسجل المذاهب السنية ظهور مجتهد جديد بعد الأئمة الأربعة.

وعلى كل حال فالشيعة دائما لهم مجتهدهم الحي الذي يُفترض أن يتصف ـ ولو نظريا ـ بالتبحر العلمي، والتفكير الأصيل، والفحص الشامل، وتحليل المعطيات الدينية.

وتعتبر (النجف) المركز الرئيس للدراسات الثقافية الشيعية؛ أما (سامراء)، و (كربلاء)، و (الكاظمية) فبالرغم من مدارسها الدينية الخاصة بها، فإنها بشكل عام لا

تقاس أهمية بالنجف.

أما مدينة (قم) الإيرانية ـ والتي هي تحت قيادة المجتهد الكبير السيّد البروجردي ـ فإنها أخذت تحتل مكانة مهمة في الدراسات العقلية لكنها ومع كل ذلك لم تستطع أيضا مضاهاة النجف بذلك.

وفي (النجف) ما يقرب من أربع وعشرين مدرسة دينية أشهرها مدرسة البروجردي، اليزدي، الآخوند، الهندي، القوام، الصدر، الأحمدية، كاشف الغطاء، المهدية، كما تضم ما يقرب من ألفي طالب من مختلف الجنسيات، وأغلبهم من الإيرانيين، وإن كانت هناك أعداد أُخرى من الطلبة العراقيين، والباكستانيين، والهنود، والكشميريين، والأفغان، واللبنانيين، والتبت، وطلبة آخرين من دول الخليج.

والتركيبة الإحصائية لعدد الطلّاب في (النجف) في شهر ديسمبر (١٩٥٧م) هي كالآتي:

الطلبة الإيرانيون (٨٩٦).

الطلبة العراقيون (٣٢٦).

الطلبة الباكستانيون (٣٢٤).

الطلبة التبت (٢٧٠).

الطلبة الهنود (٧١).

الطلبة السوريون واللبنانيون (٤٧).

الطلبة البحرانيون والقطيفيون (٢٠).

والمجموع الكلي هو (١٩٥٤) طالبا. وهذا العدد يختلف باختلاف فصول السنة، والظروف.

ومنذ ثلاثين عاما على وجه التقريب كان كاتب هذه السطور قد غاص في الدراسة،

وطرق التدريس لإظهار تفرّد النظام الدراسي في (النجف)، وأهميته، وكان ذلك جزء من بحث للدكتوراه يتناول (النظام الدراسي في جامعات النجف) إلّا أن المقترح تبدل لعنوان آخر حول (ثقافة القبائل البدوية في العراق).

إن معرفتي بالنجف، وبنظامها الدراسي بدأ منذ طفولتي عندما كان المرحوم والدي عالما هناك، حيث أنفق حوالي تسعة عشر عاما بالدراسة في النجف، ثمّ بعد ذلك وفي سن الخامسة عشرة بدأت أتثقف بنفس الثقافة ولكن في مدينة (الكاظمية) ومع مرور الزمن ترسخت معتقداتي أننا في (النجف) نملك (منجما) من المثقفين يجب أن يستكشف ليتعرف عليه العالم ويقدّره، ويتبنى بعض ظواهره.

لقد درست أغلب نظم التعليم الجامعي في (الغرب)، وزرت الجامعات (الألمانية)، و (البريطانية)، و (الفرنسية)، وجامعة أكسفورد، وكامبرج، وتلقيت تعليمي في الجامعات (الأميركية)، إلّا أنه ما من جامعة من هذه الجامعات، حتى الجامعات (الألمانية) تستطيع أن تفخر في حرية التعليم بما يضاهي حرية التعليم والعمق في جامعة (النجف) والتي تطبع شخصية المنتسبين إليها بطابعها المتميز، فالنظام التعليمي لا يخضع لنفوذ الدولة، ولا يموّل من قبلها. وبالرغم من وجود (٢٤) مدرسة علمية فإنه لا توجد هيأة خارجية، أو سلطة تسيطر عليها، أو تقوم بإدارتها، كما لا يوجد (رؤساء)، أو (عمداء)، أو أساتذة، وإنما يستطيع أي فرد مهما كان مستواه الثقافي أن ينضم للمدرسة إذا استطاع أن يجد له مكانا للإقامة ما دامت لديه الرغبة في الدراسة، كما أن القانون الذي يدير هذه الجامعات، وينظمها هو فقط الوازع الديني، والانضباط النفسي.

إنّ كل مدرسة من هذه المدارس تتكون ـ على الأغلب ـ من باحة مفتوحة على شكل مربع، أو مستطيل، وفي وسطها (بركة) ماء محاطة بالأشجار. كما تحاط هذه

(الباحة) المربعة بغرف يسكنها طالب، أو طالبان، ويكون فيها الدور الأرضي مرتفعا بما يقرب (المتر) عن الأرض. ويتكون السكن في معظم المدارس من دور واحد، إلّا أنّ مدرسة (البروجردي) وهي المدرسة الحديثة الوحيدة التي تتكون من دورين. وقد زرت بعض غرف الطلّاب، ولم تكن فيها (أَسُرَّة)، وكان الطلّاب ينامون على فرش يمدونها فوق (السجاجيد) و (الحصران).

أما تهويتها فتتم إما عن طريق الشبابيك، أو عن طريق (المداخن)، وبعضها الآخر لم يكن فيه تهوية إلّا من خلال الباب. وتحتوي بعض هذه الغرف على تدفئة متنقلة، كما أن معظم المدارس تحتوي على (سراديب)، ومخازن تحت الأرض يلجأ إليها الطلبة أيام الصيف القائظ. وبعض سراديب (النجف) تكون أكثر من دور واحد وكلما نزل الشخص إلى عمق سرداب، أو اثنين أو ثلاثة فإن البرودة سوف تزداد بشكل تدريجي حتى إنه يحتاج إلى ملابس ثقيلة في السرداب الثالث إذا أراد أن يحتمي منها.

ويرتدي جميع الروحانيين عادة (عمة) نصف دائرية كبيرة سوداء أو بيضاء، والأولى تدل على أن صاحبها (سيد) أو (هاشمي) في انتسابه، أما (العمة) البيضاء فإنها لا تدل على ذلك.

وبالرغم من أن لكل مدرسة ـ كما هو معروف ـ (متعهدا) أو (قيّما) فإن الطلبة الذين يعيشون في مدرسة واحدة يعتمدون على أنفسهم في إعداد الطعام، وتنظيف الملابس ما لم يكن لهم وسائط لتناول الطعام في الخارج، وإمكانية دفع أُجور غسل الملابس وتنظيفها. كما أنهم يحصلون على خبزهم بصورة مجانية من الهبات التي يبعثها المحسنون الشيعة إلى المجتهد الأعظم.

وينفق المجتهد الإيراني آية اللّه البروجردي ـ المقيم في مدينة قم ـ ما يقرب من (ستة) آلاف دينار عراقي شهريا في (النجف) و (كربلاء) و (سامراء) لغرض توفير

(الخبز)، ودفع المرتبات الشهرية إلى ما يقرب من (الخمسمائة) طالب، حيث تكون حصة كل منهم ما بين دينار ونصف الدينار إلى دينارين، وترتفع نسبة المدخول الشهري حتى تصل إلى ثلاثين دينارا لتغطية احتياجات بعض العلماء البارزين، (مع ملاحظة أن الدينار العراقي الواحد يقارب دولارين وثمانين سنتا).

إن أصحاب العوائل من الطلبة الذين يعيشون خارج المدارس يشكلون نصف عدد الطلّاب، وهم يترددون إليها لغرض الدراسة والمباحثة، أو تسلّم المرتبات المالية المخصصة لهم؛ ومع ذلك منهم من يعتمد ـ في أغلب الأحيان ـ على المساعدات التي تصل إليهم من عوائلهم، أو من المصادر الخيرية لتغطية احتياجاتهم بشكل كامل. وليس هناك ميزانية محددة، ولا مورد معين لهذه المدارس، فالطلبة يدرسون دون أن يدفعوا أي نفقات، كما أن المدرسين يدرّسون دون أن يتلقوا أي مبلغ على ذلك.

وأغلب العلماء هم طلبة، ومدرسون في آن واحد، فالمتقدمون منهم ممن يحضر بحوث (المجتهد) يدرّسون أُولئك الذين هم أقل مرتبة منهم. كما أن هؤلاء يدرّسون الذين لا يزالون أقل من مرتبتهم العلمية، وهكذا. وعلى ذلك فإن أي شخص يدرس في (النجف) سيصبح ـ بعد وقت قصير ـ تلميذا وأُستاذا في وقت واحد. ولا يوجد وقت محدد للدراسة فربما يمكث الطالب سنين عديدة حسب ما تمليه عليه رغبته، أو يقضي معظم حياته بالدراسة والتدريس.

ومعدل سني الدراسة العلمية (١٥) عاما لكن ذلك رقم احتياطي لهؤلاء الذين لم يُحَدّدوا بوقت معين، وربما رغب الطلّاب بالإقامة خمس سنين، أو عشرا، أو خمس عشرة، أو عشرين، فليست هناك (امتحانات) يجب تجاوزها.

إن (النجف) على هذه الحال أشبه ما تكون بـ (نافورة) كبيرة يمكن لأي شخص أن

يتقرب إليها، ويعبّ منها ما يستطيع من العلم مادام لديه اهتمام. ولا يُطلب من أي شخص عمل ما لم يرغب هو به، وباختياره.

وتتضمن (الحَلقات) الدراسية منهاجا مقررا في اللغة، والمنطق، وعلم الكلام، ولكن المواضيع الأُخرى ـ في شكلها القديم الذي يعود إلى العصور الوسطى ـ كالفلسفة، وعلم الهيأة، والرياضيات، يمكن تدريسها أيضا إذا رغب الطالب بذلك. وفي (المكتبة) يستغل الطالب وقته لدراسة أي موضوع آخر كتعلّم اللغات الأجنبية أو الشعر، كما يتمتع بحرية اختيار شريكه وزميله في الدرس، وكذلك اختيار أساتذته من بين الأَساتذة وتحديد ساعات الدراسة، ومكانها معهم، والتي تكون إما في المدارس، أو في المساجد، أو في بيت الأُستاذ نفسه. ويعتبر مسجد (الهندي) واحدا من أكبر المراكز الدراسية والذي يضم (الحلقات) الصغيرة إلى جانب المحاضرات الموسعة. فالذين يشكلون (حلقة) دراسية ربما كانوا طالبين فقط، أو ثلاثة، أو أكثر من أربعة وعشرين طالبا في العدد، ما لم تكن هذه (الحلقة) الدراسية هي حلقة متقدمة تلقى كمحاضرة عامة من على (المنبر).

وفي هذه الأجواء يختلف معدل التقدم العلمي للطالب من شخص إلى آخر فالذين باستطاعتهم التحرك سريعا يمكن أن يتقدموا بحرية، أما أُولئك الذين يتحركون ببطء فإنهم يسيرون تبعا لما تملي عليهم خطواتهم، فليس هناك استعجال في الدراسة إذا لم تكن أوقاتهم محددة، كما أنهم لا يطالبون بوثيقة امتحان علمية، ومصدقة. وربما يقضي الطالب غير المجد معظم حياته إذا رغب بذلك دون أن يُخرجه أحد من المدرسة. أما التفوق العلمي، والنبوغ المبكر فيظهران بصورة طبيعية. وإذا حدث أن اشتهر عالم بذلك فإنه يبدأ باستقطاب الأنظار، ويصبح محطّا لانتباه أُولئك الذين يودون مصاحبته، والدراسة على يديه.

وفي الصباح الباكر ـ (بعد صلاة الفجر، وقبيل طلوع الشمس) ـ تبدأ الدراسة، وتستمر بعد صلاة (المغرب) بساعة واحدة. ويحدد الطلبة أوقاتهم الدراسية مع أساتذتهم الذين اختاروهم، وربما يدرّس أساتذة متعددون الموضوع نفسه في زمان واحد.

إلى جانب (الحلقة) الدراسية هناك فترة نقاش، ومناظرة بين الطلبة أنفسهم ـ إذا كانوا في حلقة دراسية واحدة ـ حيث يناقشون الدرس الملقى عليهم كمحاضرة يلقيها واحد منهم، وهو يتصرف كما يتصرف (الأُستاذ)، ويسأل من قبل زملائه كما يُسأل الأُستاذ نفسه.

ويملك الطالب ساعاته الخاصة في تهيئة المواد العلمية، وشحذ ذاكرته وتفكيره بالشكل الذي يراه ضروريا.

وتُقسم الدراسة في (النجف) إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأُولى: (مرحلة السطوح):

وتشمل دراسة اللغة العربية، والبلاغة والمنطق ويبدأ الطالب بدراسة كتاب قواعد العربية المبسط، والذي يسمى بـ (الآجرومية)، وتنحدر هذه التسمية من كلمة (القواعد) اليونانية، وعندما ينتهي الطالب منه يبدأ بكتاب أكثر اتساعا خُصص للمتقدمين ويسمى (القَطر)، والذي عُوِّض عنه بكتاب (جامع المقدمات)، بعده ينتقل إلى كتاب لقواعد اللغة هو شرح على ألف بيت من الشعر لابن مالك أختصر فيها قواعد اللغة. ويسهل عادة حفظ هذه الأبيات المتضمنة قواعد العربية الضرورية، ولا يجد الطالب مشقة في استرجاعاتها. والكتاب الأخير المتقدم جدا هو (مغني اللبيب) حيث يشمل جميع قواعد اللغة العربية المعقدة، والدقيقة.

وبعد انتهاء دراسة القواعد العربية يتحول الطالب إلى كتاب (المطوّل) للتفتازاني (في علم البلاغة)، ولما ينتهي منه ينتقل إلى علم المنطق حيث يبدأ بدراسة المنطق الأرسطي في كتاب (الحاشية) للملا عبد اللّه، وتستغرق مرحلة السطوح عادة سبع سنوات.

المرحلة الثانية: (مرحلة الفضلاء):

وهي تشابه مصطلح (Sophomore) المستعمل في الجامعات الأميركية (والذي يقرب بمستوى علمي أشبه ما يكون بالسنة الجامعية الثانية).

وفي هذه المرحلة يدرس الطالب أُصول الفقه، والفقه، ويتضمن الأول طرق استنباط الأدلة، من المصادر الأصلية (الشرعية)، أما الثاني فيشمل قواعد، وأحكام الدين المختصة بالعبادات (كالطهارة، والصلاة، والصوم، وأداء الزكاة)، وبالمعاملات (كالمحاضر التجارية، الزواج الميراث وما شابه ذلك).

والكتب التي تدرّس في الأُصول هي (المعالم)، (القوانين)، (الرسائل)، (الكفاية)، وعندما يتجاوز الطالب هذه المناهج بنجاح يتحول من المرحلة البسيطة إلى مرحلة أكثر تعقيدا.

أما الكتب الفقهية فهي (التبصرة)، (الشرائع)، (اللمعة)، (المكاسب)، (العروة الوثقى)، وهنا أيضا تتصاعد الكتب في تعقيداتها، واصطلاحاتها العلمية والتقنية.

وبعد هذه المرحلة المتوسطة يبلغ الطالب المرحلة الدراسية الثالثة، والتي تُسمى:

مرحلة البحث الخارج:

وفيها يحضر الطلّاب (الدروس) التي تلقى في محاضرات عامة من قبل (المجتهدين) وتتضمن تحليلات اختصاصية عالية جدا في مجال دراسة الأدلة،

واستكشافها. ومن بين (المجتهدين) المشهورين الذين يقررون مثل هذه البحوث السيّد محسن الحكيم، والسيّد حسين الحمامي، والسيّد أبو القاسم الخوئي.

إن هذه المرحلة لا تخضع للزمن المحدد، وربما يستمر الطالب فيها حتى نهاية عمره، وإن غاية العلماء الكبار هي الوصول إلى المرحلة العالية من الاجتهاد، والتي يمكن أن تتصور بأنها تماثل درجة (الدكتوراه) في العلوم العقلية الدينية، عندها يمتلك (المجتهد) القدرة على استنباط الأحكام الشرعية المستندة إلى تمكنه من علم أُصول الفقه، وفحص الآراء والأدلة، ونصوص القرآن والسنة في المسائل الدينية، وإن مرحلة (الاجتهاد) لا تحصل بالدراسة وحدها، ولكن بنفاذ البصيرة التي هي في حد ذاتها منحة إلهية. فالتعلّم لا يقاس بزخم المعلومات الهائلة، ولكن بالنور الذي يقذفه اللّه في قلوب العارفين من العلماء.

ويتّبع الشيعي في شؤون حياته اليومية تعاليم (المجتهد) ويسمى (المقلّد). والعالم الذي يصل إلى مرحلة (الاجتهاد) والذي لم يكن باستطاعته النهوض بالقيادة (المرجعية) فإنه يبقى معلقا بين مرحلتي (الاجتهاد والتقليد) ويسمى (محتاطا). وهناك الكثير منهم في النجف يمكن أن يظهر اجتهادهم لعامة الناس يوما ما، كما أن هناك عددا من كبار المجتهدين، بعضهم على درجة عالية من الثقافة، وبعضهم ممن يفتخر بهم العالم الشيعي، ويقوم بعض هؤلاء (المجتهدين) بالواجبات العامة تجاه شؤون الناس الاجتماعية في حين أن بعضهم الآخر قد قصر نفسه على النشاطات العلمية وحدها.

وقد زرت مؤخرا عددا من المدارس، وتحدثت مع الطلبة حول دراستهم، ومعيشتهم، وعن أوطانهم أيضا. وسألت أحد الطلبة وهو الشيخ محمد رضا شمس الدين أن يوضح لي منهاجه اليومي، وقد ذكر لي أنه ينهض صباحا.. ليؤدي صلاة

(الفجر)، وبعد شروق الشمس يحضر بحث (الخارج) على يد السيّد أبي القاسم الخوئي في (الفقه). وبعدها يتجه إلى تدريس (البلاغة)، والفلسفة الإسلامية في كتاب يسمى (شرح الباب الحادي عشر) للمقداد السيوري، عندها يحضر درسا فقهيا آخر في بحث (الخارج) للشيخ عباس الرميثي، يعالج جانبا من شرح كتاب شهير هو كتاب (الشرائع) ثمّ تأتي المحاضرة الثالثة لبحث (الخارج) في مباحث (الزكاة) من نفس المصدر. ثمّ يستمر بالحضور على يد السّيد علي الفاني الإصفهاني في محاضرات البحث (الخارج) الأُخرى.

وهو مع كل ذلك كان عليه أن يستعد للدراسة والتحضير بنفسه وألا يتخلف عن مواعيد الصلوات، وما يحتاجه لشؤون حياته الخاصّة.

وبالتأكيد فإنّ هذا البرنامج هو برنامج مليء بالحيوية. وبعبارة أُخرى فإنّ الطالب يمكن أن يُتعب نفسه إذا رغب، أو يتركها وشأنها إذا كان ذلك رائقا له. وبالنتيجة فلا توجد أي قوة خارجية تجبر الطالب على أداء مهماته سوى ما تمليه رغبته عليه.

أما الطالب المتألق الآخر الذي زرته في مدرسة (القوام) فهو الشيخ علي الكرمي وهو من الطلاب الذين يعيشون مع عوائلهم خارج المدارس. ويحضر هذا الطالب الشاب محاضرات الشيخ حسين الحلّي، ويمتلك قابلية أدبية حسنة، وعقلاً فلسفيا رائعا. وهو بدوره يقوم بتدريس علوم (البلاغة). أما أخوه فهو عالم شهير، ومؤلف دراسات في الفلسفة الإسلامية.

إنّ الميزات الثقافية التي تختص بها (النجف) تتدرج بما يلي:

١ ـ لا تخضع الدراسة لأي سلطة خارجية سواء أكانت حكومية أم مجلس إدارة.

٢ ـ إنَّ أي شخص يذهب للإقامة في (النجف) فإنه يذهب لغرض تحصيل

منفعته، فالتعلم لا يهدف أي دوافع خارجية سوى الصلاح الديني والتقوى، وخدمة الأغراض الإلهية، ولهذا فالطالب في (النجف) يجمع بين التقوى وطلب العلم.

٣ ـ تتميز الدراسة في النجف بأنها تستند إلى (القناعة) و (الزهد) ولا صلة للطالب بحياة (الترف) بالرغم من أن جميع الذين التقيت بهم بدوا على جانب من الكرم. فعندما كنت أزور غرف الطلبة كنت أُدعى لتناول (الشاي) أو (القهوة) أو المشروبات الأُخرى. وقد ترك طالب (أفغاني) ـ كان يستقبلني ـ غرفته حالاً عندما اعتذرت له عن تناول المشروبات الخفيفة المتوفرة لديه، وجلب عوضا عنها (صحنا) مليئا بالرمان. إن الكرم والمودة ـ باختصار شديد ـ يطوقان تلك الأجواء.

٤ ـ الدراسة في (النجف) دراسة حرة بكل ما للكلمة من معنى، حيث لا توجد حدود للمناظرات والاستفسارات، فحرية البحث هي القاعدة التي يدور عليها إطار الفكر الإسلامي.

٥ ـ استطاعت الدراسة في (النجف) أن تحل إشكالية تفاوت الأفراد حيث يستطيع الطالب الانتقال من مرحلة دراسية إلى مرحلة أُخرى حسب ما تمليه عليه مقدرته، واختياره لنمط المواد التي يرغب بدراستها، ونوعية الكتب أو الزملاء، وحتى اختيار الأُستاذ الذي يرتاح إليه.

إنَّ نمطا كهذا من أنماط التعليم هو لغرض الفائدة، وعدم وجود فترة زمنية محددة للدراسة تجعل الطالب مستمرا في توجهه العلمي دون أي ضغوط، الأمر الذي يجعله لا يعاني من مشكلة المناهج المفروضة عليه أو مشكلة الساعات المقررة التي يجبر على حضورها.

٦ ـ مشكلة (الامتحان) لا تضايق حياة الطلبة، أو أساتذتهم، وتبقى قابلية الطالب، وتمكنه من الأشياء السبيل الوحيد لنجاحه، ونجاح أقرانه أيضا. وقد كان على أحد

العراقيين من دارسي العلوم الدينية أن يظهر بعض قدراته العلمية الأولية أمام لجنة لمتابعة الدراسة لكي يتخلص من الخدمة العسكرية لكن مثل هذه المقابلة لا تعني أنه خضع لامتحان حقق له إنجازا مهما.

٧ ـ إن تطور الشخصية والطباع يُنميان من خلال القدوة الحسنة، والرفقة الطيبة مضافا إلى الالتزام بالتعاليم الدينية. ومع ذلك فقد سمعت بعض الشكاوى التي تشير إلى أن بعض الأفراد من ذوي الشخصيات الضعيفة الذين يميلون إلى حب الذات يكونون في بعض الأحيان في صفوف الطلبة. وبعبارة ثانية إن الاحتياجات المادية الضرورية أضعفت المقومات التي كان يتمتع بها طلبة العلوم، كما أنها حدّت من نفوذ بعض العلماء الذين كانوا متنفذين بشكل كبير.

٨ ـ ومن الميزات المهمة للدراسة في (النجف) أنها دراسة تامة، فالموضوع الواحد يدرّس، ويعاد تدريسه في كتب متعاقبة. وبالتأكيد فإن هذه الطريقة ستترك تأثيرا قويا على الطالب. وعلاوة على ذلك فإن الطالب يدرّس ما كان قد درسه أكثر فأكثر. وإن تجربتي الخاصة تدفعني للاعتقاد أنه لا توجد طريقة للتخصص في الموضوع أفضل من تدريسه.

وبالرغم من كل تلك المميزات فهناك بعض المشكلات التي تخص النظام الدراسي في جامعات (النجف) يمكن إجمالها بما يلي:

أولاً: مشكلة المناهج الدراسية:

إن مناهج الثقافة ترجع إلى ثقافة العصور الوسطى القديمة، وإن علماء (النجف) وإن كانوا يمتلكون مداخل أولية للفكر المتجدد، والعلوم الحديثة، والفلسفة العصرية، وعلم النفس الحديث، وحتى في المجال الصحي، إلّا أنّ ذلك لم يكن كافيا حتى

يلاحظ أن بعض المدارس لا تزال تحتوي على (حوض) ماء يستعمل لجميع أغراض الغسيل المشتركة مما يساعد على (التلوث).

وقد أجريت محادثات كثيرة مع العلماء، والمجتهدين الكبار حول حاجة تقديم مواضيع دراسية جديدة كالفلسفة الحديثة، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، وبعض العلوم الطبيعية المبسطة، وشيء عن العناية الصحية. وكانت الاستجابة غير إيجابية. وأتذكر حديثا جرى بيني وبين أُستاذ في الفلسفة الإسلامية حول فلسفة هنري برجسون (Henri Bergson) وقد وجدته غير ملم بهذا الاسم.

من هنا فإن النتاج العلمي للنجف لم يحقق نجاحا في مواجهة التحدي الروحي للعوالم الحديثة، مما يجعل هذه الملاحظة من الملاحظات الجادة في المضمار.

ثانيا: (مشكلة الإجازات العلمية):

والملاحظة الثانية تتعلق (بإجازة) الطلبة حيث ـ كما قلت ـ إن عدم الامتحان، وعدم الرقابة على حضور الطلاب يجعل كل يعمل بحرية تامة. ولكن في الوقت نفسه لا يمكن للمرء أن يتجنب لقاء أُولئك الطلبة الذين يغادرون (النجف) لا عن (كفاءة)، ويدّعون أنهم مؤهلون للمهام الدينية في المناطق التي يذهبون إليها، ويترك الأمر للناس حيث يمكن اكتشاف ما إذا كان رجل الدين مؤهلاً، أم لم يكن كذلك. وبالتأكيد فإن النزاهة، وأريحية الشخص ربما تكونان بديلاً في المهمات الاجتماعية عن المستوى العلمي المطلوب. ولا شك أن العالم إذا كان (مجازا) ومعترفا له ببلوغ الدرجة العلمية المطلوبة فإن الناس ـ والحال هذه ـ ستكون استفادتها منه بشكل أفضل.

ثالثا: (مشكلة الاحتياجات المادية):

حيث ـ كما لاحظنا ـ أنه لا توجد مصادر مالية محددة، ولا دخل ثابت، وإنما يتأرجح ذلك حسبما تمليه الظروف المحيطة بهم، الأمر الذي يجعل حياة الطالب موضوعا للضنك المادي المحاط بالمخاوف. كما أن الظروف المادية ربما لم تكن كافية بالمقدار الصحيح لإطعام الطالب أو إكسانه، أو توفير بعض المستلزمات التي يحتاجها للنفقة.

وبالختام فإن (النجف) تواجه نفس الصعوبات التي يواجهها العالم الشيعي بشكل عام. فهل أن العالم الشيعي ماضٍ لتغيير حياته الدينية نحو التجديد، والإدارة الأكثر تنظيما؟! وهل سيغير قياداته الدينية إلى قيادات مسؤولة وعصرية، أم ستبقى الحياة الدينية بعيدة عن احتياجات الناس ومتطلباتهم، وتفكيرهم؟!

ما أتصوره: أن قادة (الشيعة) بالتعاون مع قيادات المذاهب الإسلامية الأُخرى عليهم أن يوحدّوا جهودهم لإحلال الحياة الروحية في المجتمع المسلم، وجعلها تتلاءم مع متطلبات العالم المتمدن لكي يسود التفاهم، والتسامح، وأخوَّة الشعوب الإسلامية، وغيرها من الشعوب الأُخرى المترامية في أنحاء العالم». انتهى تقرير الدكتور فاضل الجمالي، وهو تقرير جامع عن أوضاع حوزة النجف الأشرف.

٧ ـ الحياة السياسية في حوزة النجف

رسالة الحوزة العلمية، رسالة علمية دينية فكرية فقهية، هدفها قيادة الأُمة نحو الأهداف السامية التي أرادها لها اللّه سبحانه، كونها الأُمة الوسط، والأُمة الشاهدة والشهيدة.

وقد سعى علماء الحوزة ومرجعيتها الدينية في هذا الاتجاه، وبذلوا من جهدهم

الكثير؛ بل وظفوا كلَّ طاقاتهم من أجل تحصين الأُمة والسير بها نحو الفضيلة في سيرها التكاملي إلى اللّه سبحانه.

وقد يتصور البعض أنّ الحوزة وعلماءها قد انحصر دورهم في الجوانب العلمية فقط، ولم يدخلوا في معترك الحياة السياسية والاجتماعية للأُمة، وهو تصور خاطئ أوحت إليه بعض التفسيرات والتحليلات الخاطئة أو المغرضة؛ والواقع التاريخي والعملي يكذبها؛ فالحوزة العلمية تفاعلت مع الأُمة، وحملت همومها، وجسدت آمالها وتطلعاتها، ودافعت عن حقوقها ومكتسباتها.. بل كانت الحوزة ورجالها ومراجعها هم قادة الأُمة في معتركها السياسي والاجتماعي، وكانت مفزع الأمة في الأحداث والوقائع السياسية والاجتماعية الكبرى، وهذا ما سجلته عشرات بل مئات المواقف المشرفة لعلماء الأُمة ومراجعها في حوزتها العلمية الأُم؛ حوزة النجف الأشرف؛ التي كانت ولا زالت تمثل مركز المرجعية الدينية للشيعة الإمامية.

يقول الشيخ مغنية: «ويجيبنا التاريخ بأنّ النجف أول جامعة خرَّجت مفكرا عظيما، عارض الاحتكارات الاستعمارية، وقضى عليها، كما خرجت عظماء حاربوا الاستبداد والمستبدين، ودعوا إلى الحرية، وقاتلوا المستعمرين، وهزوا الكيان البريطاني من أساسه يوم كانت إنكلترا الدولة الأُولى في العالم كله، وضعضعوا العرش العثماني، وأَفزعوا القيصرية الروسية، وأخافوا الملوك القاجاريين، ومن جهل هذه الحقيقة فقد جهل التاريخ المنصف الذي يعطي لكل ذي حق حقّه»[1].

ومن أهم الأحداث والمواقف السياسية الكبرى التي يمكن أن نشير إليها

---

(١) مغنية ـ محمد جواد، مع علماء النجف الأشرف: ١١٨، مراجعة وتصحيح: رياض الدباغ، طبعة قم، ١٤٢٦ هـ.

(وباختصار) كنماذج لتفاعل الحوزة العلمية ورجالها مع هموم الأُمة وتطلعاتها:

أولاً: رعاية مصالح الأُمة الإسلامية:

ويتجلى ذلك في التدابير السياسية التي اتخذها بعض الفقهاء من خلال مواقفهم وفتاواهم التي كانت لها صبغة سياسية، ومن مصاديق ذلك فتوى الميرزا الشيرازي محمد حسن المعروفة بـ (فتوى التنباك) «ففي سنة (١٣٠٩ هـ) منح شاه إيران ناصر الدين القاجاري امتيازا لشركة إنكليزية بحصر (التبغ)، فأدرك الميرزا الشيرازي ـ الذي كان المرجع الديني الأعلى الأول يومذاك ـ إن هذه الشركة أكبر خطر يهدد اقتصاد إيران، وأنها طريق لتحكم الاستعمار بمصير البلد، فلم يجد سبيلاً للقضاء عليها إلّا بتحريم التدخين على الإيرانيين، وما أن شاع خبر التحريم، حتى تركه أهل إيران، وكسرت كل نارجيلة، وكل آلة من آلات التدخين.. فاضطر ـ الشاه ـ إلى فسخ الامتياز، واستراحت البلاد من شرور الشركة..»[١].

ثانيا: التوعية السياسية للأُمة:

ويتجلى ذلك واضحا في مشاركة العلماء في ما عرف بـ (المشروطة)، وهي الدعوة التي قامت في إيران منادية بالدستور والحكم بموجبه، ومن خلال البرلمان المنتخب من قبل الشعب، والابتعاد عن العمل الفردي والتي تعرف بـ (المستبدة)[٢].

وكانت مطالبة الأحرار الإيرانيين بالدستور والبرلمان قوية وشديدة ولم تستطع الحكومة القاجارية والتي تتمثل آنذاك بحكومة مظفر الدين شاه، أن توقفها، وكان لرجال الحوزة العلمية في إيران دور كبير في استمراريتها، وتفاعل معهم في ذلك

---

(١) مغنية ـ محمد جواد، مع علماء النجف الأشرف: ١١٩.

(٢) محمد علي ـ عبد الرحيم، المصلح المجاهد: ٦٥.

علماء حوزة النجف الأشرف، ومن خلال أساطين علمائها، وعلى رأسهم المصلحين الجليلين، الميرزا حسين الخليلي (ت ١٢٣٠ هـ) الذي «كان ركن النهضة الإيرانية الركين، وزعيمها الكبير؛ عقدت في مدرسته الكبيرة محافل الإيرانيين أيام الاستبداد.. واحتفل العلماء في المدرسة المذكورة في (٨ رجب ١٣٢٧ هـ) عند خلع محمد علي شاه القاجاري..»[1] والمصلح الكبير المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني (ت ١٣٢٩ هـ) وأتباعهما من أمثال المجاهد الشيخ عبد الله المازندراني (ت ١٣٣٠ هـ) والميرزا محمد حسين النائيني (ت ١٣٥٥ هـ) صاحب الكتاب المشهور «تنبيه الأُمة وتنزيه الملة».

والسّيد إسماعيل صدر الدين (١٣٣٨ هـ) والشيخ محمد تقي الشيرازي.. والطبقة النيرة من العلماء الذين كانوا يؤيدون حكم البلاد بدستور ومجلس نيابي[2].

لقد تبنى علماء النجف فكرة المشروطة لأنها تصب في صالح الأُمة الإسلامية عامة، «وما أن تبنت النجف هذه الفكرة، حتى انعكست الآية، فبعد أن تولدت في طهران أصبحت طهران وغيرها صدى للنجف التي هزت عرش الشاه وأودت به، وأصبح الخراساني محورا يدور الجميع من حوله.. قال صاحب كتاب (شعراء الغري) نقلاً عن مذكرات السيّد هبة الدين الشهرستاني الذي رافق هذه الحركة، وساهم فيها مساهمة فعالة: «أصبحت النجف في ذلك العهد مركزا سياسيا مهما، وشبحا مخيفا بين عواصم الأُمم الإسلامية، مما دعا أن يستنجد بها أحرار تركيا عندما أحسوا بأنّ السلطان عبد الحميد سيفتك بهم ويقتلهم، فطلبوا من أحرار النجف وزعيمهم الإمام

---

(١) الطهراني، آقا بزرك، طبقات أعلام الشيعة الكرام البررة: ٢ / ٥٧٥.

(٢) عبد الرحيم، المصلح المجاهد: ٧٠ ـ ٧١.

الخراساني أن يبرقوا إلى عبد الحميد برقية ينصحونه فيها، ويؤنبونه، وإجابة إلى تدعيم الفكرة بادر أبو الأحرار الخراساني ببرقية مطولة ملأت صحيفة كاملة، وفيها انذارات وتهديدات ونصائح للرضوخ إلى فكرة الأحرار»[1].

وكان للحركة الدستورية (المشروطة) التي قادها علماء النجف الأشرف نتائج ايجابية كبيرة لا يسع المجال لذكرها هنا»[2].

ثالثاً: مشاركة الأُمة في جهادها ضد الاستعمار:

وقد سجل مراجع علماء الشيعة عامة، وفضلاء حوزتها العلمية في النجف الأشرف، صفحات مشرقة في سوح الجهاد، وكان لمجتهديها حضورهم القيادي الفاعل في قيادة الفصائل الجهادية.

فنجد الشيخ جعفر كاشف الغطاء (ت ١٢٢٨ هـ) في الوقت الذي يقود المجاهدين للدفاع عن مدينة النجف الأشرف أمام الهجمات العدوانية الوهابية القادمة من الجزيرة العربية، نجده يقف إلى جانب الدولة القاجارية في إيران أيام حكم ملكها فتح علي شاه في حربها مع روسيا القيصرية، فيصدر مع علماء آخرين في النجف وكربلاء فتوى جهادية دفاعية، ويُجَوِّزُ صرف الأموال الشرعية في هذا المجال، ويحث أبناء الأُمة الإسلامية على الجهاد والدفاع عن حوزة الإسلام وأراضيه، ويكتب كتابه المعروف بـ (غاية المراد في أحكام الجهاد) بالتماس من عباس ميرزا ابن فتح

---

(١) مغنية ـ محمد جواد، مع علماء النجف: ١٢٤ ـ ١٢٥ نقلاً عن الخاقاني في شعراء الغري: ١٠ / ٨٩. وللتوسع أُنظر، المرجع السابق: ٧٣ وما بعدها.

(٢) أُنظر، عبد الرحيم محمد علي، المصلح المجاهد: ٩١ وما بعدها.

علي شاه القاجاري[1].

كما أن للشيخ الآخوند الخراساني وشيخ الشريعة الإصفهاني، والسيّد إسماعيل الصدر، والشيخ عبد اللّه المازندراني.. الدور الكبير في إصدار البيانات والفتاوى والمواقف الحاسمة في التصدي للغزو الروسي على البلاد الإسلامية.

وتوفي الشيخ المجاهد الخراساني في فجر اليوم الذي كان عازما فيه على قيادة التحرك العسكري ضد الاستعمار الروسي. وذلك في فجر يوم الثلاثاء (٢٠ ذي الحجة ١٣٢٩ هـ)[2].

وأما حركة النجف الأشرف وعلمائها ومرجعياتها في التصدي للغزو الإنكليزي للعراق، فهو فصل طويل من الفصول المشرقة في تاريخ الحوزة العلمية، سطر حروفها علماء كبار من أمثال السيّد محمد سعيد الحبوبي، والسيّد مهدي الحيدري، والشيخ مهدي الخالصي، وشيخ الشريعة الإصفهاني، والسيّد علي الداماد، والسيّد أبو القاسم الكاشاني[3].

ثمّ جاءت فتوى الشيخ محمد تقي الشيرازي بنصها: «مطالبة الحقوق واجبة على العراقيين، ويجب عليهم في ضمن مطالبتهم رعاية السلم والأمن، ويجوز لهم التوسل بالقوة الدفاعية إذا امتنع الإنكليز عن قبول مطالبهم» لتكون بمثابة الصرخة المدوية

---

(١) آقا بزرك الطهراني، الذريعة إلى تصانيف الشيعة: ١٦ / ١٣ ـ ١٤.

(٢) عبد الرحيم ـ محمد علي، المجاهد الأكبر: ١١٠، وأُنظر، سليم الحسني، دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار: ٦٢ وما بعدها.

(٣) أُنظر، الوردي ـ علي، لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث؛ المجلد الخاص بثورة العشرين، القسم الأول والثاني.

التي غيّر بها مجرى التاريخ[1].

ولم يقتصر الدور الجهادي لعلماء الشيعة وحوزتها العلمية في النجف الأشرف على الغزو الروسي القيصري لإيران، أو الغزو والاحتلال البريطاني للعراق، بل تعدى ذلك إلى أقطار إسلامية أُخرى تعرضت للغزو والاحتلال من قبل الاستعمار، القديم منه والحديث.

فعندما تحركت ايطاليا لاحتلال الأراضي الليبية، وأنزلت قواتها العسكرية في طرابلس وبنغازي سنة (١٩٠٩م) بادر علماء الشيعة إلى اصدار فتواهم في وجوب الجهاد ومحاربة الاستعمار الايطالي، كما ساهم الشيعة إلى جانب السنّة في تشكيل لجان الدفاع عن طرابلس الغرب وجمع التبرعات.. كما شهدت كربلاء، والنجف وسامراء تظاهرات جماهرية.. دعا فيها الخطباء إلى نبذ الخلافات الطائفية وتوحيد الجهود.

كما اهتم الشعر الشيعي بالاحتلال الايطالي، ونظّم علماء الشيعة القصائد السياسية التي تبيّن أبعاد التحدي الاستعماري وواجب المسلمين إزاء المشاريع الاستعمارية»[2].

هذه مجرد اشارات وتنبيهات لفصول طويلة من الجهاد والتضحية من أجل مصالح الأُمة الإسلامية خاض غمارها علماء الشيعة ومراجعها، مما لا يمكننا استيعاب كل تفاصيله.

---

(١) مغنية ـ محمد جواد، مع علماء النجف الأشرف: ١٢٦ ـ ١٢٧، وأُنظر، سليم الحسني، دور علماء الشيعة: ٧٩، وحسن الأسدي، ثورة النجف: ٩١، والدكتور علي الوردي في موسوعته: لمحات اجتماعية من تاريخ العراق: ٥ / ٢٣٥.

(٢) سليم الحسني، دور علماء الشيعة: ٥٠ وما بعدها.

وأما قضية فلسطين واحتلال أراضيه وتهجير أهله منها فهي قضية طويلة، وقف فيها علماء الشيعة وقفة مشرفة من خلال مواقف كريمة لا زالت مثمرة إلى يومنا هذا من خلال دعم حركات التحرر، ودعم الشعب الفلسطيني في قضيته العادلة، والمطالبة بحقوقه في المحافل الدولية.. وهذه القضية أيضا لها فصولها وأبوابها مما لا يمكن استيعاب جزء يسير منه في هذه العجالة[١].

رابعاً: تشكيل الجمعيات والأحزاب السياسية ودعمها:

مع بدايات القرن العشرين ظهرت في الساحة السياسية العالمية، أحزاب وحركات تحررية ثورية، تأثر بها المجتمع الإسلامي، ونسج على منوالها بعض الساسة في العالمين الإسلامي والعربي أحزابا ومنظمات تحت أسماء ومسميات مختلفة، إلّا أنها مستنسخة اما من الأحزاب الأُوروبية، أو من الاتحاد السوفيتي.

كذلك نلاحظ في هذا القرن ظهور حركات إسلامية ناشطة في بعض بقاع العالم الإسلامي، كحركة السيّد جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وكذلك ظهور حركة الأخوان المسلمين، وحزب التحرير، وحركة تقي الدين النبهاني في الأُردن...

ولم يكن العراق، وحاضرته العلمية النجف الأشرف وحوزتها العلمية بمنأى عن هذه الحركات، إذ كانت تفد إليها نتاجها العلمي، والفكري فتتفاعل معها، بل «قد ساهمت النجف في غير واحد من الحركات السياسية التي اجتاحت البلدان الإسلامية، وكانت في كثير من هذه الحركات محور النشاط السياسي.. وقد قامت النجف بحركات تحررية كبيرة في الوطن الإسلامي الكبير في الأدوار المعاصرة،

---

(١) أنظر، د. صلاح عبد الرزاق، علماء الشيعة ونصرة القضية الفلسطينية.

ودعت المسلمين إلى تبنّي هذه الحركات، وساهمت في كثير من الحركات التي كانت تقام في ارجاء الوطن الإسلامي، وساندت المسلمين في صراعهم مع الاستعمار في كثير من المواقع»[1].

ومن الجمعيات والحركات والأحزاب التي شهدتها النجف الأشرف وساهم في تأسيسها علماؤها يمكن أن نشير إلى:

أ: جمعية النهضة الإسلامية:

وهي جمعية سرية تأسَّست في حدود سنة (١٩١٥ م)، تسعى إلى تحرير العراق من الاحتلال البريطاني، وقد تمخض الشعور النجفي عن تأسيسها وقد ذهبت المصادر إلى أن الشيخ عباس الخليلي هو رائد فكرة التأسيس، حيث بدأ بالتشاور مع رجال الحوزة العلمية المعروفين بنشاطهم السياسي، حتى تمخضت الاجتماعات عن ولادة «جمعية النهضة الإسلامية» وضمت الجمعية بالاضافة إلى الخليلي، الشيخ محمد جواد الجزائري، والسيّد محمد بحر العلوم.. ثمّ توسعت وانضمّ إليها الكثير من رجالات الحوزة العلمية ومن الأُسر المعروفة بالزعامة الاجتماعية..»[2].

ب: جماعة الأحرار:

«وقد ضمت طبقة من المثقفين والسياسيين، مناهضة للعثمانيين من جانب، وللاستعمار البريطاني من جانب آخر..»[3] وتأثر بعض الشباب النجفي بالمثقفين العرب في سوريا ومصر، بعد أن اخذت الصحف تدخل الأوساط النجفية، ويطلع عليها المثقفون، والمناهضون للسلطة العثمانية والسلطة الاستعمارية الجديدة، فأطلق

---

(١) الآصفي، تطور الحركة الاصلاحية في النجف: ٧١.

(٢) الحكيم ـ حسن، المفصل: ٢ / ١٧٣ وما بعدها.

(٣) المرجع نفسه: ٢ / ٢٣٣.

على هذه المجموعة اسم (طبقة الأحرار)[1]. وكان من بين رجال هذه الجماعة علماء كبار من أمثال الشيخ جواد الجواهري، والشيخ محمد جواد الجزائري، والسيّد محمد علي بحر العلوم، والشيخ عبد الرضا الشيخ راضي.. وغيرهم»[2].

ج: حزب النجف

بعد أن اخفقت ثورة النجف وأعدم بعض قادتها عام (١٩١٨ م) قام لفيف من المفكرين النجفيين باعداد حركة ثورية أوسع، بحيث تشمل جميع العراق، وتصدى رجال الحوزة العلمية ومن ذوي الأفكار الثورية المنفتحة لهذا الجانب.. وقد وضع هذا الحزب في برنامجه السياسي (استقلال العراق) وبدأت الاجتماعات السرية تعقد هنا وهناك في مدينة النجف الأشرف في المدّة الواقعة بين (١٩١٨ م ـ ١٩٢٠ م)[3]. ضمّ هذا الحزب العديد من علماء الدين وزعماء العشائر في الفرات الأوسط.

د: الجمعية السرية السياسية:

تأسست هذه الجمعية بعد اخفاق ثورة العشرين، والتي أعقبتها معاهدة (١٩٢٢ م) وانتخابات المجلس التأسيسي التي أصدر علماء الدين في تشرين الثاني (١٩٢٢ م) فتاوى بحرمتها ومقاطعتها، فصدرت على أثر ذلك اعلانات غير موقعة من جهة معينة تحث على الانصياع لفتاوى العلماء في النجف الأشرف وكربلاء والكاظمين، مما أدى إلى توقف الانتخابات في المراكز الشيعية في العراق واستقالت اللجان الانتخابية في النجف الأشرف وكربلاء والحلة والكوفة، واحتمل بعض الباحثين أن يكون وراء هذه الجمعية بعض رجال الدين..، وأشارت بعض المصادر إلى هذه الجمعية، ودورها

---

(١) الأسدي، ثورة النجف: ٥٠ ـ ٥١.

(٢) الحكيم، المفصل: ٢٠ / ٢٣٥.

(٣) المرجع نفسه: ٢٠ / ٢٥٣.

في التقيد بمعاهدة عام (١٩٢٢ م)، في اجتماع عقد في الجامع الهندي في يوم الجمعة بتاريخ (٢٨ تموز ١٩٢٢ م)[1].

وهكذا انطلقت الأحزاب والجمعيات السياسية[2] وتحت أسماء مختلفة عملها السياسي من حاضرة العلم والعلماء النجف الأشرف، وكانت تحظى بتأييد ودعم المرجعية الدينية، وخاصة الميرزا الشيرازي، الذي يعتبر مفجر الثورة العراقية الكبرى، بل «كانت الجمعيات السياسية تعمل بدعم الميرزا محمد تقي الشيرازي، كما أنّ التنسيق كان يتم فيما بينها لتوحيد خطوات التحرك»[3].

وبعد رحيل الميرزا الشيرازي واصل علماء الشيعة دعمهم للجمعيات والأحزاب والحركات الجماهيرية، فأصدروا الفتاوى في تحريم الانتخابات، وتحريم الدخول في أجهزة الدولة.. وانتهت بتسفير المراجع الدينيين إلى إيران.. وكان على رأسهم السيّد أبو الحسن الإصفهاني، والشيخ حسين النائيني، والشيخ الخالصي، ثمّ عودتهم إلى العراق ـ ما عدا الخالصي ـ عام (١٩٢٤ م)، ولم تسجل أيّة أحداث مهمة إلّا بعد ربع قرن من الزمن على يد الإمام السيّد محسن الحكيم (ت ١٣٩٠ هـ ـ ١٩٧٠ م) الذي يمكن أن يكون عصره منطلقا جديدا في تحرك المؤسسة الدينية سياسيا من خلال الأحداث الفكرية المستجدة، وتنامي الأحزاب الإسلامية، التي شهدها العراق خلال فترة الخمسينات الميلادية[4].

---

(١) الحكيم، المفصل: ٢ / ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٢) للتوسع أُنظر، السيّد حسن شبر، العمل الحزبي في العراق: المجلد الأول.

(٣) الحسني ـ سليم، دور علماء الشيعة: ٢٤٠ ـ ٢٤١.

(٤) القزويني ـ جودت، المرجعية الدينية: ٢٦٤ ـ ٢٦٥.

هـ: تأسيس حزب الدعوة الإسلامية:

يعد ظهور حزب الدعوة الإسلامية في (١٧ ربيع الأول عام ١٣٧٧ هـ) الموافق (١٢ تشرين الأول عام ١٩٥٧ م)[١]، نقطة تحول كبرى في الحياة السياسية للحوزة العلمية النجفية التي إنطلق هذا الحزب منها، وبتأسيس وتنظير من عَلم من أعلامها المجتهدين السيّد الشهيد محمد باقر الصدر (استشهد ١٩٨٠ م) الذي وضع أسس هذا الحزب وبرنامجه التنظيمي.

وقد سبق ظهور حزب الدعوة الإسلامية، تأسيس الشيخ عز الدين الجزائري لتنظيم سري في النجف أطلق عليه اسم «منظمة الشباب المسلم» وعمل هذا الحزب تحت شعار «مجتمع مسلم، دولة إسلامية، سعادة الدنيا، ونعيم الآخرة» ومن خلال واجهات ومسميات متعددة كانت تعرف اسماؤها كمنظمات أو حركات مستقلة كمنظمة المسلمين العقائديين..[٢].

وبعد ظهور حزب الدعوة الإسلامية تقلص دور منظمتي الشباب المسلم، والمسلمين العقائديين، حتى انتهى دورهما بعد أن حققا بعض المكاسب الثقافية والفكرية للشباب الشيعي بابعاده عن الأحزاب العلمانية واللادينية، وتلقينه بالثقافة الإسلامية وإن كانت على الطريقة الحزبية المنظمة»[٣].

وعمل حزب الدعوة الإسلامية في ظل مرجعية السيّد الإمام الحكيم، الذي ساند

---

(١) النظام الداخلي لحزب الدعوة الإسلامية، المقدمة: ٧، الطبعة الجديدة، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م. وشبر ـ حسن، العمل الحزبي في العراق: ١ / ٢٥٥.

(٢) القزويني ـ جودت، المرجعية الدينية: ٢٦٦ ـ ٢٦٧.

(٣) المرجع نفسه: ٢٦٨.

هذا الحزب، وكان يعتبره ضرورة من ضرورات المرحلة التي مرَّ بها العراق يومذاك[1].

وقد انتمى إلى هذا الحزب مجموعة من فضلاء الحوزة العلمية في النجف الأشرف، وكان من بينهم نجلا السيّد الحكيم، السيّد مهدي، والسيّد محمد باقر...

ومن بعد رحيل السيّد الحكيم سنة (١٩٧٠ م) عمل هذا الحزب في ظل مرجعية السيّد أبي القاسم الخوئي (ت ١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م) الذي لم يُؤثر عنه العمل السياسي[2].

ثمّ تعلقت آمال الحزب بمرجعية السّيد محمد باقر الصدر (استشهد ١٩٨٠ م) وهو المؤسس الحقيقي لهذا الحزب. إلّا أن هذه الآمال تبددت بإعدام السيّد الشهيد الصدر وأُخته العلوية، وصدور حكم الاعدام بحق المنتمين لحزب الدعوة الإسلامية وبأثر رجعي في (٣١ / ٣ / ١٩٨٠ م) فواجهت الحركة الإسلامية في العراق والمتمثلة آنذاك بحزب الدعوة الإسلامية أشرس وأعتى مواجهة مع النظام البعثي، حيث اعتقل عشرات الأُلوف من أبناء الأُمة، وأعدم الكثير منهم، ومن وجد فرصة للخروج من العراق، خرج مهاجرا إلى اللّه.

ولحزب الدعوة الإسلامية ومنذ مراحل تكوينه وإلى يومنا هذا مسيرة جهادية كادحة، ولا زال يعتبر من أهم القوى السياسية الفاعلة في الساحة، إلّا أنه فقد دوره الفكري والثقافي والتغييري في وسط الأُمة، لانتقاله إلى المرحلة السياسية ومرحلة استلام السلطة.. بحسب التقسيم المرحلي لعمل هذا الحزب.

ومهما يكن من أمر، فهذه أهم الحركات والتجمعات والأحزاب السياسية التي

---

(١) القزويني ـ جودت، المرجعية الدينية: ٢٧٠.

(٢) المرجع نفسه: ٢٧٧.

ظهرت في القرن الأخير، وفي المرحلة الثالثة من مراحل حوزة النجف الأشرف، وحظيت هذه الحركات بدعم ومباركة، بل وبرعاية فكرية وتنظيرية من قبل مراجع الحوزة العلمية وفضلائها.

خامساً ـ التصدي للتيارات السياسية والفكرية المنحرفة:

لقد ظهرت على الساحة الفكرية والثقافية والعقائدية في مطلع القرن العشرين وما تلاه من عقود زمنية، حركات وتيارات فكرية منحرفة دينيا وفكريا وعقائديا، اكتسحت مدن العراق ونواحيه، مستهدفة الإنسان المسلم في عقيدته ودينه وفطرته التي فطره اللّه عليها، كالشيوعية، والبهائية، وحركات الغلو المتطرفة...

ولم تقف حوزة النجف الأشرف موقف المحايد اتجاه هذه الدعوات الهدامة، وإنما انبرت للتصدي لها، وكشف حقيقتها، وتفنيد أفكارها، وتوعية وتحذير الأُمة من خطر السقوط في مكائدها والانحراف مع أفكارها الهدامة.

والأمثلة على ذلك كثيرة سجلتها كتب التاريخ والسياسة، ففي أوائل الستينات اجتاحت الأفكار الشيوعية المدن العراقية، وأصبح لهذه الأفكار حضورها الفاعل والكثيف في الساحة السياسية والاجتماعية، ولم يقتصر دورها على العمل السياسي فقط وإنما طالت الأفكار والمعتقدات الدينية من خلال الأفكار الماركسية واللينينية، وشنَّ حَمَلَةُ هذه الأفكار حملةً شعواء على الثوابت الدينية، والمعتقدات الإسلامية، ورجال الدين ومؤسساته.. يساندهم في ذلك النظام السياسي الذي كان يقوده عبد الكريم قاسم بعد اسقاط الملكية...

فما كان من الحوزة العلمية ورجالها إلّا أن تتصدى لمثل هذه الأفكار الدخيلة على المجتمع المسلم، فأصدر المرجع الديني الأعلى في زمانه السيّد محسن الحكيم

فتواه المعروفة والمشهورة (الشيوعية كفر وإلحاد)؛ وكتب السيّد الشهيد محمد باقر الصدر﴿ؒ﴾ كتابه المعروف (فلسفتنا) وأردفه بكتابه الآخر (اقتصادنا) حيث ناقش في الأول منها، الفلسفة المادية الماركسية من خلال دراسة موضوعية جادة، وتناول في الثاني، بالنقد والبحث المذاهب الاقتصادية للماركسية والرأسمالية والإسلام في أسسها الفكرية. وكان لهذين الكتابين أثرهما البالغ في كشف حقيقة الأُسس التي يبتني عليها الفكر الشيوعي الماركسي، وتوعية الأُمة وتثقيفها بالفكر الإسلامي، الذي يستمد تعاليمه من منابع الوحي والنبوة.

وهنالك جهود كبيرة أُخرى بذلها علماء آخرون للتصدي للأفكار المنحرفة الأُخرى التي ظهرت في الساحة الإسلامية، منها جهود الشيخ البلاغي في تصديه للبهائية، ولدعاة التبشير النصراني المنحرف، ومن خلال مؤلفاته القيمة (الهدى لدين المصطفى) و (الرحلة المدرسية) وغيرهما.

كذلك نجد علماء آخرين تصدوا للفكر الوهابي الذي روج له محمد بن عبد الوهاب والذي يتقاطع مع تعاليم الدين الإسلامي في الكثير من مفرداته.

وبذلك كانت الحوزة العلمية ولا زالت تشكل المرجعية الفكرية والعقائدية للأُمة الإسلامية.

٨ ـ الآفاق المستقبلية للحوزة العلمية في النجف الأشرف

بعد حقبة زمنية امتدت لأكثر من ثلاثة عقود من الزمن جثم النظام البعثي البائد على صدور العراقيين، وكتم فيهم أنفاس الحرية وأذاقهم الويلات تلو الويلات، ولم يسلم من ذلك؛ أي مفصل من مفاصل ومؤسسات المجتمع العراقي.

ولم تكن الحوزة العلمية ومرجعيتها وعلماؤها وفضلاؤها، بمنأى من هذا الظلم

والتنكيل والقتل والتشريد. بل كانت المصيبة والقسوة على الحوزة أشد من غيرها لما للحوزة من دور فاعل ومؤثر في وسط الأُمة.

ولهذا عمد النظام البائد وطيلة فترة حكمه ومن خلال أجهزته الحزبية والقمعية على تقويض هذا الكيان العلمي والمرجعي للأُمة، فعمل ـ وبمنهجية أمنية صارمة ـ على ابعاد وتشريد المنتسبين لهذه الحوزة التي كانت تضم من أبناء الجاليات الإسلامية العدد الكبير، بالاضافة إلى اغتيال أو سجن الرموز البارزة من علمائها وفضلائها، وزرع الخوف والرعب في قلوب المنتسبين إليها، يضاف إلى ذلك كله تحجيم دور المرجعية الدينية، ومنع الأُمة من التواصل معها، وملاحقة مراكز تمويلها.. وغلق مدارسها وتهديم وإزالة الكثير من مؤسساتها.

بعد هذه المرحلة الكادحة المضنية والتي استطاعت فيها المرجعية الدينية العليا المحافظة على ما يمكن المحافظة عليه من كيان المؤسسة الدينية.. رغم كلِّ تلك الظروف القاسية؛ أفاقت الحوزة العلمية في النجف الأشرف على واقع سياسي جديد، بعد ازالة النظام البعثي البائد. وإذا بنسائم الحرية تهب مجددا على هذه الحوزة العريقة في كيانها، فتنتعش الآمال وتدب الحياة العلمية من جديد في أَروقة ومساجد ومدارس حوزة النجف الأشرف.

لقد استطاعت الحوزة العلمية في النجف الأشرف وخلال هذه الفترة القصيرة من عمرها الجديد، ومن خلال المرجعيات الدينية فيها، والفضلاء الذين كانوا فيها، أو عادوا إليها من المهجر.. أن تنظم أمرها، وتضع الخطط والبرامج العلمية لطلّابها، وتعيد الحياة إلى مدارسها.. وهي جهود كبيرة ومضنية بذلت ولا زالت تبذل من أجل النهوض بهذا الصرح العلمي، لأداء دوره الفاعل في وسط الأُمة.

إلّا أنّ هذا الجهود وما نتج عنها من تقدم ـ نسبي ـ في سير الدراسة والتحصيل

العلمي في حوزة النجف الأشرف، لا زالت دون الطموح، ودون ما هو المأمل من هذه المؤسسة الدينية العريقة، والتي ينبغي لها أن تكون القدوة للحوزات العلمية الأُخرى، وأمام هذه الحوزة ورجالها أشواط كثيرة من العمل والمثابرة للوصول إلى ما تطمح إليه.

ولهذا ينبغي اعادة النظر والمراجعة لكل مفاصل وشؤون الحوزة وطلّابها، والاستفادة من الخبرات العلمية التي اكتسبتها بعض الحوزات العلمية الأُخرى، على صعيد المناهج الدراسية، وطرق التدريس، وإنشاء المدارس ودعمها، وشرائط قبول الطلّاب، ونظام الرواتب والمساعدات.. وغيرها الكثير الذي يحتاج إلى بذل جهود حثيثة ومتواصلة، وهمة عالية...

٩ ـ خلاصة أدوار حوزة النجف الأشرف

من خلال هذا الاستعراض والسبر التاريخي لحوزة النجف الأشرف يتضح لنا أن هذه الحوزة المباركة مرّت بثلاثة أدوار رئيسية:

الدور الأول: دور التأسيس:

وهو الدور الذي قام به شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي (ت ٤٦٠ هـ) وولده أبو علي الطوسي وأحفاده وبعض تلامذته، والذي امتد إلى ما يقارب القرن من الزمن، والذي سبقه وجود أرضية خصبة لحركة علمية متنامية.

الدور الثاني: إعادة النشاط العلمي:

وهو الدور الذي قام به المحقق الكركي (ت ٩٤٠ هـ) والمقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ) وامتدت من خلال تلامذتهم لأكثر من قرن من الزمن أيضا.

الدور الثالث: دور التكامل والنضوج العلمي:

وهو الدور الذي نهض به جهابذة الفقه والفقاهة من علماء الشيعة الإمامية من تلامذة مدرسة الوحيد البهبهاني﴿ره﴾ ابتداءً من السيّد مهدي بحر العلوم والشيخ جعفر الكبير (كاشف الغطاء) وعبر أجيال من العلماء والمراجع امتد من القرن الثاني عشر الهجري واستمر إلى يومنا هذا؛ وسوف يستمر إن شاء اللّه إلى حين حضور الحجة بن الحسن﴿عجل الله فرجه﴾.

مصادر ومراجع الكتاب

القرآن الكريم، كتاب الله تبارك وتعالى.

نهج البلاغة، للإمام علي بن أبي طالب عليه السلام.

ترتيب وفهرست د. صبحي الصالح، طبعة دار الهجرة ـ قم، الطبعة (بلا ـ ت).

(حرف الألف)

الاصفي ـ محمد مهدي

١ ـ الشيخ محمد رضا المظفر وتطور الحركة الاصلاحية في النجف، طبعة مؤسسة التوحيد ـ طهران، ضمن سلسلة رواد الاصلاح، الطبعة الأُولى، (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م).

٢ ـ مقدمة رياض المسائل للسيّد علي الطباطباني، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٢ هـ

٣ ـ مقدمة فرائد الأُصول للأنصاري، طبعة جامعة المدرسين ـ قم، الطبعة الأُولى، (بلا ـ ت).

٤ ـ مقدمة مقالات الأُصول للعراقي، طبعة مجمع الفكر الإسلامي ـ قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨ هـ

آل قاسم ـ عدنان فرحان (الدكتور)

٥ ـ دروس في السيرة النبوية، طبعة دار الإسلام ـ بيروت، الطبعة الثالثة، (١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م).

ابن بطوطة ـ أبو عبد الله محمد بن عبد الله الطنجي (ت ٧٧٩ هـ)

٦ ـ رحلة ابن بطوطة، شرح وتعليق: طلال حرب، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢ م).

ابن الجوزي ـ أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ)

٧ ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأُمم، تحقيق: محمد عبد القادر عطا وزميله، طبعة دار الكتب العلمية ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م).

ابن حجر العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ)

٨ ـ لسان الميزان، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م).

ابن شهر آشوب ـ رشيد الدين أبو جعفر محمد بن علي المازندراني (ت ٥٨٨ هـ)

٩ ـ معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة، طبعة مؤسسة نشر الفقاهة ـ قم، ١٤٢٥ هـ

ابن طاووس ـ رضي الدين أبو القاسم علي بن موسى بن جعفر بن محمد (ت ٦٦٤ هـ)

١٠ ـ فرج المهموم في تاريخ علماء النُّجوم، أُفست منشورات الرضي ـ قم، ١٣٦٣ ش.

١١ ـ كشف المحجة لثمرة المهجة، تقديم: آقا بزرك الطهراني، طبغة المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف، (١٣٧٠ هـ ـ ١٩٥٠ م).

١٢ ـ مهج الدعوات ومنهج العبادات، طبعة سنة ١٣٢٣ هـ

ابن طاووس ـ عبد الكريم بن أحمد (ت ٦٩٣ هـ)

١٣ ـ فرحة الغري، طبعة الرضي ـ قم (بلا ـ ت)، وطبعة العتبة العلوية بتحقيق الشيخ محمد مهدي نجف، الطبعة الأُولى، (١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م).

ابن عماد ـ أبي الفلاح عبد الحي المعروف بابن عماد (ت ١٠٨٩ هـ)

١٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب، طبعة بيروت، ١٤٠٩ هـ

ابن فارس ـ أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)

١٥ ـ معجم مقاييس اللغة، حققه: شهاب الدين أبو عمرو، طبعة دار الفكر ـ بيروت، ١٤١٤ هـ

ابن منظور ـ محمد بن مكرّم بن علي (ت ٧١١ هـ)

١٦ ـ لسان العرب، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٠٨ هـ ـ ١٩٨٨ م).

الأردبيلي ـ المولى أحمد بن محمد الأردبيلي الشهير بالمقدس الأردبيلي (ت ٩٩٣ هـ)

١٧ ـ زبدة البيان في أحكام القرآن، طبعة المرتضوية، (بلا ـ ت).

١٨ ـ مجمع الفائدة والبرهان في شرح ارشاد الأذهان، تحقيق: مجتبى العراقي وزملائه، طبعة مركز النشر الإسلامي، جامعة المدرسين في الحوزة العلمية ـ قم، (بلا ـ ت).

الأردبيلي ـ محمد بن علي الغروي الحائري (من علماء القرن الحادي عشر الهجري)

١٩ ـ جامع الرواة وازاحة الأشباه عن الطرق والاسناد، طبعة دار الأضواء ـ بيروت، (١٤٠٣ هـ).

الأسدي ـ حسن

٢٠ ـ ثورة النجف على الإنكليز أو الشرارة الأُولى لثورة العشرين، طبعة بغداد، ١٩٧٥م.

الاشكوري ـ أحمد الحسيني

٢١ ـ مقدمة كتاب القضاء للميرزا حبيب اللّه الرشتي، طبعة الخيام ـ قم، ١٤٠١ هـ.

الأَصفهاني ـ محمد حسين (ت ١٣٦١ هـ)

٢٢ ـ نهاية الدراية في شرح الكفاية، طبعة مؤسسة احياء الكتب الإسلامية ـ قم، ١٤٣٠ هـ.

أفندي ـ الميرزا عبد اللّه أفندي الإصفهاني (من أعلام القرن الثاني عشر)

٢٣ ـ رياض العلماء وحياض الفضلاء، تحقيق: أحمد الحسيني، طبعة مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٣ هـ.

الأمين ـ محسن بن عبد الكريم بن علي بن محمد الأمين الحسيني العاملي الدمشقي (ت ١٣٧١ هـ)

٢٤ ـ أعيان الشيعة، حققه: السيّد حسن الأمين، طبعة دار التعارف للمطبوعات ـ بيروت، الطبعة الخامسة، (١٤١٨ هـ ـ ١٩٩٨ م) في خمسة عشر مجلدا والطبعة الرابعة في عشرة مجلدات.

(حرف الباء)

البحراني ـ يوسف بن أحمد بن إبراهيم الدرازي البحراني (ت ١١٨٦ هـ)

٢٥ ـ لؤلؤة البحرين في الاجازات وتراجم رجال الحديث، تحقيق: محمد صادق بحر العلوم، طبعة أُفست مؤسسة آل البيت، (بلا ـ ت).

بحر العلوم ـ جعفر (ت ١٣٧٧ هـ)

٢٦ ـ تحفة العالم فـ¨ شرح خطبة المعالم، طبعة الصادق ـ طهران، (بلا ـ ت)، والطبعة الجديدة المحققة بتحقيق: أحمد علي مجيد الحلي، طبعة مركز تراث السيّد بحر العلوم ـ النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٤٣٣ هـ

بحر العلوم ـ محمد (الدكتور)

٢٧ ـ الدراسة وتاريخها في النجف، ضمن بحوث موسوعة النجف الأشرف.

٢٨ ـ مقدمة تقريرات المجدد الشيرازي الأُصولية بقلم الزوزدري، تحقيق: مؤسسة آل البيت ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩ هـ

بحر العلوم ـ محمد صادق

٢٩ ـ مقدمة كتاب رجال الطوسي، طبعة المكتبة الحيدرية ـ النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، (١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م).

بحر العلوم ـ محمد مهدي بن مرتضى بن السيّد محمد (ت ١٢١٢ هـ)

٣٠ ـ الرجال، الشهير بالفوائد الرجالية أو رجال السيّد بحر العلوم، بتحقيق وتقديم: محمد صادق بحر العلوم، والسيّد حسين بحر العلوم، طبعة أُفست مكتبة العلمين في النجف الأشرف.

البستاني ـ محمود (الدكتور)

٣١ ـ مقدمة كتاب الخراجيات، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، ١٤١٣ هـ

البغدادي ـ إسماعيل بن محمد باشا الباباني البغدادي (ت ١٣٣٩ هـ)

٣٢ ـ هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، طبعة استانبول، ١٩٦٠ م.

البهادلي ـ علي أحمد

٣٣ ـ الحوزة العلمية في النجف الأشرف، طبعة دار الزهراء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤١٣ هـ

(حرف التاء)

التفرشي ـ مصطفى بن الحسين الحسيني (من أعلام القرن الحادي عشر الهجري)

٣٤ ـ نقد الرجال، تحقيق وطباعة مؤسسة آل البيت عليهم السلام لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هـ

التميمي ـ محمد علي جعفر

٣٥ ـ مشهد الإمام أو مدينة النجف، طبعة منشورات المكتبة الحيدرية ـ قم، ١٤٣١ هـ

(حرف الجيم)

جمال الدين ـ مصطفى (الدكتور)

٣٦ ـ الديوان، طبعة دار المؤرخ العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٥ م).

الجناتي ـ محمد إبراهيم

٣٧ ـ أدوار الاجتهاد از ديدگاه مذاهب اسلامى (بالفارسية)، طبعة مؤسسة كيهان ـ طهران، الطبعة الأُولى، ١٣٧٢ ش.

٣٨ ـ ادوار فقه از ديدگاه مذاهب اسلامى (بالفارسية)، طبعة مؤسسة كيهان ـ طهران.

(حرف الحاء)

الحائري ـ أبو علي محمد بن إسماعيل المازندراني (ت ١٢١٦ هـ)

٣٩ ـ منتهى المقال في معرفة الرجال، طبعة مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٦ هـ.

الحائري ـ كاظم الحسيني

٤٠ ـ مباحث الأُصول تقريرا لأبحاث آية اللّه العظمى الشهيد محمد باقر الصدر، طبعة مكتب الاعلام الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧ هـ.

حرز الدين ـ محمد (ت ١٣٦٥ هـ)

٤١ ـ معارف الرجال في تراجم العلماء والأُدباء، علّق عليه محمد حسين حرز الدين، طبعة مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٥ هـ.

حرز الدين ـ محمد حسين (ت ١٤١٨ هـ)

٤٢ ـ تاريخ النجف الأشرف، تحقيق: عبد الرزاق حرز الدين، طبعة منشورات دليل ما ـ طهران، الطبعة الأُولى، ١٤٢٧ هـ.

الحساني ـ حسين جهاد

٤٣ ـ المدارس الدينية في النجف الأشرف تاريخ وتطور، نشر مركز الأمير لاحياء التراث الإسلامي ـ النجف، (بلا ـ ت).

الحسني ـ سليم

٤٤ ـ دور علماء الشيعة في مواجهة الاستعمار، طبعة دار الغدير ـ قم.

حسين أمين

٤٥ ـ الحياة الثقافية في العصر البويهي، (بلا ـ ت).

الحسيني ـ محمد طاهر

٤٦ ـ المنهج الفقهي عند الشهيد محمدباقر الصدر، طبعة دار الهادي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٢ هـ ـ ٢٠٠١ م).

الحكيم ـ حسن عيسى (الدكتور)

٤٧ ـ الشيخ الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن (رسالة ماجستير)، الطبعة الأُولى، مطبعة الآداب ـ النجف الأشرف، (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م).

٤٨ ـ المفصل في تاريخ النجف الأشرف، طبعة المكتبة الحيدرية ـ قم، الطبعة الأُولى.

الحكيم ـ عبد الهادي (الدكتور)

٤٩ ـ حوزة النجف الأشرف، النظام ومشاريع الاصلاح، طبعة مؤسسة آفاق للدراسات والأبحاث، الطبعة الأُولى، (١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٧ م).

الحكيم ـ منذر

٥٠ ـ مقال مراحل تطور الاجتهاد، مجلة فقه أهل البيت، العدد ١٧/

٥١ ـ مقدمة كتاب معالم الدين وملاذ المجتهدين (قسم الفقه)، طبعة نشر الفقاهة.

الحلي ـ أبو منصور جمال الدين الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الشهير بالعلّامة الحلّي (ت ٧٢٦ هـ)

٥٢ ـ خلاصة الأقوال في معرفة الرجال، تحقيق وطباعة نشر الفقاهة ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٧ هـ.

الحلي ـ تقي الدين الحسن بن علي ابن داود (ت بعد سنة ٧٠٧ هـ)

٥٣ ـ كتاب الرجال، حققه وقدّم له السيّد محمد صادق آل بحر العلوم.

الحموي ـ شهاب الدين أبي عبد اللّه ياقوت (ت ٦٢٦ هـ)

٥٤ ـ معجم البلدان، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، (بلا ـ ت).

(حرف الخاء)

الخاقاني ـ علي

٥٥ ـ موسوعة شعراء الغري، أُفست مكتبة المرعشي ـ قم، ١٤٠٨ هـ

الخراساني ـ محمد كاظم بن حسين الشهير بالآخوند الخراساني (ت ١٣٩٢ هـ)

٥٦ ـ كفاية الأُصول، تحقيق: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الثانية، ١٤١٧ هـ

الخفاجي ـ سامي

٥٧ ـ مقدمة تحقيق كتاب كفاية الأُصول مع حاشية المشكيني، (بلا ـ ت).

الخليلي ـ جعفر

٥٨ ـ موسوعة العتبات المقدّسة، طبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٠٧ هـ ـ ١٩٨٧ م).

الخوئي ـ السيّد أبو القاسم بن علي أكبر الخوئي (١٤١٣ هـ)

٥٩ ـ معجم رجال الحديث وتفصيل الرواة، نشر الفقاهة ـ قم، الطبعة الخامسة، (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٢ م).

الخوانساري ـ محمد باقر (١٣١٣ هـ)

٦٠ ـ روضات الجنات في تراجم العلماء والسادات، طبعة مكتبة اسماعيليان ـ قم، ١٣٩٠ هـ

(حرف الدال)

الدجيلي ـ جعفر

٦١ ـ موسوعة النجف الأشرف، طبعة دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٣ هـ ـ ١٩٩٩ م).

(حرف الراء)

الرضي الأستراَبادي ـ محمد بن الحسن (٦٨٨ هـ)

٦٢ ـ شرح الكافية، تحقيق: يوسف حسن عمر، طبعة جامعة تونس، أُفست مطبعة الصادق ـ طهران، الطبعة الثانية، (بلا ـ ت).

الرفاعي ـ عبد الجبار (الدكتور)

٦٣ ـ تطور الدرس الفلسفي في الحوزة العلمية، سلسلة كتاب قضايا اسلامية معاصرة (١٩)، طبعة مؤسسة الأعراف ـ قم، (١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م).

رمولو ـ حسن بيك

٦٤ ـ أحسن التواريخ، تصحيح: دكتور عبد الحسين نواني، طبعة انتشارات بابك، ١٣٥٧ ش.

الرّوزوري: علي الشهير بالآخوند (ت حدود ١٢٩٠ هـ)

٦٥ ـ تقريرات الأُصول للميرزا المجدد الشيرازي، تقديم: محمد بحر العلوم، طبعة مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩ هـ

(حرف الزاي)

الزين ـ علي

٦٦ ـ مقال: بوادر الاصلاح في النجف الأشرف، مجلة العرفان، العدد الأول، المجلد ٢٩ لسنة ١٣٥٨ ش.

(حرف السين)

السبحاني ـ جعفر

٦٧ ـ الفقه الإسلامي منابعه، وأدواره، المجلد الأول من موسوعة طبقات الفقهاء، طبعة مؤسسة الإمام الصادق ـ إيران قم، الطبعة الأُولى، ١٤١٨ هـ.

٦٨ ـ موسوعة طبقات الفقهاء، طبعة دار الأضواء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٠ هـ ـ ١٩٩٩ م).

سعاد ماهر (الدكتورة)

٦٩ ـ مشهد الإمام علي عليه السلام في النجف الأشرف، طبعة أُفست النجف، (بلا ـ ت).

السيوطي ـ الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن كمال الدين السيوطي (ت ٩١١ هـ)

٧٠ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور، قدّم له: عبد الرزاق المهدي، صححها وخرج أحاديثها: نجدت نجيب، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م).

(حرف الشين)

الشاهرودي ـ نور الدين

٧١ ـ تاريخ الحركة العلمية في كربلاء، طبعة دار العلوم ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٠ هـ ١٩٩٠ م).

شبر ـ حسن

٧٢ ـ العمل الحزبي في العراق (١٩٠٨ ـ ١٩٥٨)، سلسلة تاريخ العراق السياسي المعاصر، الطبعة الأُولى، دار احياء التراث العربي ـ بيروت، ١٩٨٩ م.

الشرقي ـ علي

٧٣ ـ الأحلام، الطبعة الأُولى، بغداد، ١٩٦٣ م.

شمس الدين ـ محمد رضا

٧٤ ـ حديث الجامعة النجفية، منشور في فصلية آفاق نجفية، العدد ٢٢، السنة السادسة، (١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م)، وطبع مؤخرا ضمن كتاب: «بهجة الراغبين في مؤلفات الشيخ محمد رضا شمس الدين»، إعداد رضا محمد حدرج، طبعة دار المحجة البيضاء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م).

شمس الدين ـ محمد مهدي

٧٥ ـ الاجتهاد والتجديد في الفقه الإسلامي، طبعة المؤسسة الدولية ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م).

(حرف الصاد)

الصدر ـ محمد باقر (ت ١٤٠١ هـ)

٧٦ ـ المعالم الجديدة للأُصول، طبعة المجمع العالمي للإمام الشهيد الصدر، الطبعة الثالثة، ١٤٢٩ هـ.

الصغير ـ محمد حسن

٧٧ ـ أساطين المرجعية العليا في النجف الأشرف، طبعة مؤسسة البلاغ ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٤ هـ ـ ٢٠٠٣ م).

(حرف الطاء)

الطباطبائي ـ حسين مدرسي

٧٨ ـ مقدمه‌اى بر فقه شيعه (فارسى)، ترجمة: محمد آصف فكرت، طبعة بنياد پژوهشهاى اسلامى ـ مشهد، ١٣٦٢ ش.

الطبري ـ عماد الدين أبو جعفر محمد بن القاسم الطبري (من علماء القرن الخامس الهجري)

٧٩ ـ بشارة المصطفى لشيعة المرتضى، تحقيق: جواد القيومي، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠ هـ.

الطوسي ـ أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي (ت ٤٦٠ هـ)

٨٠ ـ الأمالي، بتحقيق علي أكبر الغفاري، طبعة دار الكتب الإسلامية ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٣٨١ هـ.

الطهراني آقا بزرك ـ محسن، (ت ١٣٨٩ هـ)

٨١ ـ الذريعة إلى تصانيف الشيعة، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

٨٢ ـ طبقات أعلام الشيعة، طبعة دار احياء التراث العربي ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

٨٣ ـ مقدمة تفسير التبيان للشيخ الطوسي محمد بن الحسن.

(حرف العين)

العاملي ـ جمال الدين بن الحسن بن زين الدين (ت ١٠١١ هـ)

٨٤ ـ معالم الدين وملاذ المجتهدين (قسم أُصول الفقه)، تحقيق: مهدي محقق، طبعة مؤسسة المطالعات الإسلامية ـ طهران، ١٤٠٢ هـ.

العاملي ـ محمد بن الحسن بن علي الشهير بـ (الحر العاملي) (ت ١١٠٤ هـ)

٨٥ ـ أمل الآمل في تراجم علماء جبل عامل، تحقيق: أحمد الحسيني، طبعة مكتب الأندلس ـ بغداد، (بلا ـ ت).

عبد الرزاق ـ صلاح

٨٦ ـ علماء الشيعة ونصرة القضية الفلسطينية، طبعة منتدى المعارف ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠١٠ م.

العراقي ـ ضياء الدين (ت ١٣٦١ هـ)

٨٧ ـ مقالات الأُصول، تحقيق: محسن العراقي، ومنذر الحكيم، طبعة مجمع الفكر الإسلامي ـ قم، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨ هـ.

العزاوي ـ عباس

٨٨ ـ تاريخ العراق بين الاحتلالين، طبعة الدار العربية للموسوعات، الطبعة الأُولى، (١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٤ م).

العودي ـ محمد بن علي بن حسن العودي الجزيني

٨٩ ـ رسالة بغية المريد في الكشف عن أحوال الشيخ زين الدين الشهيد، يوجد قسم منها في كتاب حفيد الشهيد الأول (الشيخ علي بن محمد بن الحسن)، الدر المنثور من المأثور وغير المأثور، طبعة قم، ١٣٩٨ هـ بتحقيق أحمد الحسيني الاشكوري، والطبعة الجديدة بتحقيق: منصور الإبراهيمي، طبعة المركز العالي للعلوم والثقافة الإسلامية، (١٤٣٣ هـ ٢٠١٢ م).

عيسى ـ أحمد مجيد

٩٠ ـ مقال: الدراسة في النجف، مجلة البيان، السنة الثانية.

(حرف الغين)

الغروي ـ محمد

٩١ ـ الحوزة العلمية في النجف الأشرف، طبعة دار الاضواء ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٤ م).

٩٢ ـ مع علماء النجف الأشرف، طبعة دار العارف ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٢٨ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

الغزالي ـ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي (ت ٥٠٥ هـ ـ ١١١١ م)

٩٣ ـ احياء علوم الدين، طبعة دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ٢٠٠٤ م.

(حرف الفاء)

الفتلاوي ـ كاظم

٩٤ ـ مشاهير المدفونين في النجف، طبعة النجف، العتبة العلوية، الطبعة الأُولى، (١٤٣١ هـ ـ ٢٠١٠ م).

فخر الدين ـ محمد جواد

٩٥ ـ تاريخ النجف حتى نهاية العصر العباسي، طبعة دار الرافدين ـ بيروت، الطبعة الأُولى، (١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م).

الفضلي ـ عبد الهادي

٩٦ ـ تاريخ التشريع الإسلامي، طبعة مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ـ قم، الطبعة الأُولى، (١٤١٤ هـ ـ ١٩٩٣ م).

٩٧ ـ دليل النجف في ستينيات القرن العشرين، الطبعة الأُولى، (١٣٨٥ هـ ـ ١٩٦٥ م) ـ النجف الأشرف، وطبعة مركز الغدير، الطبعة الثانية ـ قم، (١٤٣٣ هـ ـ ٢٠١٢ م).

الفياض ـ عبد اللّه (الدكتور)

٩٨ ـ تاريخ الإمامية واسلافهم من الشيعة، قدّم له: السيّد محمد باقر الصدر، طبعة مؤسسة الأعلمي ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٣٩٥ هـ ـ ١٩٧٥ م).

الفيروزآبادي ـ مجد الدين محمد بن يعقوب (ت ٨١٧ هـ)

٩٩ ـ القاموس المحيط، مراجعة واشراف الدكتور محمد الاسكندراني، طبعة دار الكتاب العربي ـ بيروت، (١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م).

(حرف القاف)

القزويني ـ جودت (الدكتور)

١٠٠ ـ تاريخ المؤسسة الدينية الشيعية من العصر البويهي إلى نهاية العصر الصفوي، طبعة دار الرافدين ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ

١٠١ ـ المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية، طبعة دار الرافدين ـ بيروت، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ

القمي ـ عباس بن محمد رضا بن أبي القاسم (١٣٥٩ هـ)

١٠٢ ـ الكنى والألقاب، طبعة مؤسسة النشر الإسلامي ـ قم، الطبعة الثانية، ١٤٢٩ هـ

القوچاني النجفي ـ محمد حسن

١٠٣ ـ السياحة الشرقية، ترجمة: ناصر الربيعي، طبعة أنوار الهدى ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٠ هـ

(حرف الكاف)

كاشف الغطاء ـ محمد الحسين (ت ١٣٧٣ هـ ـ ١٩٥٤ م)

١٠٤ ـ العبقات العنبرية في الطبقات الجعفرية، تحقيق: جودت القزويني، طبعة دار ومكتبة الهلال ـ بيروت، ٢٠٠٣ م.

الكركي ـ نور الدين أبو الحسن علي بن الحسين بن عبد العالي العاملي الكركي (ت ٩٤٠ هـ)

١٠٥ ـ رسائل المحقق الكركي، تحقيق: محمد الحسون، منشورات مكتبة المرعشي النجفي، الطبعة الأُولى، ١٤٠٩ هـ

كلانتر ـ السيّد محمد

١٠٦ ـ مقدمة كتاب المكاسب للشيخ الأنصاري، طبعة مطبعة الآداب في النجف الأشرف، الطبعة الأُولى، ١٣٩٢ هـ

گرجي ـ أبو القاسم (الدكتور)

١٠٧ ـ تاريخ فقه و فقهاء (بالفارسية)، طبعة سازمان مطالعه و تدوين كتب علوم انسانى ـ طهران، ١٣٧٧ هـ

(حرف الميم)

المامقاني ـ عبد اللّه (ت ١٣٥١ هـ)

١٠٨ ـ تنقيح المقال، تحقيق واستدراك: محي الدين المامقاني، طبعة مؤسسة آل البيت ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ

ماهر ـ سعاد (الدكتورة)

١٠٩ ـ مشهد الإمام علي في النجف، طبعة دار المعارف بمصر، (بلا ـ ت).

المجلسي ـ محمد باقر (ت ١١١١ هـ)

١١٠ ـ بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، تحقيق ومراجعة وتقديم الشيخ محمود درياب ومجموعة من العلماء، طبعة دار التعارف للمطبوعات، الطبعة الأُولى، (١٤٢١ هـ ـ ٢٠٠١ م).

مجلة فقه أهل البيت عليهم السلام

١١١ ـ مجلة فصلية تخصصية تصدرها دائرة معارف فقه اهل البيت عليهم السلام في قم ولبنان.

مجلة آفاق نجفية

١١٢ ـ مجلة فصلية مصورة تعني بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة تصدر في النجف الأشرف.

محبوبة ـ جعفر باقر (ت ١٣٧٧ هـ)

١١٣ ـ ماضي النجف وحاضرها، طبعة دار الاضواء ـ بيروت، الطبعة الثانية، (١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م).

محمد علي ـ عبد الرحيم

١١٤ ـ المصلح المجاهد الشيخ محمد كاظم الخراساني، طبعة مطبعة النعمان ـ النجف، (١٣٩٢ هـ ـ ١٩٧٢ م).

مدرسي ـ محمد علي

١١٥ ـ ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية واللقب (بالفارسية)، طبعة شفق ـ تبريز ايران، الطبعة الثالثة، (بلا ـ ت).

المرجاني ـ صالح

١١٦ ـ النجف الأشرف قديما وحديثا، طبعة مطبعة القضاء ـ النجف، ١٩٩٤ م.

مصطفى جواد (الدكتور)

١١٧ ـ مقال: نظرات في الذريعة، مجلة البيان، العدد السادس، السنة الأُولى.

مغنية ـ محمد جواد

١١٨ ـ مع علماء النجف الأشرف، مراجعة وتصحيح: رياض الدباغ، طبعة شريعت ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٦ هـ

مفتي الشيعة ـ أبو الفضل الموسوي

١١٩ ـ المقدس الأردبيلي حياته وآثاره، طبعة دار الهدى ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٢٥ هـ

المفيد ـ أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي (ت ٤١٣ هـ)

١٢٠ ـ المزار، موسوعة الشيخ المفيد، دار المفيد ـ بيروت.

منتجب الدين ـ علي بن بابويه الرازي (من أعلام القرن السادس الهجري)

١٢١ ـ الفهرست، تحقيق وتقديم: الدكتور جلال الدين محدث أرموي، طبعة مكتبة المرعشي ـ قم، ١٣٦٦ ش.

الموسم

١٢٢ ـ مجلة فصلية مصورة تعني بالآثار والتراث تصدر في هولندا.

(حرف النون)

النجاشي ـ أحمد بن علي (ت ٤٥٠ هـ)

١٢٣ ـ الرجال، تحقيق: السيّد موسى شبيري، طبعة جامعة المدرسين ـ قم، ١٤٠٧ هـ

النجفي ـ محمد حسن (ت ١٢٥٥ هـ)

١٢٤ ـ جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام، طبعة دار الكتب الإسلامية ـ طهران، ١٣٧٣ ش.

النقاش ـ إسحاق

١٢٥ ـ شيعة العراق، ترجمة عبد اللّه النعيمي، طبعة المدى ـ بيروت، ٢٠٠٣ م.

النوري ـ ميرزا حسين بن محمد تقي النوري الطبرسي، الشهير بالمحدث النوري (ت ١٣٢٠ هـ ـ ١٩٠٢ م)

١٢٦ ـ مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل، الخاتمة، طبعة وتحقيق: مؤسسة آل البيت لاحياء التراث ـ قم، الطبعة الأُولى، ١٤٠٧ هـ

(حرف الواو)

الوردي ـ علي (الدكتور)

١٢٧ ـ لمحات اجتماعية من تاريخ العراق الحديث، طبعة أُفست المكتبة الحيدرية.

(حرف الياء)

اليعقوبي ـ محمد

١٢٨ ـ كتاب تعريف بتأسيس جامعة الصدر في النجف الأشرف.

الفهرست